أسست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

العدد (٥٧٤) جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ / ابريل - مايو ٢٠١٣ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

مجاناً مع العدد «براعم الإيمان»

• ملف العدد:
فقه الواقع والتوقع

• « أضم » السعودية ..
مدينة الحصون والقلاع

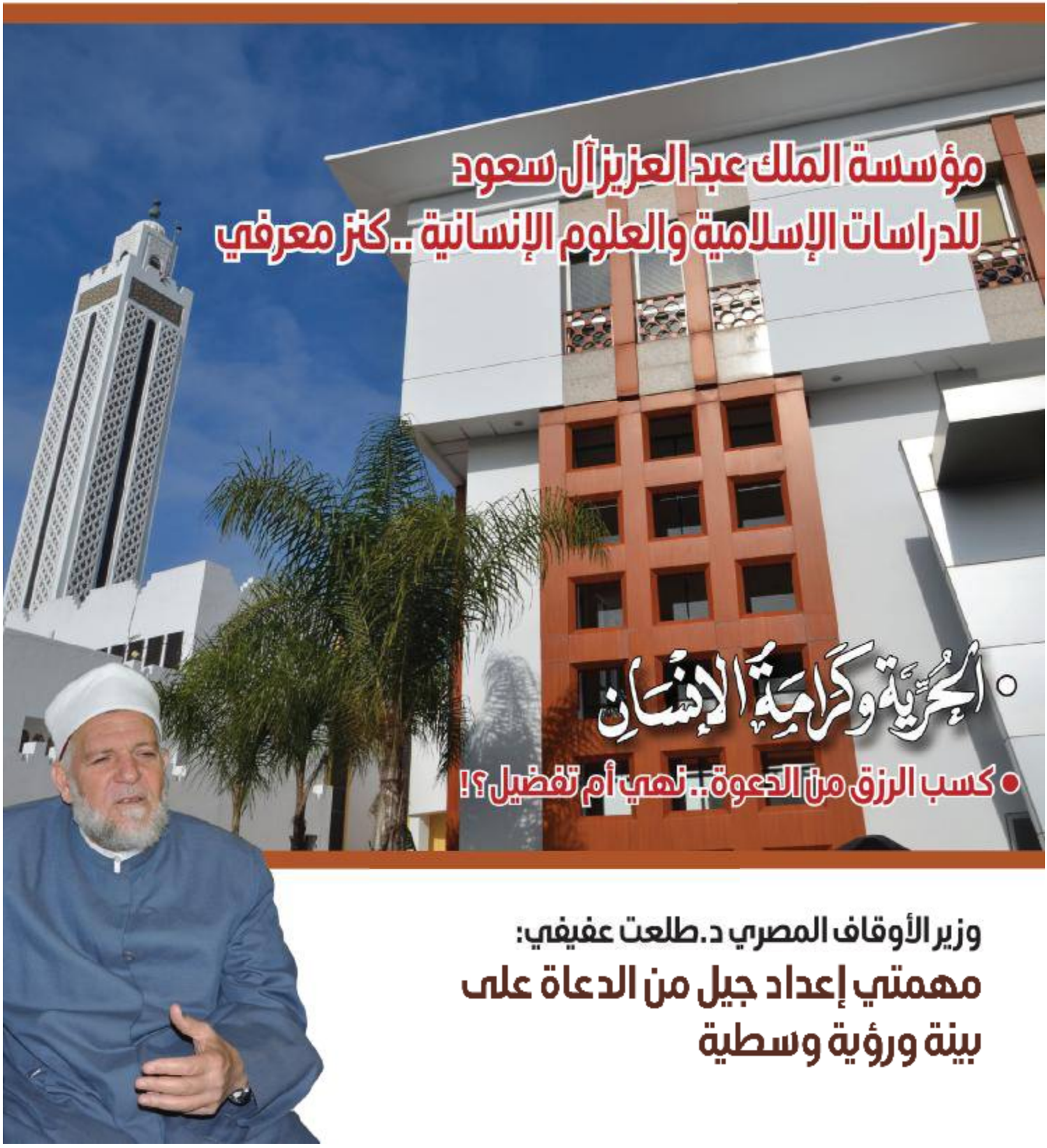

مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية .. كنز معرفي

• الحُرِّيَّة وكَرامَةُ الإنسَانِ

• كسب الرزق من الدعوة .. نهي أم تفضيل ؟!

وزير الأوقاف المصري د. طلعت عفيفي:

مهمتي إعداد جيل من الدعاة على بينة ورؤية وسطية

جديد إصداراتنا

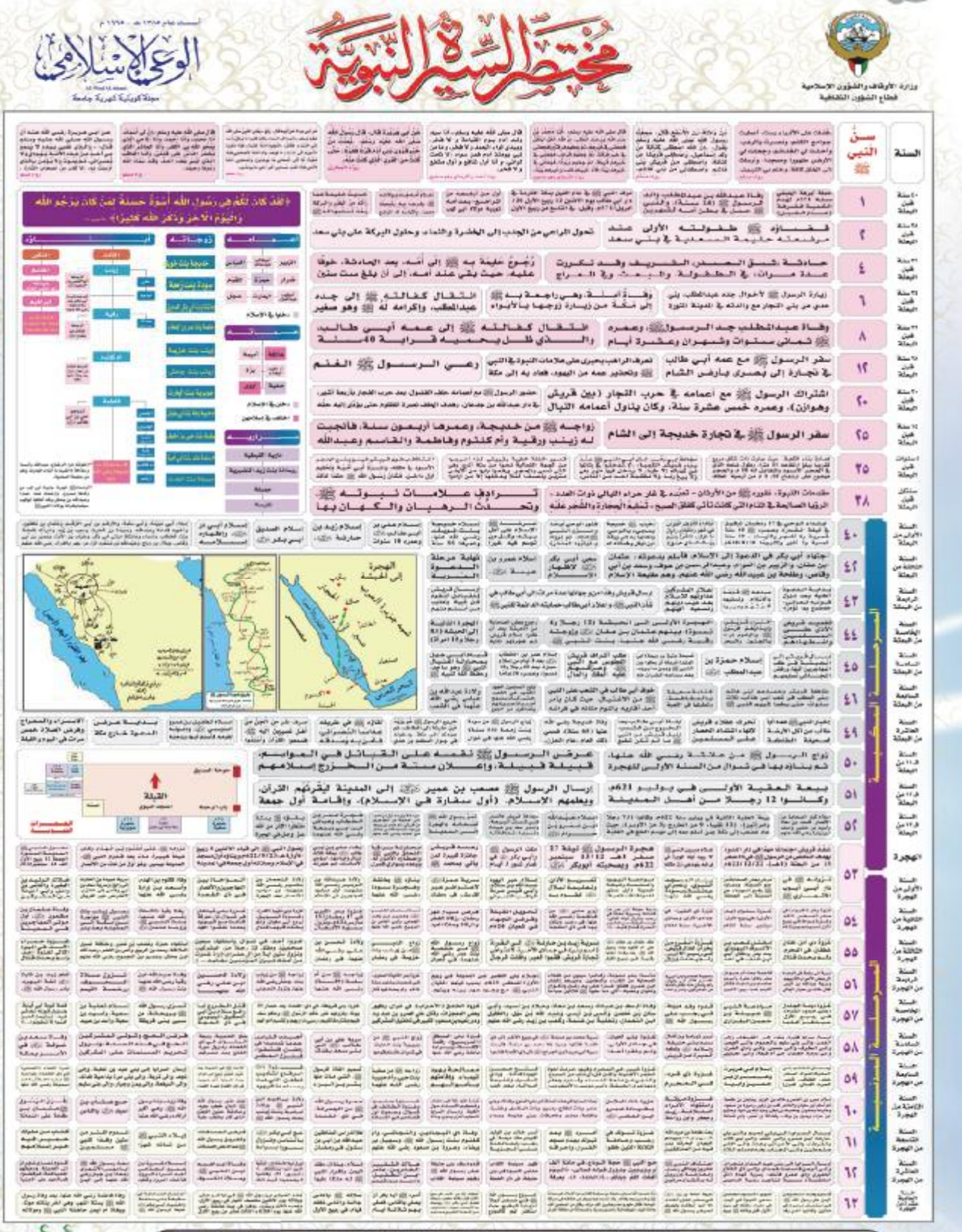

الافتتاحية

كن صادقًا ولا تخف

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

إن الصحافة فيها أخبار الدول، وقصص الأول، وغرائب الآثار، وفكاهة الأخبار، وحكايات البلاد، وشؤون الاقتصاد، فلها من الفضل ما يضيق عن الحصر، من بيان وإبداع كاتب، وقلم وإحساس شاعر، فهي دليل تطور الأمة، وعنوان نشاطها، وبرهان تقدمها، فكلما كانت راقية، كانت المجتمعات راقية أيضًا، وهي مدرسة جوّالة، تدور ما بين الأفهام لتصلحها، وتجول ما بين المدارك لتهذبها، فكم حملت إبداعات، ووضعت أساسات، وربت بنين وبنات.

وإنما جعلت الصحف لسدِّ منافذ الرذيلة، وفتح أبواب الفضيلة، فقد أصبحت اليوم حرفة وفنًا، وعلمًا وصناعة، كما أنها أمست محورًا تدور عليه مختلف شؤون الحياة، عامة وخاصة، من مجلة دورية، وجريدة سيارة، وهي ذاك الكتاب الذي يطالعنا في موعده.. إنه كتاب يختلف عن الكتب العادية، دَوَّار سيَّار، يصيد كل ما يقع عليه شباكه، فالقارئ يجد فيه بغيته من الأنباء والبحوث، وتختلف مواضيع الصحف باختلاف غايات أصحابها ونزعاتهم ومشاربهم، دينية وسياسية وأدبية وعلمية وغيرها، بقدر المواضيع التي تتناولها معارف البشر.

يرى القارئ مرآة تنعكس فيها أفكار أرباب الدين والسياسة، والعلم والأدب، بمظهر حسن ترتاح إليه القلوب، وتهتدي به العقول، الدالة على شرف هذه المهنة، التي تحسب بلا مراء أعظم قوة في دولة القلم، فعسى أن يتخذها الصحفيون الصادقون قاعدة لمصلحتهم التي تعلو على كل مصلحة، ويقطعوا لسان المتطفلين على هذه المهنة الجليلة، صونًا لكرامتها، وخدمة قرائها، لأن الصحافة ركن تبنى عليه دعائم الحضارة والعمران، وكل أمة متمدنة يجب أن تحترم الصحافة، فالصحافة أكثر من أن تكون مهنة يسترزق أصحابها منها، بل هي أشرف من ذلك، فالصحافة صوت الأمة، وسيف الحق، ومجيرة المظلومين، فهل من محاولة جادة لوضع الإعلام والصحافة الموضع الجدير بهما، وإعادة المجتمعات لتأخذ دورها الحضاري في البناء من أجل الإنسانية، وأن تكون المناقشة والمنافسة علمية فكرية خبرية، لتصبح عامل قوة وقدوة وقدرة، وحافز تطور وتقدم، في الميدان الذي أصبح مجال صراع خطير في حركة الحياة في هذا العالم، فالضياع والتأخر والتناحر والتنافر والخراب الذي تعاني منه المجتمعات، من أسبابه وسائل الإعلام والصحافة، لأنها تعبر عن نظم متفرقة ومتنافرة، فأخلاقيات مهنة الصحفي، وسلوك المحرر تجاه الصالح العام، والتقاليد الصحفية والآداب المهنية، وسلوكه تجاه الزملاء، ومراعاة الآداب العامة، وحياة الجماهير، وأسرار المهنة، والبعد عن كل ما من شأنه استغلال أو إكراه وتهديد المواطنين، وأمن البلاد، هذه كلها مسؤولية ملقاة على الجميع، فهل نستيقظ ونحاول إنشاء مؤسسات إعلامية ناضجة، تسرع في إنقاذ ما يمكن إنقاذه؟! والله سبحانه قادر على كل شيء.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٧٤ | جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ
العام الخمسون
ابريل – مايو ٢٠١٣ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
يحيى بوم

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ
الكويت – هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ – ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.com
مكتب مصر : دار الإعلام العربية–٤٣ شارع دجلة – متفرع من شارع جامعة الدول العربية – المهندسين – الدور الأول – مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي الوزارة أو المجلة.

في هذا العدد

تعد مؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية في المملكة المغربية منارة علمية وثقافية، أنشئت بمبادرة كريمة من طرف خادم الحرمين الشريفين

٢٠

الأمة الإسلامية بحاجة لفكر يوائم الشريعة والواقع

٣٤

القدوة الغائبة

٦٤

الدليل الإرشادي إلى مقاصد الشريعة

٦٦
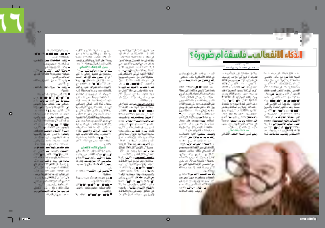
الذكاء الانفعالي.. فلسفة أم ضرورة؟

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١– ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- اليمن – صنعاء – الدار العربية للنشر والتوزيع ت – ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان – شركة نعنوع الصحفية–ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا – دمشق – برامكة – ص.ب ١٢٠٣٥ – ت: ٢١٢٤٨٣١ (٠٠٩٦٣ ١١) ف: ٢١٢٨٦٦٤ – المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن – عمان – شركة وكالة التوزيع الأردنية – ص.ب ٣٧٥ ـ رمز بريدي ١١١١٨ – ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر – القاهرة – شارع الصحافة – جريدة أخبار اليوم ـ ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤–(٠٠٢٠٢)
- المغرب – الدار البيضاء – ص.ب ١٣٦٨٣ – ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس – ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ – الشركة الشريفية
- مملكة البحرين – المنامة – ص.ب ٣٢٦٢ – ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ – مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة – ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ – شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية – الرياض – ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ – ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ – الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان – مسقط – ص.ب ٤٧٣ العذيبة ـ رمز بريدي ١٣٠ – ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ – مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر – الدوحة – ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا– شركة – المصطفى ميديا جروب سندرين برحد – ت– ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر – شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
- تونس – الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة – لندن – شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار
●الكويت : ٥٠٠ فلس ●السعودية: ٥ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٥ ريالات ● الإمارات : ٥ درهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ●الأردن:دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ●اليمن : ١٠٠ ريال ●لبنان: ٢٠٠٠ ليرة ● سوريا: ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠دراهم ● الجزائر: ٤ دينار جزائري ●تونس: دينار واحد تونسي ● المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني ● باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

المحتويات

٣	الافتتاحية: كن صادقًا ولا تخف	فيصل يوسف العلي
٦	أخلاق: القيم الإسلامية.. زهو البناء وسر البقاء	عثمان إسماعيل
٨	استطلاع: مؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود.. كنز معرفي	فيصل العلي
١٢	حوار: وزير الأوقاف المصري د.طلعت عفيفي	محمد حبيب
١٥	طب: الدين والتدخين	د.محمد الصديقي
١٦	قضايا: مجالات الوقف العلمي	السيد المخزنجي
١٨	قيم: الحرية وكرامة الإنسان	د.محمد مورو
٢٠	ملف العدد: الأمة الإسلامية بحاجة لفكر يوائم الشريعة والواقع	التحرير
٢٤	ملف العدد: حوار مع د.محمد كمال إمام	عبادة نوح وعلاء عبدالفتاح
٢٨	ملف العدد: تحقيق المناط وتنقيحه وتخريجه في المصطلح الأصولي	د.عجيل النشمي
٣٠	ملف العدد: فقه التوقع: مفهومه وعلاقته بالنظر في المآل	د.نجم الدين الزنكي
٣٤	تربية: القدوة الغائبة	رشيد الحسن
٣٦	دراسات: الوسطية في الفتوى	الشيخ عبدالله بن بيه
٤٣	دراسات: الرجولة.. مدلولات وإيجابيات	إبراهيم عبيد فارس
٤٦	دراسات: المواطنة إسلامية	أحمد مصطفى
٥٠	لغة وأدب: حوار مع شيخ المحققين حسين نصار	د. أحمد عبدالباسط
٥٥	لغة وأدب: سورية في القلب	خالد الشنو
٥٦	لغة وأدب: الحرب على العربية	د. إدريس مقبول
٥٨	لغة وأدب: القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٩)	عبدالله أيت الأعشير
٦٠	لغة وأدب: منظومة في بيان الآيات المنسوخة والناسخ لها	صالح عبدالخالق
٦٣	لغة وأدب: وهبت الرياح	أحمد عطية
٦٤	أنباء الكتب: الدليل الإرشادي إلى مقاصد الشريعة	التحرير
٦٦	أسرة: الذكاء الانفعالي.. فلسفة أم ضرورة؟	د.آندي حجازي
٦٨	أسرة: وعودك لأبنائك.. شرارة كذبهم	شيماء مأمون
٧٠	أسرة: أهمية الكتاب الورقي والحاسوب للطفل	د.السيد نجم
٧٢	أسرة: أطفال الشوارع.. رؤية إسلامية	د.محمد العطار
٧٦	أسرة: الحضارة الإسلامية والجمعيات النسائية	بشرى شاكر
٧٨	استطلاع: المسلمون في ألمانيا	علاء عبدالفتاح
٨٢	تحقيق: كسب الرزق من الدعوة.. نهي أم تفضيل؟!	هالة عبدالحافظ
٨٤	تاريخ: التاريخ عند المسلمين(١)	د.أحمد الشال
٨٦	منارات: أضم.. مدينة الحصون والقلاع	دار الإعلام العربية
٨٨	الفتاوى	محمود الكبش
٩٠	الوعي نت	خالد خلاوي
٩٢	بريد القراء	التحرير
٩٦	ينابيع المعرفة	تركي النصر
٩٨	مسك الختام: الإسلام الحضاري	محمد عيسى

كلمة العدد

المعارك الوهمية

يتعجب المرء عندما يجد أناسًا سخروا جُلَّ وقتهم في خوض معارك وهمية مع الآخرين، دون الوصول إلى أية نتائج عملية تذكر على أرض الواقع، وكأن تلك هي رسالتهم الحضارية التي من أجلها خلقوا في الحياة.

الغريب في الأمر أن بعض هؤلاء تجده من أصحاب الطاقات الجبارة والهمم العالية القادرة على العطاء والبذل من أجل الدعوة في سبيل الله، وبناء الإنسان المثالي الذي يجمع بين وعي الكتاب المنظور والكون المعمور، ومع ذلك تجده يقع في هذا المستنقع الكلامي.

عندما نتمعن في طبيعة هذه المعارك فإننا نتيقن من أن بعضها قُتِلَ بحثًا منذ عشرات السنين، وبات من المسلمات لدى الطفل المسلم، وبالرغم من ذلك نرى من يحاول إثارتها وطرحها مرة أخرى من أجل إشغال أصحاب الرسالات عن تحقيق الغايات الرئيسة للمشروع الإسلامي.

من المعروف أن المعارك الوهمية تستغرق الوقت والمال والجهد، دون فائدة تذكر أو نتيجة تحصد أو عمل يطبق، وبالتالي لابد من الترفع عن الخوض في مثل هذه المساحات التي لا يترتب عليها أي نتيجة مقابل التركيز على أولويات المرحلة الراهنة.

فريضة الوقت تتطلب من الجميع التفرغ لمعالجة القضايا والمشكلات الحياتية للشعوب، لأن مفتعليها متيقنون بأن ريادة المشروع الحضاري للإسلام مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بهمة وإرادة وعزيمة الشعوب المسلمة الحرة الأبية في جميع أنحاء المعمورة.

التحرير

الاشتراكات
• داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
• دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
• الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

القيم الإسلامية... زهو البناء وسر البقاء

عثمان إسماعيل حسين
باحث دراسات إسلامية

تؤكد الثوابت الإنسانية أن القيم الإسلامية قديمة قدم خلق الكون والإنسان، ذلك لأن الإنسان منذ وجوده على ظهر البسيطة كان في حاجة إلى ما يسمو بسلوكه وعلاقاته، فكانت تلك القيم في صورة الأخلاق والعادات والتقاليد على سبيل (الفطرة)، إلى أن بزغ نور الإسلام، وأراد لهذا الإنسان شتى صنوف التكريم، وأنعم عليه الله سبحانه وتعالى، ووهبه السمة الذهنية احترامًا وتقديرًا وإجلالاً، ومن هنا تجلت رحمته سبحانه وتعالى على هذا الإنسان بأن وضع له دستوره السلوكي الأخلاقي بما يتناسب وهويته ومكانته وإيمانه بهذا الدين خاتم الرسالات وأعظمها دعوة ومنهجًا ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (الفتح: ٢٨).

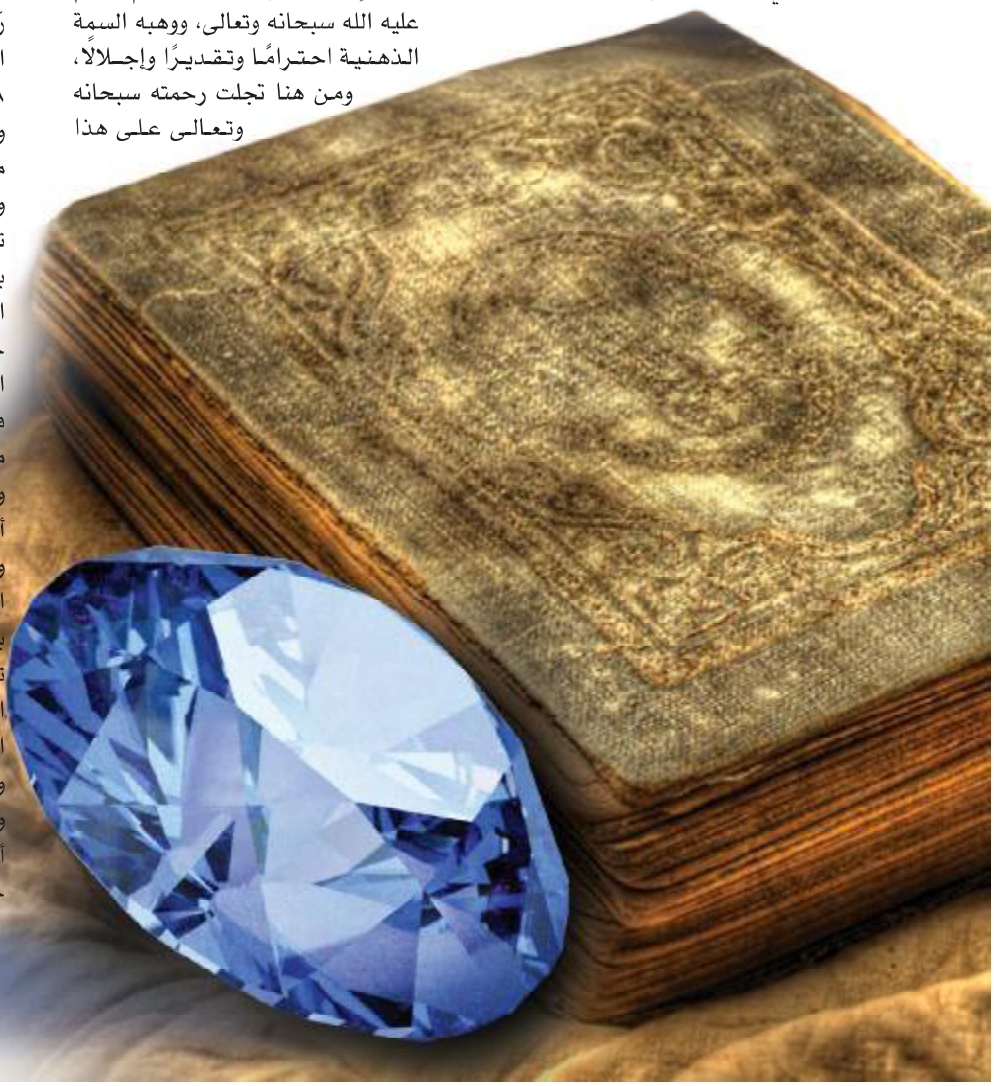

وعظمة القيم الإسلامية وهيبتها تأتي من أنها تستمد هويتها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كنصوص ذات ثوابت تربوية تبدو في أهميتها أنها توقظ بأحكامها وآدابها الضمائر، وتحيي النفوس، وتبعث فيها روح الحياة، فجاءت حلية للنفس وزينة للعقل، وارتقاء لهذا الكائن البشري المكرم من الله عز وجل فكانت القيم الإسلامية وقاية له وصونًا مما تعاني منه البشرية أحيانًا من زيغ وانحراف مفاجئ أو مقصود، أيًا كانت أسبابه.

وتاريخ القيم الإسلامية يؤكد أن صورة المجتمع الإسلامي في ظلها والتمسك بها عاشت فيه الإنسانية أزهى عصورها تقدمًا وإبداعًا في كافة فروع ومناحي الحياة، وأفضل ما يمكن أن يسمو إليه البشر بما جبلت عليه تلك القيم من نظام ومنهج وهدف منشود في احترام الإنسان ورقيه، وذلك لأن من سمة القيم الإسلامية أنها قادرة على المواجهة والكشف عن خبايا النفس إصلاحًا وتقويمًا، ومن هنا

وجب على النفس البشرية أن تضع نصب أعينها تلك القيم بغية التغيير للأفضل ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(الرعد: ١١).

والمتأمل في هوية القيم الإسلامية يجد أنها كلٌ متكامل ونسيج واحد، وإن تباينت ضروبها، فمنها (القيم الروحية) والتي تسمو بالإنسان إلى عالم المعية الإلهية، وبدايتها الإيمان بالله وتقواه والخشوع له والخضوع والتوكل عليه حقًا ويقينًا، وحب الله ورسوله ﷺ وآل البيت، وإتقان العبادة والصفاء والشكر لله، ومراجعة النفس محاسبة وتزكية وضبطًا وسكينة.

ولن يتأتى تحقيق تلك القيم إلا بمقاومة النفس ونزغات الشيطان وتعويدها بقوة وصرامة على رؤية الله تعالى في كل صغيرة وكبيرة، وتدبره، والتفكير في كونه وخلقه وحكمته ورحمته بخلقه، ومنهج دينه الحنيف في بناء الإنسان وبقاءه تعميرًا لهذا الكون، إضافة إلى معايشة كل جوارح النفس. هذه العبادة عقلًا ووجدًا وروحًا والسبح في أدب التعامل في تلك العبادات والقيم هو السبيل إلى تحدي كل ما يواجه النفس من مواجهات ولطمات اجتماعية وردّها الصاع صاعين، فعالم تلك القيم أقدم فطرة وخلقًا من تلك السلوكيات المكتسبة والمتغيرة، والتي تتسم بالضعف والوهن والزوال.

ومن (القيم السلوكية الأخلاقية) والتي ترقى بعوالم الأخلاق عند الذات البشرية العفة والصدق والحكمة والحنان والحلم والتضحية والعمل الصالح وشهادة الحق والاستئذان والغيرة على الحق والرفق والوفاء والرحمة والأمانة....

ومن الملاحظ أن تلك القيم ما هي إلا معايير للسلوك الإنساني، لا يمكن الاستغناء عنها في بناء الشخصية التي أراد لها ديننا الحنيف أن تكون (ولا نعدو قول الحق إذا قلنا: إنها ضرورية للحياة مثل الماء والهواء، فالإنسان لا يحيا بالخبز وحده، فهذا أمر يشترك فيه مع بقية الحيوانات، ولا يرقى إلى المستوى الإنساني إلا صاحب القيم الرفيعة التي تجعل لحياته معنى وتسمو به فوق ماديات الحياة)(١).

ومن الثوابت أن معيار السلوك يتوقف على معيار التقوى، والذي يقف صامدًا أمام مغريات الحياة وشهواتها، وتنطلق معه القيم الذاتية جنبًا إلى جنب في قوة وحزم لمحو ما قد يعلق بالشخصية من هفوات وزلات.

وتأتي القيم الاجتماعية كنسيج متماسك يتميز بقوة الحبك لتحكم المعاملات والعلاقات بين الناس، حيث تبرز أهميتها في حفظ الدين والمال والنفس والعقل والعرض والأنساب، وهي في هويتها إعداد متقن للحياة في الدنيا والآخرة، وتأتي على رأس القيم الإسلامية الاجتماعية التكافل والعدالة الاجتماعية، بعدها تتفرع ضروبها مثل العلم والألفة والشورى والمحبة والأخوة وحقوق الجار، والبعد عن الأمراض الاجتماعية (الغيبة والنميمة والحقد والحسد) وحسن الظن وقضاء حوائج الناس والعمل والعدل والعفو عند المقدرة والوسطية وحقوق المرأة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا على سبيل المثال لا الحصر، فالقيم الإسلامية هي الحياة، والحياة هي ديننا الحنيف الذي يرسم منهاج السعادة والرضا في حياتنا (فعندما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت: كان خلقه القرآن).

وتأتي مهابة القيم الإسلامية من أنها تنظر الى وحدة النوع الانساني دون جنس أو لغة، فالناس أمامها سواء، فلا تفرق ولا تميز، ولذا فهي باقية خالدة بمبادئها السمحة (ولا نبالغ إذا قلنا: إن الإسلام قد حقق في القرن السابع الميلادي من المثل العليا والمبادئ السامية ما لم تحققه أوروبا الحديثة وأميركا في القرن العشرين) (٢).

وإذا كانت القيم الإسلامية أساسها فطرة البشر فهي بحاجة إلى تنميتها وترسيخها وإظهارها بما يتفق ومصدرها ذلك الدين القيم الذي تنبع منه، فالمسؤولية تقع على عاتق المؤسسات التربوية بكافة أنماطها ومراحلها، حيث العمل على رأس تلك القيم فلسفة وتطبيقًا بكل السبل والأساليب التي تخضع للحجة والإقناع، بعيدًا عن الزجر والعنف والتسلط .ونذكر منه الحوار المبني على السماحة واللين، حوار القرآن والسنة، حوار القصص القرآني والنبوي، ضرب الأمثال والقدوة، ونأخذ من هذا كله النظرية والتطبيق الممارسة والعمل بما يلازمهما من ترغيب وترهيب وثواب وعقاب.

فالقيم الإسلامية ما بين هويتها ومصادرها وأنماطها وأساليبها قانون إلهي فطري «فالإسلام دين الفطرة، ومنهجه التربوي يهدف الى أخذ خير ما في الفطرة وتقويم اعوجاجها حين تنحرف عن الطريق ... (٣)، وما يزيد القيم الإسلامية رونقا وجمالًا إلا مقتضى الحال، وما يعترض الإنسان من مواقف تستدعي التحلي بتلك القيم، حينئذ لا يجد ملجأ ولا مفرًا إلا ذلك الطريق القويم، لتكون في أزهى صورها وأروع فوائدها ونتائجها.

ومن هنا فالقيم الاسلامية دواء لكل داء، خاصة ما يتعرض له العالم اليوم من اضطراب حياتي وصراعات قاتلة بين الأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء، فهو الحل لتلك الصراعات، وهذا التطاحن البشري بعد أن طغت المادية، وأنست الناس أنفسهم فضلوا الطريق، وهي الحل لتطهير العقول من الأوهام، حيث المذاهب المخطط لها، والتي تعادي كرامة الإنسان وآدميته خاصة، والبشرية عامة.

الهوامش

١- مفاهيم دينية: دكتور أحمد عمر هاشم، مطبوعات وزارة الأوقاف.
٢- عظمة الإسلام، ج ١، محمد عطية الإبراشي، مكتبة الأسرة، مصر.
٣- منهج التربية الإسلامية، ج ٢، محمد قطب، دار الشروق.

تختص بالدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية

مؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود.. كنز معرفي

استطلاع : فيصل يوسف العلي
تصوير : هداية الله نثار

مؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية في المملكة المغربية منارة علمية وثقافية، أنشئت بمبادرة كريمة من طرف خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، بتاريخ ١٢ يوليو ١٩٨٥م ، وذلك استجابة للحاجة الملحة لدى الباحثين ومختلف المهتمين في الدار البيضاء، وعموم المغرب لمصادر جيدة وغنية في مجال الإعلام والتوثيق.

والمؤسسة هيئة حرة أسست بموجب القانون المغربي على شكل جمعية تتوفر على الشخصية المعنوية، حاصلة على صفة المؤسسة ذات النفع العام، يديرها مجلس إدارة يتكوّن من شخصيات تنتمي إلى قطاعات علمية مختلفة في الدار البيضاء وخارجها، ويرأسها وزير الأوقاف الحالي د. أحمد توفيق، و يشغل د. محمد المغير جنجار منصب نائب المدير، وفاطمة بومزو المسؤولة الإدارية.

تتمثّل أهداف هذه المعلمة في خدمة البحث العلمي، ومجال العلوم الاجتماعية والإنسانية، وتولي الأسبقية في هذا الباب للفضاء العربي والإسلامي، وبخاصة ما تعلّق بالمجال المغاربي في أبعاده التاريخية والثقافية والجغرافية، أو في واقعه الراهن، كما تسعى إلى توفير سند لوجيستيكي في ميدان الإعلام والتوثيق، وإلى دعم القرار لفائدة مختلف الفعاليات في القطاعين العامّ والخاصّ.

وسائلها

لتحقيق هذه الأهداف أنشئت المؤسسة، وكوّنت فريقاً مشهوداً له، واشتغلت ضمن محاور ثلاثة هي كالآتي:

– إقامة مكتبة متخصصة في خدمة البحث العلمي، وقد احتوت هذه المكتبة في أكتوبر ٢٠٠٨م على مجموعات غنية من الوثائق تفوق ٦٢٠,٠٠٠ مجلد، والتي استجابت لحاجيات وتطلعات الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية، والدراسات الإسلامية. وفي لغات العمل الرئيسية تحتل العربية منها ٣٩٪، والفرنسية ٣٩٪، والإنجليزية ١٦٪، والإسبانية ٥٪.

ويعد هذا الرصيد الوثائقي ثمرة سياسة اقتناء اتجهت تدريجياً صوب التخصص في الدراسات المغاربية، الأمر الذي مكّن المؤسسة من التوفر على مجموعات وثائق من أكثر المجموعات غنىً بخصوص الفضاء المغاربي والغرب الإسلامي. وفضلاً عن دراسات العلوم الاجتماعية والإنسانية، تستقبل المؤسسة كذلك الإنتاج الأدبي المغاربي، غير أنها لا تقتني الكتب المدرسية ولا الإنتاج الموجه للأطفال.

– إنشاء مركز توثيق وإعلام بيبليوغرافي يقدّم مجاناً خدمات البحث البيبليوغرافي، حيث يتوفّر المركز على بنكين للبيانات البيبليوغرافية التي تنتجها مصالح المؤسسة، وهما: بنك (ابن رشد) المتخصص في الغرب الإسلامي، وبنك (موسوعة) الذي يحتضن مجموع البيانات البيبليوغرافية. ولقد وضع البنكان على شبكة الأنترنت (www.fondation.org.ma).

رئيس التحرير مع أحد مسؤولي المؤسسة

كما وضعت تحت تصرفهم فهارس المكتبات الوطنية الرئيسية عن طريق الأقراص المدمجة وعن طريق الأنترنت، وللمستعمل كذلك أن يلج مجاناً إلى بنوك بيانات بيبليوغرافية ونصية، خاصة Academic Search Premier الذي توزعه وكالة Ebsco.

– تهيئة فضاء بحث وندوات يسمح بقيام الحوار الفكري والتبادل العلمي والثقافي بين الباحثين والفاعلين من القطاعين الخاص والعام من المغرب ومن خارجه. ولقد كانت هذه الملتقيات مناسبة للتداول في قضايا أساسية ومتعدّدة، ويشهد فهرس منشورات المؤسسة وبوابتها على الأنترنت على مدى غنى هذه الملتقيات وجدية محتوياتها.

المكتبة

عكفت المؤسسة في السنوات الأولى لقيام مكتبتها على تكوين نواة أولية من الوثائق (كتب ودوريات)، على خلفية توجه موسوعي، توخى توفير أمهات المراجع والموسوعات في مختلف الحقول العلمية التي تغطيها خطة التزويد. وهكذا تمكّنت من توفير حوالى ٦٠,٠٠٠ مرجع في لغات العمل الرئيسية (العربية والفرنسية والإنجليزية).

الرقمنة

في إطار مواكبة انتشار الدوريات الإلكترونية وبنوك المعلومات الخاصة بها، اشتركت المؤسسة عبر شبكة الإنترنت في قاعدة البيانات AcademicSearch Premier المتاحة لدى وكالة المعلومات EBSCO. وتضم هذه القاعدة نصوصاً كاملةً لعدد كبير من الدوريات الأكاديمية التي تغطي العديد من التخصصات، كالتاريخ وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا وعلم النفس والفلسفة، والاقتصاد والقانون، وعلوم الأديان والتربية، واللسانيات والأدب وغيرها. ويمكن لجميع رواد المكتبة استخدام هذه القاعدة مجاناً من داخل مبنى المؤسسة.

وشرعت المؤسسة منذ سنة ٢٠٠٢م في توفير معلومات عن مضامين الدوريات المغاربية الحيةً، وانطلقت ابتداءً من سنة ٢٠٠٧م في إنجاز مشروع كبير متمثل في رقمنة مجموع الدوريات المتوفرة في مكتبتها(حوالى ١٧٠٠٠٠ عدداً إلى حدود ديسمبر ٢٠٠٨م)، ونشر صور الفهارس ضمن بوابتها على الأنترنت.

ولقد أسندت مهمّة الرقمنة إلى شركة خاصة، فتمّت إلى حدود ٣١ ديسمبر ٢٠٠٨م تغطية ٥٤٦ مجموعة أي: ما يعادل ٣٢ ٣٩٦ صفحة.

مجموعات الكتب

بلغ عدد الكتب الموضوعة رهن إشارة القراء، والتي توجد عناوينها ضمن قائمة الوثائق المحمّلة على الفهرس الإلكتروني على الإنترنت ٣٨٠,٠٠٠ مجلد، وتحتل اللّغة العربية واللّغة الفرنسية ٣٩٪ من مجموع الرصيد لكل واحدة منهما، وتأتي اللّغة الإنجليزية في المرتبة الثالثة بـ ١٧٪، وتحتل باقي اللّغات ٥٪ من مجموع الرصيد وفي مقدمتها اللّغة الإسبانية.

تتضمن هذه المجموعات معظم ما نشر بخصوص الفضاء المغاربي، بما في ذلك الدراسات الأندلسية، وفي لغات كثيرة، وتحتضن كذلك أحسن ما كُتب في اللّغات العربية والفرنسية والإنجليزية حول العالمين، العربي والإسلامي خلال العقود الأخيرة، كما وجبت الإشارة إلى

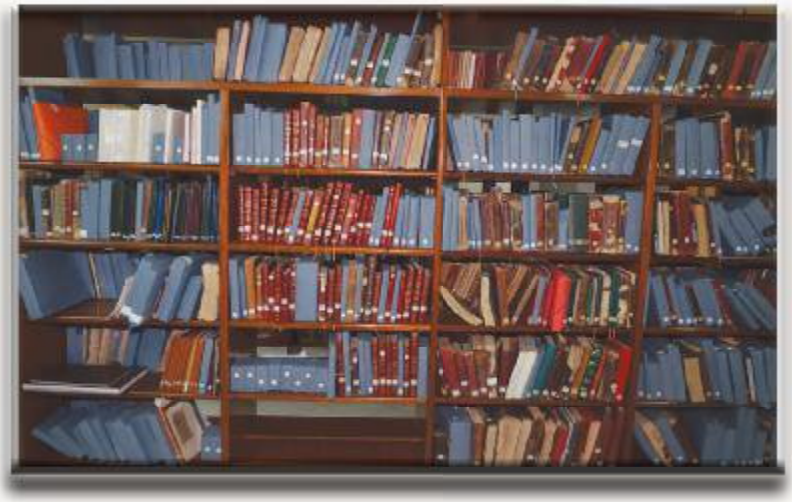

أن هذه الكتب تحتوي على مجموعات قيّمة من الأعمال الأكاديمية، ومن أمهات البحث العلمي الخاصة بالقضايا النظرية والمنهجية في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية في اللّغات الثلاثة: العربية والإنجليزية والفرنسية.=

الدوريات

وصل عدد عناوين المنشورات الدورية إلى ٢٧٩٣ عنواناً من ضمنها ١٣٩٨ عنواناً لدوريات حيّة، وتتكون اليوم مجموعة الدوريات التي تتوفّر عليها مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء من ١٦٠ ٠٠٠ مجلد، وتنمو سنوياً بمعدل ٧٠٠٠ مجلد، وتتوزّع عناوين الدوريات على اللّغات كما يلي: ٣٥٪ عناوين عربية، و٤١٪ فرنسية، و١٨٪ إنجليزية، و٦٪ خاصة بباقي اللّغات.

وهناك ٩٣٨ من العناوين خاصة بالمجال المغاربي، وهي عبارةٌ عن مجلّات ونشرات دورية أخرى تنشر في مختلف البلاد المغاربية (المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، موريتانيا)، أو تصدر خارجها ولكنها تعنى بالفضاء المغاربي المعاصر، أو بتاريخه، أو بجزء من أجزائه. وتجدر الإشارة إلى أن المكتبة تتوفّر على العديد من المنشورات الرسمية الصادرة عن المصالح الحكومية في مختلف البلاد المغاربية، (يتمّ مثلاً اقتناء الجرائد الرسمية المغربية والجزائرية والتونسية بشكل دوري).

أمّا مجالا الإسلام والعالم العربي فتغطيهما ٧٠٦ مجلّات بما فيها عناوين مجموعات كاملة من المجلّات المشهود لها.

ولم يفت المؤسسة أن توفّر لقرّائها عشرات العناوين من المجلّات المتخصصة في مختلف مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية، وكذا الكثير من نشرات المنظّمات الدولية والإقليمية: كالمكتب الدولي للشغل، والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، والأمم المتحدة، والمنظمة العالمية للتجارة وغيرها.

بالإضافة إلى ما سبق، هناك مجموعاتٌ كاملةٌ من العناوين النادرة التي اقتنتها المؤسسة، ونذكر منها: «المقتطف»، و«البيان»، و«الجامعة»، و«الضياء»، و«المشرق»، و«المنار»، و«العروة الوثقى»، هذا علاوةً على عناوين كثيرة في اللّغات اللاتينية، ليصل عدد المجموعات الكاملة من الدوريات إلى ٢٩٦ عنواناً.

ولقد اقتنت المؤسسة في الفترة الأخيرة مجموعات كاملة متكونة من ٣٨ عنواناً من المجلّات الكلاسيكية في اللّغات العربية، والفرنسية، والإنجليزية، والألمانية، والمتعلقة بالأدبيات الاستشراقية، والتي تتمحور حول العالم العربي والإسلام.

كما أن مكتبة المؤسسة تتوفر على رصيد إلكتروني يتمثّل في ٨٢٠٠ عنوانا، منها ٤٦٨١ متوفرة بنصوصها الكاملة، والذي يمكّن لقرّاء المؤسسة الاستفادة منه عن طريق Academic Search Premier المحمّلة على الأنترنت.

الرسائل الجامعية

تتوفّر المكتبة على مجموعة من الرسائل الجامعية، بلغ عددها ٢٤٠٠ عنوانا، وتتناول موضوعات تخصّ المغرب العربي، والعالم العربي والإسلام. ومع أن مجموعة الرسائل المتوفّرة لا تدّعي الشمول والتعبير الدقيق عن اتجاهات البحث العلمي، إلّا أنها تحتضن أعمالاً علمية جيدة، صيغت ٩٦١ منها باللّغة الإنجليزية.

المخطوطات

تزخر مكتبة المؤسسة بمجموعة هائلة من المخطوطات، تمّ إنشاؤها عن طريق اقتناء بعض الوثائق من أشخاص معينين، أو عن طريق اقتناء المكتبات الخاصّة لبعض الشخصيات المغربية مثل: محمد العابد الفاسي، محافظ خزانة القرويين خلال الفترة الممتدة ما بين ١٩٥٦م، و١٩٦٢م، (٤٥٣ مخطوطاً)، والمحجوب بن عيسى المرابط (١٤٤)، ومحمد الوافي العراقي (٥٢٤).

وتتوفّر مكتبة المؤسسة حالياً على ما مجموعة ٦٩٨ مخطوطاً: أي ما يعادل ١٩٥٨ عنواناً، موزعة كالآتي: ٦٤٩ مجلداً أصلياً، و٤ نسخ على الرق، و١٦ شريط مصغر، و٢٩ نسخة.

الحجريات

يقدّر عدد الحجريات التي تتوفّر عليها مكتبة المؤسسة حالياً بـ ٤٥٣ عنواناً، (منها ٢٤٤ طبعة أصلية، و٦ نسخ)، فقد أقدمت على شراء الحجريات التي كانت تزخر بها مكتبة محمد الوافي العراقي (١٣٧ عنواناً)، ومكتبة المحجوب بن عيسى المرابط (٣٢ عنواناً). وللإنتاج المغربي حصة الأسد في هذه المجموعة، ويليه الإنتاج المصري (٧٠ عنوانا)، ثمّ النيجيري (عنواناً)، ثمّ الجزائري (عنوان واحد). وإذا ما اعتمدنا فقط الطبعات التي تتضمن تاريخ النشر (٢٨٥ عنوانا)، فإن هذه المجموعة تغطي الفترة الممتدة من ١٨٥٨م إلى ١٩٣٢م.

وثائق عائلة إدريس السراج

تعدّ أهمّ مجموعة أرشيف تتوفّر عليها المؤسسة؛ فهي من جهة الكمّ تتجاوز ١٥٠٠٠ وثيقة. تمكّن هذه الوثائق من التعرّف على جوانب من الحركية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، التي عرفتها مدينة فاس وضواحيها، في مرحلة تميّزت بدينامية تاريخية انتقالية

شديدة الآثار، كما تفيد في بناء صورة دقيقة للجهاز المخزني وآليات تحكّمه. فمن خلال هذا الرصيد نتعرّف على نظام الأوقاف بفاس من حيث مواردها ووجوه صرفها، وأسماء أهل فاس ممن يدفعون مقادير الأعشار والهدايا للمخزن، كما نقف على وجوه تدبير قضايا المنازعات والخصومات، إلى جانب شهادات فردية وجماعية للتزكية في تولي مهام إدارية وأمنية بدار المخزن.

البطاقات البريدية والصور

اقتنت المؤسسة مؤخراً مجموعة نفيسة من البطاقات البريدية والصور الملتقطة بالمغرب بعدسات المصورين الأجانب، وتعود ملكيتها إلى جامعها السيد حسن بو عياد، الذي أمضى ٣٥ سنة في اقتنائها وجمعها وتنظيمها، بكل ما يتطلبه هذا الجهد التوثيقي من عناية وسخاء وعشق أيضاً.

وتتكوّن هذه المجموعة من ٦٠٠٠ بطاقة بريدية، و٢٠٠٠ صورة فوتوغرافية، جلّها في حالة جيّدة، وهي تشكّل لوحة متجانسة تلتقط مشاهد مختلفة من المدن المغربية خلال الفترة الاستعمارية، ومنها ما يعود لما قبل ذلك، مثل البطاقة البريدية لمدينة الجديدة المؤرخة في سنة ١٨٩٩م.

المونوغرافيات

اعتمدت مكتبة المؤسسة منذ البداية نظام الرفوف المفتوحة، حتى يتمكن القارئ بموجبه من أخذ الكتب المرغوب فيها من أماكن تخزينها مباشرةً، والاشتغال عليها داخل قاعات المطالعة.

ومع التطور الذي عرفه عالم التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال وإنشاء المؤسسة لبوابتها على الأنترنت، وتوفير فهرس عام متعدد اللّغات، صار بإمكان رواد المكتبة البحث السريع عن وثيقة ما، أو استخراج بيبليوغرافيا كاملة، إن بواسطة الحواسب التي يفوق عددها المائة، والمتوفرة داخل قاعات المطالعة وفي بهو المؤسسة، أو عن طريق البحث في الفهرس العام على الأنترنت من خارج المؤسسة، ويكفي للحصول على الوثائق المطلوبة الانتباه لنظام الإشارات لمعرفة المكان الذي خزّنت فيه هذه الوثائق بالتحديد.

بنك ابن رشد

اهتمام المؤسسة الخاصّ بالمجال المغاربي قادها إلى العمل على الحصول على ما ينشر في شأنه، ويتمّ إخضاع كل الوثائق المحصّل عليها إلى عملية الفهرسة والتكشيف.

ولا يقتصر الأمر على الكتب وحدها، بل يشمل كذلك المقالات والمساهمات المنشورة في مؤلّفات جماعية. وتنتظم البيانات التي يتمّ إنتاجها في بنك المعلومات -ابن رشد- الذي أنشئ سنة ١٩٨٩م، والذي يتوفّر الآن على ٧٨,٠٠٠ تسجيلة بيبليوغرافية. هذا مع العلم أنه يزوّد يومياً ببيانات إضافية، بحيث يصل متوسط التسجيلات المضافة سنوياً خلال العقد الأخير إلى ٩,٠٠٠ وحدة.

ويعدّ بنك المعلومات ابن رشد من بين أفضل مصادر البيانات حول المنطقة المغاربية والأندلس، إن لم يكن أحسنها على الإطلاق. ويتمّ البحث فيه عن طريق الكلمات المفتاح أو عن طريق التخصص وتقسيماته، والتقسيم الجغرافي وكلمات العنوان. ويمكن أيضا البحث عن طريق اسم المؤلّف أو الناشر أو تاريخ النشر.

بنك ببيانات يشتمل على التسجيلات الخاصة برصيد المؤسسة بأكمله، وقد وصل عدد التسجيلات الموضوعة فيه إلى ٢٤١,٠٠٠ تسجيلة، ويتضمّن هذا البنك كل ما يتعلّق بالدراسات المغاربية والعربية الإسلامية، وكذا الدراسات النظرية والمنهجية في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية.

الإصدارات

مجموع الإصدارات المطبوعة والإلكترونية التي نشرتها المؤسسة منذ نشأتها إما لوحدها أو بتعاون مع ناشرين، أو في إطار اتفاقيات دعم تتعلّق بأعمال ندوات ومؤتمرات وحلقات علمية، وكذا بمادة محاضرات وبأبحاث لأكاديميين، كما يتعلّق ببيبليوغرافيات متخصّصة وبفهارس تقرّب القارئ من محتويات مكتبة المؤسسة.

مراجع مغاربية

عبارة عن نشرة إخبارية تعرّف بمختلف الأنشطة التوثيقية والإعلامية والعلمية التي تضطلع بها المؤسسة، كما تتضمّن مقالات قصيرة حول قضايا الكتاب والنشر والمكتبات، وتعرف بجوانب من المجموعات التي يزخر بها الرصيد الوثائقي للمؤسسة.

دراسات مغاربية

مجلّة تصدر عن المؤسسة، وتتضمّن دراسات متنوعة، ومادة بيبليوغرافية تتعلّق بما تقتنيه مكتبة المؤسسة من عناوين خاصّة بالمنطقة المغاربية، وبمحيطها الثقافي والتاريخي. شرع في إصدارها ابتداءً من ١٩٩٦م، وجاءت لتحلّ مكان مجلّة «بيبليوغرافيا الغرب الإسلامي»، التي صدر منها ٢٨ عدداً، حتى توقفت عن الصدور على الورق منذ ٢٠٠٥م.

وزير الأوقاف المصري د.طلعت عفيفي:
مهمتي إعداد جيل من الدعاة على بينة ورؤية وسطية

محمّد حبيب - القاهرة : دار الإعلام العربية

أكد وزير الأوقاف المصري د.طلعت عفيفي أن التشدّد الديني نتاجٌ طبيعي لغياب العلم الحقيقي، واندثار الحلم وقلّة الفطنة مع شيوع وتأصّل الجهل.. وأوضح أن وزارته تسعى لإعداد جيل جديد من الدعاة، قادرين على اختراق هذا التشدّد بالبيّنة والحكمة، والرؤية الوسطية الحقّة، بما يظهر سماحة الإسلام ووسطيته.. وأكّد الوزير من جانب آخر على عمق العلاقات التي تجمع مصر ودولة الكويت، وأشاد في حواره مع «الوعي الإسلامي» بالعلاقات الممتازة بين البلدين، خاصةً في الإطار الدعوي.. معربًا عن أمله في أن تتكامل الجهود بما يخدم مصالح الأمّة الإسلامية.. تفاصيل أوفى في سياق الحوار التالي.

● يلتقي الحرص على تعزيز قيم الإسلام الوسطية السمحة بين القائمين على شؤون الأوقاف الكويتية والمصرية.. فماذا عن علاقات البلدين فيما يخص وزارة الأوقاف؟

- زرت الكويت أكثر من مرة، وتربطنا علاقاتٌ ممتازةٌ مع الإخوة الكويتيين سواءٌ في وزارة الأوقاف، أو على صعيد العلماء والدعاة والمؤسسات الدينية في البلدين، وقد زرت سابقًا وزارة الأوقاف الكويتية وعملت من خلال مساجدها في العديد من الأنشطة الدعوية، وتتمّ دعوتنا مرارًا لحضور مؤتمرات وندوات إسلامية في الكويت، فالتبادل قائمٌ بين البلدين وعلى مستوى الشعبين وعلى الصعيد الرسمي، فنحن كوزارة أوقاف نحرص على التعامل مع جميع الدول في كل ما يخدم رسالة الإسلام السمحة، وهناك أنشطة دعوية تخدم الشعوب العربية، لأن نشاطنا لا يتوقف على كونه نشاطًا داخليًا فقط، لكننا وزارةٌ لها عالميتها ووحدتها، وآفاقها الخارجية الممتدة نحو الجميع من أجل خدمة الإسلام كدعوة، وخدمة المسلمين كهداية نحو الوسطية والطريق الصحيح، من خلال المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الذي يعد أهم أذرع الوزارة في الاهتمام بالشأن العالمي بجانب الشأن الداخلي.

● إلى أي مدى يمكن لوزارة الأوقاف المصرية استغلال مواردها وعائداتها المادية الخاصة بالوقف في مناهضة الفقر، ومساعدة الأقليات الإسلامية المنكوبة في العالم؟

- حتى اليوم وحتى هذه اللّحظة فإن الدور الذي تقوم به وزارة الأوقاف المصرية في إطار استغلال العائد من الوقف يكون قاصرًا فقط على أنشطة الدعوة الإسلامية، ومساعدة بعض الفقراء داخل جمهورية مصر العربية، ويجب على الجميع ألّا ينسى أن مصر توضع في مصاف الدول

النامية.. لكن في ظل ما نعيشه في هذه الآونة الأخيرة من تراجع اقتصادي بسبب الظروف التي مرت بها البلاد فمن المؤكّد أن هذا أدى حتمًا إلى عدم المقدرة على تقديم المساعدات للدول الأخرى التي تعاني شعوبها، أو أقلياتها من نكبات أو أزمات، لكننا نطمع في المستقبل القريب أن نعمل على تثمين دور الوقف حيال قضايا المجتمع الدولي، أو الأقليات الإسلامية الأخرى، وحتمية العمل على إمكانية تعظيم استثماراته بحيث تعود علينا بماديات أكبر نستطيع من خلالها تغطية المزيد من هذه الاحتياجات، والانطلاق بها نحو آفاق أبعد وأوسع، وممّا لا شك فيه أنه من ضمن الخطط التي وضعناها منذ قدومنا للوزارة هي مناهضة الفقر، والعمل على إتاحة فرص عمل للحد من معدل البطالة المتزايد، والمساهمة في الدفع بعجلة الإنتاج من خلال استغلال عائدات الوقف في بناء المصانع، وشركات الإنتاج في المجالات المختلفة، أو في مجالات زراعية يحتاج إليها المجتمع، ونأمل أن تؤتي جميع هذه الخطط ثمارها في المستقبل القريب.

● ما أسباب ظهور الاتجاهات المختلفة للتشدّد الديني وأبعاده المختلفة؟

التشدّد الديني المتمثّل في ممارساته العدوانية البغيضة التي ما أنزل الله بها من سلطان، والذي نشهد موجاته العارمة بين أوساط أمّتنا الآن، ما هو إلا نتاجٌ طبيعيٌ لتأصّل مفاهيم الجهل، وغياب العلم واندثار الحلم، وقلّة الفطنة والفهم لدى القابعين في أحضان هذا التيار الفوضوي، الذي أباح لنفسه حرّية التكفير للغير بأسانيد أساءوا فهمها وتفسيرها، ظنًا منهم بأن ذاك هو صحيح الإيمان، والعامل الحقيقي في مناهضة هذا

علاقاتنا بالإخوة في الكويت ممتازة ونعمل معا على كل ما يخدم رسالة الإسلام السمحة

التيار هو العمل في إطار دعوي، يقوم في مستنده على الدعوة وفق البيّنة، وفي إطار البصيرة في أجواء روحانية هادئة دون قيود، أو ضوابط من الحكومات فسوف تتلاشى هذه الأفكار رويدًا رويدًا، وهذه هي أولى أطروحاتي كوزير للأوقاف بتغيير المفهوم الدعوي الذي كان متكئًا على معايير لا تسمح بإقامة جيل جديد من الدعاة قادر على دحض هذه المفاهيم التشدّدية داخل المجتمع، وسيضع معايير صارمة لتأهيل وإعداد دعاة قادرين على ممارسة الدعوة في إطار من التبصرة على بيّنة ورؤية وسطيّة حقّة.

● في تقييمك.. ما أهمّ أسباب تراجع دور الدعوة الوسطيّة؟

– لقد كان لبعض الجهات اليد العليا في الموافقة على اعتماد الدعاة لدى الدولة، وهذا الأمر وقف بالفعل كحائط صد منيع ضد ظهور دعاة ذوي كفاءات وقامات عالية في مقابل تصدّر غيرِ المؤهلين للمشهد الدعوي، حتى الدورات التدريبية التي كانت تعقد لهم كانت غير ذات جدوى وغير عملية.. لكن الآن الوضع اختلف تمامًا عن ذي قبل، فنحن الآن بصدد قبول دفعة جديدة من الدعاة قوامها قرابة ٣٠٠٠ داعيةً، نضع من

نعمل على مناهضة الفقر باستغلال عائدات الوقف في دفع عجلة الإنتاج

خلالها ضوابط قويّة، وامتحانات تتّسم بالمصداقية التي لا تجامل ولا تحابي أحدًا.. وبدأنا الدفع بأئمتنا إلى التدرج باختيار مناهج تساعدهم على إعدادهم بشكل أفضل، وأساتذة يجمعون بين الخُلق والعلم، ومنَ المتوقع أن تشهد مصر طفرةً كبيرةً في نوعية الدعاة الجدد، ونهضةً دعويةً هائلة في المستقبل القريب في هذا الشأن.

● وهل تمّ وضع معايير جديدة عن السابق في قبول الدعاة الجدد؟

– أهم المعايير التي وضعناها لقبول الدعاة الجدد هي: حفظ القرآن الكريم كاملًا، والإلمام الجيّد بالسّنّة النبويّة الشريفة، والقدرة الجيّدة على الحديث باللّغة العربية بصورة صحيحة، بالإضافة إلى ضرورة تمتّع الداعية بالوسطية في الفكر وعدم الشذوذ بأي حال عن هذا الإطار، وأن يكون ملمًّا بالثقافة الإسلامية العامّة التي نستطيع من خلالها التعرف على الواقع، والإلمام بالأحكام الشرعية الصحيحة، وأن يكون أكثر إلمامًا بثقافة الواقع والظرف الراهن المتجدّد، ووفق كل هذه المعايير لدينا الثقة الكاملة في اللّجان المنوطة بتقييم اجتياز الدعاة لهذه القدرات في اختيار أفضل العناصر التي تحقق الهدف الأسمى منها، وهو نشر وسطيّة الإسلام السمحة بمفهومها الواسع الصحيح.

● ماذا عن تصوراتكم إزاء الصراع الكائن بين الفقه الإسلامي والفلسفة الإسلامية؟

– إعمال العقل في مجال النص من دون ضوابط يؤدي إلى هذا الصراع وهذه الاختلافات، فإعمال العقل في النص بدرجة تخرجه عن مدار الوسطيّة هو في حدّ ذاته خلل في التفكير وحياد عن الحق، والعقل

قد سُمي عقلًا، لأن له حدودًا يقف عندها وخطوطًا حمراء لا يمكن له أن يتعداها فهو يعقل عنها، فإذا ما أطلقنا العنان لهذا العقل ليتكلم في كل شيء ويفكر في كل شيء وبأي أسلوب، ويعترض على أي شيء دون ضوابط، فذلك يؤدي بالقطع إلى خلل واضح في ضوابط الإيمان وشرائعه، ومِن ثَمّ ينشأ الصراع.. أمّا إذا كنا نعتبر الوحيين -الكتاب والسنة- هما الأصل الذي يعتمد عليه العقل في فهم الحدود والتشريعات، ودائرة إعمال العقل تنطلق في ضوء مقاصد التشريع، هنا يتمّ التلاقي والتفاهم بين الجميع، ولا تنشأ أيّ صراعات فلسفية من صنع البشر بعيدًا عن منهج ربّ البشر، فالثقافة الغربية فعلت ذلك، وعظّمت دور العقل وأتاحت له الفرصة على مصراعيها ليتناول ويعالج كل شيء، بما في ذلك أمور الألوهية والمعجزات والآخرة والعديد من القضايا، الأمر الذي أدّى إلى توسيع الفجوة بين آداب الفقه الإسلامي المنضبط وما يسمى بالفكر الإسلامي الذي يميل إلى الفلسفة الغربية.

● وماذا عن موقف المنهج الإسلامي الصحيح من الفلسفة التي تنتصر للعقل على النص؟

- أنا رجل دعوة وعقيدة إسلامية وليس لي علاقة بالفلسفة، لذلك نحن لا نحكم بنصوص البشر التي هي من صنع عقولهم، لكننا نحتكم لشرع الله، فإذا رجعت هذه الفلسفة إلى الكتاب والسّنّة، وجعلتهما الأساس والأصل فهي فلسفةٌ صحيحةٌ، وإذا انطلقت وراء الغرب بأفكاره ومنهاجه دون ضوابط فحينئذ لا تعدّ فلسفة إسلامية وإن أطلق عليها هذا الاسم.

وزير الأوقاف المصري د. عفيفي مع الزميل محمد حبيب

التشدد الديني نتاج طبيعي لتأصل الجهل وغياب العلم واندثار الحلم وقلة الفطنة

● أشرتم في بداية الحوار إلى تعظيم الاستفادة من الوقف.. فماذا عن مقترح البعض بإنشاء هيئة خاصة لجمع أموال الزكاة؟

- هذا الأمر يعود بالنفع الكبير على المسلمين، فعندما يشعر الناس أن هناك جهة مسؤولة ذات ثقل وثقة في الحفاظ على أموالهم، ووضعها في نصابها الحقيقي، وتوزيعها توزيعًا مشروعًا فهذا يشجع الناس أكثر على الثّقة في إخراج أموالهم بصفة دورية منتظمة، وسيكون الأمر بالطبع أفضلَ ممّا هو عليه الآن من إخراجها بشكل فردي من قبل الناس، ما قد يدعو في أحيان كثيرة إلى تكاسل البعض، أو إغفالِ إخراجها.

● بالقياس على ذلك، هناك مخاوف حقيقيةٌ لدى غير المسلمين من فرض الجزية عليهم؟

- لا نريد أن نستخدم ألفاظًا لا يراد بها إلّا الفرقعة الإعلامية وإحداث البلبلة، فالزكاة فرض على المسلمين كما أوضح القرآن الكريم في كثير من آياته، وكما أوصى رسول اللهﷺ: «تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم»، فإذا كان الإسلام قد أوجب هذا الأمر على المسلمين فما علاقة غير المسلمين به.

● أخيرًا.. هل توافق على الصلاة في المسجد الأقصى إذا ما وجهت لك الدعوة؟

- لا ينبغي لي أن أذهب إلى هناك، ولا يمكن أن أوافق على أن يكون المبدأ في ذلك من قبيل «السماح لنا والسلطان علينا من قبل الاحتلال الصهيوني»، فهو يبقى كيانًا محتلًا وكيانًا غاصبًا، ولا ينبغي لنا أن نضع أيدينا في أيديهم الملوثة بدماء أبنائنا في فلسطين، وإلّا كان ذلك إقرارًا منا بأنهم على حق في ممارساتهم العدوانية البغيضة ضد الشعب الفلسطيني.

الدين والتدخين

د. محمد عبدالله الصديقي
طبيب كويتي

قال سبحانه وتعالى: ﴿...وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ...﴾ (الأعراف: ١٥٧).

لقد أحل الله تعالى لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث، فالواجب على المؤمن أن يتبع أوامر الله ورسوله ويجتنب كل ما نهى عنه الله ورسوله، وعن كل ما يؤذي حياته ويوقعه في مخاطر كثيرة لا حصر لها..

والقاعدة الشرعية في الطعام، هي أن كل طيب وطاهر ونافع حلال، وكل خبيث وكريه وقذر ضار وحرام، وهذه تنطبق على كل ما أبيح أكله وشربه، وكون الشيء ضارًا أو نافعًا، يرجع فيه إلى أهل الشأن من العلماء والأطباء.

ولقد قال العلم كلمته في التدخين، وأوضح العلماء سمومه وأضراره، وقد أوضح بعض العلماء أن التدخين ما هو إلا حرق للمال من دون فائدة، وقد قال تعالى: ﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾(الإسراء: ٢٦).

ولنتناول علاقة الدخان بأجهزة الجسم

● الدماغ والأعصاب، سموم التدخين إذا وصلت إلى الدماغ فإنها تسبب نوعًا من الخدر والفتور، وهذا فعل ما يسمى النيكوتين، إذ إنه يعمل كمهدئ ومنشط في آن واحد، وهذا هو سر الإدمان.. ومن تأثير الدخان أنه يسبب الرجفة في اليدين والرجلين، نتيجة التهاب الأعصاب، كما يصاب الشخص المدخن بصداع في الرأس، وأيضًا يضعف الذاكرة ويقلل من الذكاء، كما يقلل حاسة التذوق لدى المدخنين.

● الجهاز التنفسي: التدخين يخرب الأنسجة المبطنة للحويصلات الرئوية، ويضعف وظائف التنفس، ويسبب التهابات في الأنف والبلعوم والحنجرة والقصبات الهوائية، وهناك علاقة كبيرة جدًا بين التدخين والإصابة بسرطان الرئة.

قال بعض العلماء: سموم الدخان تسبب طفرات في الخلية، ما يؤدي إلى سرطان الأنسجة.

● القلب والأوعية: إن أهم أسباب الإصابات والنوبات القلبية تعود إلى التدخين.

وغيرها من الخسائر الناتجة عن الحرائق بسبب أعقاب السجائر، فهي تفوق كل أرباح الشركات والضرائب التي تحصل من هذه الصناعة.

السؤال الذي يطرح نفسه، هل من عاقل واحد يمسك سيجارة ويدخنها وقبل أن يشربها يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم».. وبعد أن يشربها يقول: «الحمد لله، اللهم زدنا من هذه النعم!، هذا مستحيل.. إذن هذا دليل فطري على أن الدخان خبيث.

وقد حرم الله تعالى الانتحار فقال: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(البقرة: ١٩٥).

فالتدخين يعتبر انتحارًا بطيئا، وقد حذر رسولنا الكريم ﷺ عن ذلك فقال: «من تردّى من جبل فقتل نفسَه، فهو في نار جهنمَ يتردّى فيه خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تحسى سمًا فقتل نفسَه، فسمُّه في يده يتحساه في نار جهنمَ خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن قَتل نفسَه بحديدة، فحديدتُه في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنمَ خالدًا مخلدًا فيها أبدًا»(متفق عليه).

فمن هنا يجب على الإنسان المؤمن أن يعرف نفسه ويعرف قيمة الحياة، ويعرف قيمة الصحة وهذه الصحة وسيلته إلى الآخرة، وهذه الصحة وما فيها جسر له إلى الجنة، فلهذا يجب عليه أن يبذل ما في وسعه ليحافظ على صحته وسلامته لأنها له رأس ماله.

وصدق من قال في ضرر التدخين:

دخان هذا غدا عملة
لها وجهان
فكيف يغتر بالزيف
من له عينان
أشد بالناس فتكًا
من لدغة الثعبان
فهو بحق خبيث
كالسم للأبدان
سل الأطباء عنه وادرسه
في الأديان
واعرضه يومًا على العقول
ضعه في الميزان
تجده أخبث ما في
النبات في البستان
كم اشتكى الدم منه
والقلب والرئتان
كم سبب سرطانًا
وصفرة الأسنان
وعسر هضم ونتنًا
يعافه الزوجان

مجالات الوقف العلمي

السيد أحمد المخزنجي
صحافي مصري مقيم بالكويت

الوقف سواء أكان وقفًا خيريًا أم وقفًا ذريًا، أحد المصادر الرئيسية لنشر التعليم والتربية، وإثراء المعرفة، بدءًا بالوقف على الكتاتيب(١)، «وأصبحت الأموال الموقوفة سببًا في تحقيق إنجازات رئيسة في الفروع المتصلة بعلم الكيمياء والأدوية. وكانت كليات الطب والمستشفيات التعليمية هي المختبرات العلمية لتطور ولتطوير العلوم التجريبية وعلم الصيدلة»(٢)

كما خدم الوقف العملية التعليمية من خلال بناء المدارس وتوفير المدرسين والإنفاق عليهم، وعلى الطلاب واحتياجاتهم، مما ساعد على ازدهار التعليم الإسلامي. «فأنشئت مدارس كثيرة في الحواضر العلمية في بغداد والقاهرة ومكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق والبصرة والكوفة»(٣)

أما فيما يتعلق بمجال التعليم العالي، فقد كان للوقف أثر بارز في تمويل الدراسات البحثية والأنشطة الأكاديمية في مجالات عدة، «ومن ذلك تمويل الوقف كلية طب المستنصرية التي كانت بها قاعات للمحاضرات وكراسي للتخصصات الدقيقة»(٤).

الوقف على المدارس ودور التعليم

لقد تعددت الأوقاف الإسلامية وتنوعت بحسب حاجة المجتمع المسلم إليها، وسوف تنحصر ورقتنا هذه على «كرسي الوقف العلمي والتعليمي» فنشير في هذا الصدد إلى دور الوقف في المجالات التالية:

- الوقف على المدارس ودور التعليم المختلفة.
- الوقف على الكتب والمكتبات.
- الوقف ودوره في دعم البحث العلمي.
- الوقف ودوره في دعم جهود العلماء.

لقد كثرت الأوقاف على المدارس ووجوه البر، ولم تنقطع الأحباس على المساجد والمدارس. يقول الشيخ محمد أبوزهرة -رحمه الله- فإذا ما استكثر الوقف على المسجد وقف على مدرسة بعين المرتبات تعينًا دقيقًا من غير ما سرف ولا تقتير، «يقصد صاحب الوقف»(٥)، ويجعل الباقي لنفسه والذرية من بعده(٦)، «وقد كثرت المدارس الوقفية وتعددت، وكان يدرس فيها العلوم النقلية والعقلية والتطبيقية»(٧).

الوقف ودوره في دعم البحث العلمي ودعم جهود العلماء

لقد أسهم الوقف بشكل ملحوظ في نشر العلم تعلمًا وتعليمًا وبحثًا، بل لقد كان سببًا في كثير من الإنجازات العلمية والحضارية من التي شهدها العالم الإسلامي في العصور الماضية، وذلك عن طريق دعم الوقف الخيري لمرافق التعليم ودور العلم، ومن ذلك على سبيل المثال أن خصصت أوقاف كثيرة على حلقات العلم في جامع عمرو بن العاص في مصر، منها زاوية الإمام الشافعي رضي الله عنه، يقال أنه درس بها الشافعي فعرفت به، وعليها أرض بناحية سندبيس وقفها السلطان الملك العزيز عثمان بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب،... حتى إنه قيل: إن حلقات قراءة العلم بلغت بضعًا وأربعين حلقة في جامع عمرو ابن العاص بمصر في سنة ٧٤٩هـ، لا تكاد تبرح منه. «ويذكر ابن بطوطة أن ميزانية هذا الجامع الوقفية من مستغلات وجباية بلغت نحو خمسة وعشرين ألف دينار ذهبًا في كل سنة»(٨).

ذلك أن الإسلام ينظر إلى العلم والتعلم على أنه عبادة. «ولذا ورد في القرآن الكريم ذكر العلم ومشتقاته والإشارة إلى أهميته في ٧٨٠ آية قرآنية»(٩) وعدد من الأحاديث النبوية الشريفة، وهذا يميز الإسلام عن غيره من الديانات.

ومما يستدل به على الوقف ودوره في دعم جهود العلماء، ما تذكره المصادر والمراجع العلمية الموثقة في هذا الصدد، مما اشترطه بعض الواقفين من تدريس كتب معينة، وهو بذلك يضع الحد الأدنى من التعليم الذي يجب أن يلقنه المدرس لطلابه، ومن ذلك ما نصت عليه إحدى الوثائق على أن يكون المدرس «قادرًا على إلقاء الدروس على الطلبة من الكشاف للزمخشري، ومن المفتاح للسكاكي، ومن الهداية في فقه الإمام أبي حنيفة، ومن البردوني في أصول الفقه»(١٠).

ويذهب البعض إلى القول بأن «أغلب فقهاء المسلمين وعلماء دينهم ترعرعوا وأُنشئوا على ما وضعته أموال الوقف تحت تصرفهم»(١١).

ومن المعروف أن البحث العلمي هو الركيزة الأساسية لأي عمل، في أي وجه من وجوه الحياة، ذلك أن البحث العلمي ووسائله وطرائقه الاختيارية والتحليلية هي أسس الحكم على صلاحية أي مشروع أو أي عمل يزمع القيام به.

لكن الملاحظ الآن غياب قيمة الوقف في مناهجنا التعليمية الحديثة، مما يؤثر سلبًا على معرفة الأجيال بتلك القيمة العلمية الشرعية، واكتشاف دعمها للتوجه الاقتصادي في تنمية المجتمع الإسلامي وتحقيق نهضته وتقدمه في العالم المعاصر.

الكراسي العلمية: يمكن لإدارة الأوقاف أن تأخذ على عاتقها دفع رواتب لمجموعة من العلماء الزائرين العالميين من ذوي السمعة العلمية المشهود لها على مستوى العالم، كالحاصلين على جوائز علمية عالمية في تخصصاتهم العلمية (الطب – الهندسة – الاقتصاد... الخ) مثل جائزة نوبل العالمية، وجائزة الملك فيصل العالمية، في تلك المجالات وغيرها التي تخدم العلوم والفكر الإسلامي عامة. وهو ما لم يتحقق بعد.. مما يكشف عن واقع العلاقة بين الوقف ومؤسسات التعليم والثقافة في عالمنا العربي الإسلامي المعاصر.

ونتبين من ذلك الدور الذي قامت وتقوم الأوقاف به في تمويل ما نسميه الآن «قطاع الخدمات» مثل التعليم والصحة، وإنشاء وإدارة المرافق المحلية، وإعانة المحتاجين مما يفيد تقرير نوع من الضمان الاجتماعي حسب التعبيرات المستخدمة الآن.

الملامح العامة لتمويل الوقف في مجال التعليم تتجلى في النقاط التالية:

١- تتأسس العلاقة بين الوقف والاقتصاد على أساس المنفعة التي تشكل المشترك الرئيس بينهما في شكل فرضية نظرية، على أن التنمية لا تتحقق بمعزل عن حركة السيولة في السوق(١٢).

٢- الوقف من حيث كونه نظامًا اقتصاديًا شاملًا معترف به وثيق الصلة بقطاعات الدولة الزراعية والسياسية والاقتصادية والتعليمية، باعتبار أن الوقف هو الداعم القوي لتلك القطاعات والمساند المهم لها.

٣- اقتصاديات الوقف لا تعني قصر الأوقاف على خدمة المساجد فقط، بل هي تؤمن بأن التكوين الاقتصادي لقطاع الأوقاف يجب أن يستغل استغلالًا شاملًا في إثراء الحالة التنموية العامة للدولة(١٣).

٤- الوقف نظام خدمي اقتصادي خاضع لإشراف الدولة ولقوانينها وأسسها الاقتصادية، ومن هذا المنطلق يستطيع الوقف المساهمة في إصلاح ودعم التعليم.

٥- الوقف في ميدان التعليم ليس مجرد تبرع بالأموال، ولكنه منظومة اقتصادية مؤسسية تحكمها مواثيق وقوانين وضوابط شرعية وفقهية، تنقلها من طور العشوائية الى طور التنظيم والتقنين المؤسسي(١٤).

٦- الوقف يؤمن بأن الطاقات الإبداعية للأفراد قادرة على إعادة هيكلة الرؤية الوقفية في مجال تمويل التعليم من خلال تنمية الدراسات وتشجيع البحوث التي تتناول هذا القطاع تطويرًا وتحديثًا وتفعيلًا، لتأكيد أهميته ودوره الفاعل في المجتمع.

٧- الوقف الإسلامي في المنظور التربوي هو استثمار للطاقات البشرية لخدمة التعليم والعلماء والطلاب والمناخ التعليمي بصفة عامة(١٥)، ومن ثم فإن تضمين مناهج التعليم لمعلومات عن الوقف ومجالاته وعلومه يعد أمرًا مهمًا في هذا الصدد.

٨- الوقف يمكن استغلاله في تنمية رأس المال البشري من خلال الوقف على علومه، أي علوم الوقف، وتعليمه في المؤسسات الوقفية والأكاديمية في عالمنا العربي والإسلامي.

الهوامش

١- دور وأماكن تحفيظ القرآن الكريم في البلاد الإسلامية.

٢- الوقف والبحث العلمي كاستثمار، للدكتور، محسن بن فارس الحازمي، ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية، وزارة الشؤون الإسلامية، مكة المكرمة، ١٨-٢٠ شوال ١٤٢٠هـ، الرياض، ١٤٢٦هـ، ج١ ص٥٣٣.

٣- الوقف في خدمة البحث العلمي، للدكتور ناصر بن ابراهيم القويم، ضمن بحوث ندوة «مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية»، المرجع السابق، ج١، ص٦٦٩.

٤- دور الوقف في النمو الاقتصادي، للشيخ صالح عبدالله كامل، بحث منشور ضمن أبحاث ندوة «نحو دور تنموي للوقف» وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة الكويت، ١-١٩٩٣/٥/٣م، ص٤٦.

٥- حيث يشير في ذلك إلى واقف يُدعى «برسباي» الذي خصص جميع ما يملك من عقارات في القاهرة على مسجده الذي سماه الأشرفي.

٦- انظر: محاضرات في الوقف، للإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة ١٩٧١م، ص٢٤-٢٥.

٧- انظر للمزيد والتفصيل: الوقف في خدمة البحث العلمي، للدكتور ناصر بن إبراهيم التويم، ضمن بحوث ندوة «مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية»، مرجع سابق، ج١، ص٦٦٧-٦٦٩.

٨- اقتصاديات وإدارة الوقف، مرجع سابق، ص١١٧.

٩- الوقف في خدمة البحث العلمي، للدكتور ناصر إبراهيم التويم، البحث السابق، ص٦٧١.

١٠- دور الوقف في التعليم بمصر، المرجع السابق، ص٥٣.

١١- اقتصاديات وإدارة الوقف، د.محمد الفاتح محمود المغربي، مرجع سابق، ص١١٥.

١٢- تمويل التعليم والوقف، مرجع سابق، ص٥٩.

١٣- تمويل التعليم والوقف في المجتمعات الإسلامية د.علي صالح جوهرة وآخر، مرجع سابق، ص٦١.

١٤- المرجع السابق، ص٦٢.

١٥- تمويل التعليم والوقف.. المرجع السابق، ص٦٣ «بتصرف».

الحُرِّيَّة وكَرامةُ الإنسان

د. محمد مورو
رئيس تحرير مجلة المختار الإسلامية - مصر

تمثل الحرية القيمة الأعظم -بعد التوحيد- بالنسبة للمشروع الإسلامي في مستواه العام والخاص، وتمثل القيمة الأعظم على الإطلاق بالنسبة للمشروع الحضاري العام، أي فيما يخص المسلمين وغير المسلمين.

ذلك أن رسالة الإسلام تستهدف تحرير الإنسان في كل زمان ومكان، وتستهدف تحقيق الحرية للبشر كل البشر، وحتى الجهاد في الإسلام موجه أساسًا لرفع الظلم والإكراه ووضع البشر كل البشر على قاعدة الاختيار الحر بلا إكراه ولا تعصب ولا ظلم، ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾(البقرة: ٢٥٦)، ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩)، ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(يونس ٩٩).

فالإكراه مرفوض إسلاميًا، حتى ولو كان إكراهًا على الإسلام، لأنه في هذه الحالة يكون حرامًا ولا يرضى به الله ويحاسب من يقترفه، والفرق بين الإسلام والوثنية في إحدى صوره هو الفرق بين الحرية والإكراه، ذلك أن الوثنية لا تتحقق إلا بالإكراه والخداع، والإسلام لا يتحقق إلا بالحرية والاختيار الحر.

الإسلام يحرص على حرية التفكير، حرية الاختيار (اختيار العقيدة والمذهب والتصور)، حرية اختيار شكل النظام السياسي وحرية اختيار الحكام بكل درجاتهم وحرية تغيير الحاكم، حرية التنقل، حرية إقامة الشعائر، حرية الحوار، وحرية تبادل الرأي، ويرفض التعصب والاستبداد السياسي والقهر الطائفي والديني والقومي والعرقي.

أما الكفر فيحرص على القهر والنهب والظلم والاستبداد، والقوى الشيطانية تحرص على الحيلولة دون حرية الاختيار وتحرص على وضع عملامات إرشادية مزيفة على الطريق، وتحرص على نشر التعصب، وتحرص على إلغاء حرية التفكير بكل صورة ووسيلة، وتحرص على نشر الجهل والخرافة والتعصب للآباء والأجداد والأسرة والقبيلة والوطن والقومية... إلخ.

والقرآن الكريم يطلق على هذا السلوك الشيطاني كلمة «المكر» ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾(سبأ:٣٣) وكلمة المكر تعني أصلًا الخداع والقهر واستخدام الوسائل المختلفة لإكراه الناس على العقيدة والتصور الذي تريده القوى الشيطانية ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ (الأعراف: ١٢٣) ﴿مَّا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾(غافر: ٢٩) وهذه الآية على لسان فرعون.

وصحيح أن الناس تصل إلى الإسلام وتعتنقه بمجرد تحقيق حرية التفكير والحوار والاختيار الحر، لأن الإسلام دين الفطرة، والعقل والكون والوجدان، والقلب يقود إليه، ولكن حتى بصرف النظر عن هذا فإن أمة الإسلام مطالبة بتحقيق الحرية للبشر كل البشر بصرف

النظر عن النتيجة، إذ إن تحقيق الحرية غاية في ذاته ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(الانفال: ٣٩)، أي: فقاتلوهم حتى يكفوا عن إكراه الناس على الكفر، فإن كفوا عن هذا فلا مشكلة، فقاتلوهم حتى يكفوا عن فتنة الناس بالقهر والظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي فإن كفوا فلا عدوان إلا على الظالمين.

المسلم والجماعة المسلمة والأمة المسلمة مأمورون بالجهاد لتحقيق حرية الاختيار ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، ولتحقيق حرية التنقل ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا﴾(النمل:٦٩) إذ كيف يسير الناس في الأرض بدون حرية التنقل، وبالجهاد ضد التعصب وضد الجهل والخرافة، ضد الاستبداد السياسي «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» (صححه الألباني) والتفكير فريضة إسلامية، والله تعالى يدعو الناس إلى التفكير في عشرات الآيات القرآنية ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ﴾ ﴿أَفَلاَ يَعْقِلُونَ﴾...إلخ.

مهمة المسلم

الدفاع عن الحرية فريضة إسلامية، وتحقيق الحرية بكل صورها وأشكالها مهمة المسلم والجماعة الإسلامية والأمة الإسلامية، بل إن المهمة الأولى لنا هي الدفاع عن حرية الشعوب والطوائف والأقليات والأفراد على حد سواء، حرية الناس في الاختيار على مستوى العقيدة، وعلى مستوى النظام السياسي والاجتماعي، وعلى حقهم في اختيار طريقة وأسلوب الحكم وحق اختيار وعزل الحكام، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟!».

وأبوبكر هو القائل «إن وجدتموني على حق فأعينوني، وإن وجدتموني على باطل فقوموني» والتقويم يعني حرية النقد وحرية خلع الحاكم أيضًا.

كرامة الإنسان

ومن مهام المشروع الحضاري الإسلامي، تحقيق الكرامة للإنسان، أي إنسان في أي زمان ومكان، فلا قهر ولا تعذيب ولا تمثيل ولا انتهاك لهذه الكرامة بأي صورة من الصور، والأصل الإسلامي لحقوق الإنسان هو أفضل أشكال هذه الحقوق، لأنه ينطلق من أن كل البشر عبيد لله تعالى، ومتساوون أمامه، فلا حق لبشر أن ينتهك كرامة بشر آخر، ولا حق لجماعة بشرية ولا طائفة ولا دولة أن تنتهك حقوق الآخرين. وقد حرص الإسلام أيما حرص على صيانة حرمات الناس ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾(الحجرات: ١٢)، ولا يؤخذ الناس بالشبهات ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾(الحجرات: ١٢) «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تناجشوا ولا تحاسدوا»(متفق عليه)، «لا تضايقوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عوراتهم يتبع الله عورته» «إذا ابتغى الأمير الريبة في الناس أفسدهم».

والشريعة الإسلامية تجيز فقء عين من يطلع على أسرار الناس «لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن فقذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح» (متفق عليه)، والقرآن الكريم يؤكد حرمة البيوت ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٢٧،٢٨).

وحتى احترام طمأنينة الآخرين هي فريضة إسلامية «فلا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا».

الله تعالى كرم الإنسان، وجعله خليفة له في الأرض ونفخ فيه من روحه، وهذا المستوى العظيم الذي وضع الله الإنسان فيه -باعتباره خليفة له في الأرض وباعتباره كائنًا فيه من روح الله، وباعتباره أكرم الكائنات- يضع الأساس النظري والعملي لأفضل وأوسع الحقوق لصيانة كرامة الإنسان وحقوقه في نفسه وأهله وبيته وخصوصياته، لأن الذي يعتدي على شيء من ذلك، أو ينتهك حقوق الإنسان فإنما هو يعتدي على أكرم المخلوقات، أي على خليفة الله في الأرض، على كائن فيه من روح الله، والله تعالى جعل الملائكة تسجد للإنسان ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾(ص: ٧٢) ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(الإسراء:٧٠) ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(البقرة:٣٠).

في افتتاح ندوة مستجدات الفكر الإسلامي الحادية عشرة

الأمة الإسلامية بحاجة لفكر يوائم بين الشريعة والواقع

التحرير

أمّتنا الإسلامية بحاجة مسيسة إلى المواءمة بين دينها الذي تتمسك به وبين واقعها الذي تعيش فيه، وهذا لن يأتي إلّا من خلال مرتكزات عدّة، أبرزها فقه الواقع، وفقه الأولويّات.

جاء ذلك على لسان وزير النفط ووزير الأوقاف بالإنابة هاني حسين في افتتاح ندوة مستجدات الفكر الإسلامي الحادية عشرة التي عقدتها وزارة الأوقاف والشؤون

الإسلامية بالتعاون مع المركز العالمي للتجديد والترشيد بلندن خلال المدة ١٨-٢٠ فبراير الماضي، برعاية وزير العدل ووزير الأوقاف شريدة المعوشرجي، وبحضور ثلاثة وزراء أوقاف من الدول العربية والإسلامية، وحشدٌ كبيرٌ من العلماء والباحثين من مختلف المدارس الفقهية الإسلامية.

وأكّد حسين: إن الله سبحانه وتعالى اختص أمّتنا بخلود شريعتها، وبقاء رسالتها، وصلاحيتها لكل مكان وزمان، وأن مقتضى ذلك أن تكون الشريعة حاضرةٌ في كل نازلة، وحاكمةٌ في واقعة، مشيرًا الى أنّ الله تعالى أناط تلك المهمّة الثقيلة للعلماء ورثة الأنبياء ومصابيح الهدى، فكان على العلماء أن يجمعوا بين فقه الحكم الشرعي في صورته المجردة ومحل الحادثة التي هي مناط الحكم وواقعية الفتوى، فالواجب شيءٌ والواقع شيء، والفقيه من يوفّق بين الواقع، وينفذ الواجب حسب استطاعته.

وقال: إننا بحاجة إلى فقه مبنيّ على دراسة الواقع المعيشي دراسةً دقيقةً مستوعبة لكل الجوانب، معتمدةً على أصح المعلومات وأدق البيانات والإحصاءات يتكامل فيه فقهه الشرع مع فقه الواقع، حتى يمكن الوصول إلى الموازنة العلمية السليمة البعيدة عن الغلو والتفريط.

وأضاف الوزير: إن غياب فقه الواقع معناه التخبّط في الحكم والخطأ في الفتوى والجمود في الفكر والاستعجال في الثمرة، الأمر الذي يؤدّي إلى تعثّر الداعية في دعوته وعدم النجاح في رسالته، مبيّناً أن النزول إلى الميدان وإبصار الواقع الذي عليه الناس، ومعرفة مشكلاتهم ومعاناتهم واستطاعتهم حول ما يعرض لهم، وماهي النصوص التي تنزل عليهم في واقعهم في مرحلة معينة ما يؤجّل من التكاليف لتوفير الاستطاعة إنما هو الفقه الذي نحن بحاجة إليه.

واعتبر ما تقوم به وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت من فقه واقعها أنها لامست قضايا الأمّة، ووجدت أن من مواطن الخلل هو غياب التأصيل المنهجي لمستجدات الواقع ونوازله، موضحًا أن أمّتنا تمر بمرحلة حاسمة في تاريخها، وهي بحاجة إلى جهد العلماء، لأن العلماء في أي مكان وزمان يجب عليهم مراعاة المصالح ودرء المفاسد، وتقديم مصلحة الأمّة واستقرارها، ودفع أسباب الفرقة والنزاع.

بدوره قال وكيل وزارة الاوقاف د. عادل الفلاح: إن ما تعيشه أمّتنا من أزمة حالية ملحة بل ومحيرة في كثير من مظاهرها جعلت الناس مُنشطرين فيها فرقاً وأحزابًا، كلٌ يدلي فيها برأيه على قدر ثقافته وحظه من العلم والمعرفة بعيداً عن الوعي الدقيق والفهم الرشيد والاجتهاد العميق الذي لا يقوم به سوى العلماء الراسخين، لافتًا إلى أن الأمر يستوجب عليهم أن يقوموا بدورهم بياناً للحقّ، وإعذاراً إلى الله تعالى واستفاضةً للبلاغ.

وأضاف الفلاح: لقد رأينا أن نضرب بسهم وأن يكون لنا الحظ الأوفى في تنظيم هذا المؤتمر، تحقيقاً لمبدأ الشراكة مع المركز العالمي للتجديد والترشيد بلندن، ومناقشة قضية من أدقّ بل وأخطر قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ألا وهي قضية المواءمة بين كلّيّ الزمان وكلّيّ الشرائع والإيمان، أو ما يعرف بفقه الواقع وتحقيق مناط الأحكام.

وأوضح أن غياب ملَكَة الفقه المعمّق لهذا النوع من الاجتهاد تسبّب في كوارث عظيمة ومضار شنيعة، زادت من تعميق حالة التخبّط والتناحر في الأمّة، ونتج عن ذلك تبلور اتجاهات في التنظير، والحركة تنزع النصوص الشرعية من سياقاتها، وتنزلها على غير مناطاتها في قضايا تمسّ استقرار المجتمعات الإسلامية وتماسكها.

وأشار «الفلاح» إلى أنه من جملة ما أنعم الله به على أمّتنا؛ أن جعلها أمّةً وسطاً بين الأمم، مبيّناً أن مرجعية العلماء والمزاوجة بين الإدراك الدقيق بالحكم الشرعي وإنزاله على واقعه يعد من أهمّ معالم تلك الوسطيّة، ولذلك كان همّنا الاستراتيجي في الوزارة متوجّهاً إلى تعزيز تلك المرجعية، وتنفيذ ما يتطلّبه تعميقها وتعزيزها من برامج وفعاليات محلّية وعالمية، فردية ومؤسسية.

وقال: نجحت الكويت في إخراج أعظم مؤلّف فقهي في القرن العشرين وهو الموسوعة الفقهية، باعتبار الدور الكبير الذي تقوم به المرجعية الفقهية في رفع الخلاف وجمع الصف ووحدة الكلمة، واستيعاب دروس الماضي وتقويم الحاضر، ورسم أفاق المستقبل، مؤكداً أن غياب هذه المرجعية يعدّ باباً كبيراً من أبواب تكريس

وزير الأوقاف المغربي: الكويت سباقة في التميّز الفكري وبحث المعضلات الفقهية

التطرّف والغلو وفتح الطريق أمامه.

وتابع: لقد قمنا في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بإيلاء المرجعية الفقهية اهتماماً خاصّاً تمثّل في نشر وطباعة الموسوعة الفقهية، ورقياً وإلكترونياً، وترجمتها إلى لغات مختلفة، وكذلك الاعتناء بالفتاوى الفقهية الصادرة عن لجنة الفتوى، وتكشيفها ونشرها وتوفيرها وتيسيرها للباحثين.

وأردف قائلاً: كما نظمنا مؤتمر (الإفتاء في عالم مفتوح.. الواقع الماثل والأمل المرتَجى)، وقد شارك في فعاليات المؤتمر عدداً كبيرٌ من الفقهاء والشخصيات العلمية البارزة في العالم الإسلامي وغيره، وجمعٌ كريمٌ من الخبراء والباحثين في مجال الفقه والتشريع الإسلامي تجاوز ١٩٦ عالماً، يمثّلون ٤٣ دولة، مشيراً إلى أن من أهمّ ما جاء في هذه التوصيات ميثاق وموسوعة الفتوى، ووضع منهج لتدريس أصول الإفتاء في الجامعات، وإنشاء معهد متخصص في التدريب على الإفتاء.

وناشد الفلاح الحضور من العلماء والمتخصصين بقوله: إن الأزمة شديدةٌ وإن اللجوء إليكم للمساهمة والاجتهاد مسؤولية كبيرةٌ تلقى على كواهلكم، وتقتضي منكم اجتهاداً خاصّاً يؤدّي إلى وضع اللّبنات الأولى لمنهجية المواءمة بين الحكم الشرعي وبين واقعه أو مناطه، فإننا لا ننظر إلى اجتماعنا هذا على أنه مؤتمرٌ تقليدي ينقضي بانقضاء أيامه

الفلاح: غياب الفهم العميق لمقاصد الشريعة أوجد حالة من التخبط والتناحر بيننا.

وقراءة توصياته، وإنما نتوقع منكم الانصراف عن توصيات راشدة وبرامج عملية فاعلة، ومعالم مشروع تجديدي واعد يجسّد حيوية الإسلام وخلود رسالته، وصلاحيته لكل زمان ومكان.

وأكّد استعداد وزارة الأوقاف بدولة الكويت المساهمة في مجال تعزيز الوسطيّة ومدّ يدَ التعاون والتواصل مع أيّ جهة ترغب في التواصل مع الوزارة ونقل خبراتها إليها.

من جانبه شكر وزير الأوقاف المغربي أحمد توفيق في كلمة ألقاها نيابة عن ضيوف على جهودها الفكرية والخيرية والثقافية التي تميّزت بها منذ عقود طويلة خدمة للأمّة الإسلامية وللشعوب العربية.

وقال: لقد كانت الكويت وما زالت سبّاقة للتميّز الفكري، وبحث المعضلات الفقهية متمنياً التوفيق للمشاركين من العلماء والباحثين لإثراء هذه المعضلة الفقهية والنازلة الجديدة التي هي بحاجة إلى اجتهادات المجتهدين، واستنباط العلماء العاملين.

البيان الختامي للمؤتمر: على الدول الإسلامية المواءمة بين «الفقه» «وحقائق الواقع الراهن»

دعا البيان الختامي لمؤتمر «فقه الواقع والتوقع» الدول الإسلامية إلى استكمال بنائها التشريعي الإسلامي بالمواءمة بين «الفقه» و«حقائق الواقع الراهن» و«طبيعة المجتمعات».

واختتمت الندوة التي عقدتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية بالتعاون مع المركز العالمي للتجديد والترشيد تحت عنوان «الاجتهاد بتحقيق المناط.. فقه الواقع والتوقع» في الفترة من ١٨-٢٠ فبراير٢٠١٣ في الكويت.

ولفت البيان إلى أهمية إقامة ورش عمل فقهية متخصصة تتعلق بكل موضوع من الموضوعات التشريعية، مسترشدة بنتائج وتقارير خبراء الواقع المعاصر؛ ليكون آلية عملية لتنزيل الأحكام الشرعية على محالها المناسبة.

كما اشتملت التوصيات التي تضمنها البيان إنشاء مراكز خبرة علمية متخصصة، تستقطب طاقات الأمة وكفاءاتها لدراسة واقع المجتمعات الإسلامية المعاصرة، فضلا عن ايجاد مؤسسات ومراكز بحوث لإبداء الرأي في قضايا الخلاف الفقهي والسياسي في الأمة.

وشدد المشاركون، ومن بينهم عدد من وزراء الأوقاف والفقهاء من الدول الإسلامية، على «أهمية دراسة فقه الواقع والتوقع، الذي يضع في اعتباره خصوصيات المجتمعات والمتغيرات الهائلة التي جدت على العالم، وذلك بالتعاون بين فقهاء الشريعة وفقهاء القانون والعلماء المتخصصين في المجالات الأخرى المراد استطلاع رأي الفقه والقانون فيها».

حلق بطائرة المقاصد فوق أرض المسلمين المعاصرين:

محمد كمال الدين إمام: التجديد في «الفقه» حماية له

حوار: عبادة نوح وعلاء عبدالفتاح

على باحثي فقه المآلات أن ينظروا في دائرة الزمن والظروف والحالات وإلا لتم تحميل الإنسان بما لا يطيق

رجل إذا تحدث يفيض علمًا.. يجتمع حوله الباحثون لينهلوا من عصير ثقافته الموسوعية.. رحلاته المكوكية بين بلدان العالم كعالم أزهري لا تمنعه من التفرغ للتأليف والجمع والتدقيق والتحقيق والإشراف على الرسائل الجامعية.. زار الكويت أخيرًا كأحد المشاركين في مؤتمر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية بالتعاون مع المركز العالمي للتجديد والترشيد الذي جاء تحت عنوان: «فقه الواقع والتوقع» حيث دعوة عامة للدول الإسلامية لاستكمال بنائها التشريعي الإسلامي بالمواءمة بين «الفقه» و«حقائق الواقع الراهن» و«طبيعة المجتمعات».

إنه الأستاذ الدكتور «محمد كمال إمام» الذي أبى ألا يغادر الكويت إلا ويزور مجلته «مجلة الوعي الإسلامي» من أجل حوار كاشف عن مشروعات الرجل الفكرية، ونظرته للتجديد في الأزهر الشريف، وموقفه من الأسئلة الكبرى التي ما زالت تحتاج إلى اجتهادات العلماء في سياق فقه الواقع.

بدأنا الحديث مع الدكتور «إمام» بسؤاله عن مؤتمر وزارة الأوقاف الذي حضره أخيرًا في الكويت.

● كيف ترى الفرق بين فقه الواقع وفكر الواقع؟

– كمسلمين معاصرين نحاول استخدام أدوات جديدة، منها ما استخدمناه في المؤتمر من حيث الاجتهاد بواسطة تنقيح المناط في فقه الواقع، لأن تحقيق المناط جزء من مسالك العلة عند الأصوليين، ونحن نتعامل معه بتوسيع بحيث يشارك في آلية العمل كل من السياسي وعالم الاقتصاد وعالم الاجتماع و... ثم يأتي دور الفقيه لإنزال الحكم الشرعي عليه.

أما فكر الواقع فقضاياه طرحت لتجديد الفكر الإسلامي كيلا يسقط في دائرة التغريب.

نحن نستعيد هذا المشروع لأن الأسئلة ما زالت مطروحة وتحتاج إلى أجوبة.

ونريد أن نقول: إن الفكر الإسلامي يحتاج إلى عناصر مقاومة داخلية، ولا يجب أن ننسى رصيدنا المذكور في الإبداع الأدبي والفكري.

ومشروعنا يسعى للحفاظ على هوية هذه الأمة، وبالتالي فالتجديد في مجال الفقه حماية له.. نحن نحاول أن نجدده كي نجد منهجية تستفيد من القدامى، ومن العلوم الاجتماعية التي أرسوا قواعدها، ثم نقدم كل هذا إلى مجتمعنا الحديث وللأجيال المقبلة، وهذا لم يكن ليتم لولا جهد وزارة الأوقاف بدولة الكويت، ومراكز بحثية متخصصة في جمهورية مصر العربية.

● لكن ماهو المقصود تحديدًا بفقه التوقع؟

– هو تطوير لما يمكن تسميته بالفقه الافتراضي في منهج الأحناف، هم لايتوقفون عن المسائل الراهنة، ولكن يتخيلون مسائل أخرى منبثقة عنها، أو تالية لها ويبحثون كيف يمكن التعامل معها.

للأسف كثير من المتحدثين في «الفتوى» يقتربون من فوضى الإفتاء

مشروع كتابات النهضة إعادة قراءة للأصول في سياقاتها التاريخية بدون زيادة أو نقص أو فرض رؤى

والآن لم نعد نربط هذه المسائل بالافتراض بل بمآلات الأفعال، أي النظر عند تطبيق الحكم الشرعي في النتائج المترتبة على هذا التطبيق.

وهناك مقولة شهيرة تقول: «أعطني كل الأسباب، أقول لك ماذا سيحدث غدًا.. وإلى آخر الدنيا».

والإسلام ربط دائمًا بين الحكم التكليفي من الله وأوامره من حيث ما هو «حرام، مكروه، واجب، مندوب، مباح»، وبين الواقع، أي راعى النقلة من التجريد إلى التحديد بالخطاب الوضعي من حيث «الأسباب، الشروط، الموانع».

فأنت عندما تريد أن تطبق الحكم الشرعي لابد أن تعرف هل وجدت الأسباب، وهل توافرت الشروط، وهل انعدمت الموانع أم لا؟ هذا هو فقه المآلات.

● نريد مثالاً تطبيقيًا على ذلك؟

– لنضرب مثلاً بوجوب صلاة العصر، هي لا تجب إلا عندما يدخل الوقت، وفي زمن أنت حي فيه وعاقل وبالغ، أما الشروط فهي الوضوء أو التيمم، وأما الموانع فدخول الإنسان في غيبوبة مثلاً.

والمثل الآخر يمكن طرحه من خلال مسألة: هل يرث الابن أباه على الإطلاق؟ هل يرثه مثلاً إذا قام بقتله؟ بالطبع لا.

لقد جاء الخطاب إلى المسلمين عامًا، منذ أن بلغنا إياه رسول الله ﷺ إلى أن تقوم الساعة، ولكن على باحثي فقه المآلات أن ينظروا في دائرة الزمن والظروف والحالات، وإلا لتم تحميل الإنسان بما لا يطيق، إذن لا تطبيق للمنهج إلا إذا ربطناه بالواقع.

وللأسف كثير من المتحدثين في

«الفتوى» لا يدركون هذا، ولذلك نرى فوضى الافتاء.

• كيف تطور علم المقاصد واتسعت دائرة المآلات تاريخيًا؟

– الاهتمام بالمقاصد والمآلات جاء من إحساس قادة الإصلاح مثل الشيخ محمد عبده، والطهر بن عاشور ومحمد الخضر حسين حتى رفاعة الطهطاوي... بأن مقاصد الشريعة لها دور مهم في مقاومة التغريب واستقلال المجتمع.

ومن هنا وجد المنهج المقاصدي طريقه إلى التطبيق، ورأينا أطروحات علمية في العشرينات تتكلم عن مقاصد الشريعة مثل: رسالة الشيخ محمد عمران «مدرسة القضاء الشرعي» ورأينا الشيخ الطاهر بن عاشور يرد على معركة الوقف في مصر عام ١٩٣٦ في مقالة موسعة وغيرها، كما وجدنا لأحمد يوسف بكر مقالة عن المقاصد في مجلة كويتية في الثلاثينات، ثم بدأت الجامعة الأزهرية في أوائل السبعينات إصدار رسالة عن المقاصد «لم تجمع وتطبع حتى الآن» ثم توالت الدراسات في المغرب حيث المذهب المالكي يتميز بالرحابة في هذا الاتجاه، وصدرت رسائل عدة في العراق أيضًا عن مقاصد الشريعة، وأصبح هناك نجوم لامعة في سماء المقاصد.

• قمتم بجهد جهيد في سبيل إنجاز الدليل الإرشادي إلى مقاصد الشريعة الإسلامية في ٩ مجلدات، هل لكم أن تحدثوا عن هذا الدليل والفائدة المرجوة من إصداره؟

– في هذا الدليل الإرشادي حصرت ١٤٠٠ أطروحة وكتاب في المقاصد، هو بمثابة ببلوغرافيا شارحة مع تلخيص كل عمل من الـ ١٤٠٠ عمل

من المهم النظر في مآلات الأفعال والنتائج المترتبة عليها عند تطبيق الحكم الشرعي

التي تضمها مكتبتي الشخصية بالفعل، هنا يجد الباحثون مبتغاهم عبر التاريخ والجغرافيا بشأن كل ما ذكر عن المقاصد، فتتسع الرؤية ونرى الأمور في مقامها الصحيح.

• وماذا عن مستقبل العمل البحثي في مقاصد الشريعة بوصفك متخصصًا فيها الآن؟

– هناك مؤتمرات متخصصة تعقد وسوف تعقد بمشيئة الله في مصر وبلدان أخرى، وقد أصبحت المقاصد مادة دراسية في بعض كليات الحقوق بجامعات مصر وغيرها، وبدأنا ننشئ مراكز بحثية مثل مركز الفرقان في لندن عام ٢٠٠٥ بمبادرة من الشيخ أحمد زكي يماني، ومشاركة فعالة من الشيخ يوسف القرضاوي.

وهناك اتجاه لإصدار مجلة مركز دراسات المقاصد في لندن، وكل عام نطبع في مصر قائمة خاصة اسمها: قائمة المقاصد بإشراف كلية الحقوق جامعة الاسكندرية.

الفكر الإسلامي يحتاج إلى عناصر مقاومة داخلية ولا يجب أن ننسى رصيدنا المذكور في الإبداع الأدبي والفكري

• هناك تخوف من بعض العلمانيين من تسييس الأزهر، هل هذا التخوف وارد؟

– موقف العلمانيين مع الإسلام عامة وليس مع الأزهر، فالأطروحة متحيزة بالأساس، ولكن بداخل الأزهر محافظون ومجددون ولو صحت مؤسسة الأزهر فستكون معقلًا وطنيًا صاحب رأي وتأثير في المنطقة العربية، والعلمانيون لا يريدون لهذا الموقع أن يسترد قوته، وليتهم يعلمون أن الأزهر لا يقوم بدور سياسي بل وطني يتكامل مع العالم الإسلامي، وهو مرجعية للأمة يدافع عن القيم الإسلامية.

• وماذا عن دور المفتي حاليًا بعد القانون الجديد للأزهر؟

– صار اختيار المفتي بالانتخاب، وليس بالتعيين كما كان في السابق، وهذا لنفصل بين اختيار الدولة واختيار الأمة، وهو يمارس للمرة الأولى في تاريخ الأزهر هذا الدور المستقل عن الدولة، رغم أن تبعيته إداريًا لوزارة العدل، فالترشيح والاختيار تم بواسطة كبار العلماء.

وبفضل الله هناك تكامل بين مؤسستي الإفتاء والأزهر، والآن المؤسستان قويتان مستقلتان، وما على رئيس الجمهورية إلا إعلان القرار الذي توصل إليه كبار علماء الأزهر.

مشروع كتابات النهضة الذي تموله مكتبة الإسكندرية في مصر ويشرف عليه هو مع نخبة من العلماء.

• نعرف أنكم تساهمون في مشاريع فكرية متعددة، ولعل مشروع كتابات النهضة من أبرز هذه المشروعات.. حبذا لو تعطينا فكرة عامة عن المشروع والهدف منه، والشوط الذي قطعتموه في

الدكتور إمام وبجانبه المحرران

سبيل إنجازه.

– هناك قضايا عدة تتعلق بالتغريب والهوية، وقضايا الحريات والتكوين الفكري، وهي قضايا وأسئلة كانت مطروحة على كبار رجال النهضة في كل أنحاء العالم، وهذه الأسئلة لا تزال مطروحة وتحتاج إلى إجابات في سياقها التاريخي الآني، ولذا وجدنا أن نعيد طباعة المؤلفات الكبرى بعد كتابة مقدمات شافية لها، وسبيلنا في ذلك الاعتماد على الأصول بعيدًا عما كتب لاحقًا عن هذه المؤلفات، ثم تقديم الكتاب الأصل من طبعته الأولى أو الأخيرة في حياة المؤلف، فلا نعتد بما أضيف إليها، فعلى سبيل المثال وجدنا في مؤلف التوحيد للإمام محمد عبده أن الشيخ محمد رشيد رضا حذف منها أشياء، فعدنا للأصل ونشرناه مع المقدمة الوافية.

إذن المشروع ليس مشروع إعادة طباعته فقط، لكن المهم فيه إضافة مقدمة جديدة يقرأ فيها النص في سياقه التاريخي، أيّ مع إبراز مكان المؤلف في مشروعه، أو أين الكتاب من مشروعه الفكري؟ وما هو صدى مؤلفه؟ وما هي الحوارات التي تمت معه؟ فنضمن بذلك عدم أدلجة النص كما حدث مع رفاعة الطهطاوي.

● ماذا تعني بالقراءة المؤدلجة للنص، وهل من مثال واضح لذلك؟

– القراءات المؤدلجة تلقي بظلال لم يعرفها المؤلف في مؤلفه وهو بريء منها، ومثال ذلك كتاب «الإسلام وأصول الحكم» للشيخ علي عبدالرازق، لقد وجدنا أن هناك مؤلفات ظهرت تؤيد، وأخرى ترفض أطروحته، ونحن نريد أن نصفي الكتاب من الأحكام تلك ونقيده كما كتبه صاحبه نقيًا، ومن جهة أخرى نريد أن نشجع جيلًا من الشباب الباحثين أن يكتبوا هم هذه المقدمات المستوعبة للحاضر.

● ماهي آلية العمل في هذا المشروع؟

– لأن مشروعنا لا يتحرك في بلد ما، بل في جغرافيا العالم الإسلامي كله... (نيجيريا وتركيا والمغرب والخليج ومصر..) فنحن نعقد مؤتمرًا كل ٦ أشهر، ونجتمع مع الباحثين، وعددهم ٢٥ باحثًا وننظر في المقدمات يقرأها أساتذة مثل د.محمد عمارة ود.إبراهيم بيومي غانم ود.صلاح الجواري وأنا معهم.. نتناقش وندون ملاحظاتنا مع الباحث الشاب، ثم مع المجموعة كلها حتى تعاد صياغة المقدمة العلمية من جديد.

● ما الإنجاز الذي تحقق من هذا المشروع حتى الآن؟

– أصدرنا – والحمد لله– ٢٦ كتابًا خلال السنوات الثلاث الماضية بتمويل من مكتبة الإسكندرية، كما أن دار الكتاب اللبناني تطبع هذه المؤلفات أيضًا إلكترونيًا وورقيًا في حلة قشيبة، وفضلًا عن ذلك تجد هذا المشروع المهم (مشروع كتابات النهضة) على موقع مكتبة الإسكندرية متاحًا للجميع، وحاليًا نستهدف ١٠٠ كتاب لهدف أوسع هو إصدار ٣٠٠ كتاب، وتم توزيع ٧٠ كتابًا بالفعل على الباحثين، الجاهز منها ٤٠ كتابًا خلال هذا الشهر أصدرنا ٢٦ كتابًا والبقية تأتي إن شاء الله تعالى.

● بالتأكيد هناك بعض المشكلات تعترضكم أحيانًا؟

– بالطبع ولعل أبرزها الترجمات غير الدقيقة، فمثلًا قد نجد أن نسخة الكتاب بالعربية ترجمت من الفارسية أو البوسنية أو غيرها ترجمة ناقصة، وكم من كتاب ترجمناه ثم أعدنا ترجمته، لأننا اكتشفنا أن النسخة التي أخذنا منها الترجمة الوسيطة كانت ناقصة، حدث هذا مع كتاب (تجديد الفكر الديني) لمحمد إقبال، فالترجمة الأولى للكتاب ناقصة –فصلًا كاملًا– هو الفصل الرابع، ولم تكن دقيقة، فترجمه الباحث محمد يوسف عدس مرة أخرى من الإنجليزية إلى العربية.

● ما النتائج المتوقعة من هذا المشروع؟

– نتوقع إقبالًا ضخمًا، وإعادة قراءة للأصول في سياقاتها التاريخية بدون زيادة أو نقص أو فرض رؤى من علقوا على هذه الكتب المهمة.

تحقيق المناط وتنقيحه وتخريجه في المصطلح الأصولي

الشيخ عجيل جاسم النشمي
عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية الأسبق - الكويت

تحقيق المناط وتنقيحه وتخريجه من مباحث الاجتهاد، بل هي كما قال الغزاليّ: هي جماع الاجتهاد، ومحل الاجتهاد فيها لا في النّص، ولكن في علّة النّص، أي: في مناط حكم علّة النّص، أي: فيما أضاف الشارع الحكم إليه، وعلّقه به، فإذا علمت العلّة بالنّص أو الإجماع فلا اجتهاد فيها، وإنما الاجتهاد في مناطاتها.

ولمّا كانت العلّة هي مبنى القياس وعنوانه فقد جعل الأصوليّون القياس من أصله ينقسم إلى ثلاثة أقسام: قياس علّة، وقياس دلالة، وقياسٌ في معنى الأصل، فقياس العلّة ما صُرّح فيه بالعلّة، كما يقال في النّبيذ أنه مسكر فيحرم كالخمر، وقياس الدلالة هو أن لا يذكر فيه العلّة، بل وصفٌ ملازمٌ لها، كما لو علّل في قياس النّبيذ على الخمر برائحة المشتدّ، والقياس الذي في معنى الأصل: هو أن يجمع بين الأصل والفرع بنفي الفارق، وهو تنقيح المناط. وأيضا قسّموا القياس إلى جلي وخفي.

مسالك العلّة

مسالك العلّة: هي الطرق التي يسلكها المجتهد للوقوف على علل الأحكام.

المسلك الأوّل: النّص الصريح: وهو أن يذكر دليلٌ من الكتاب أو السنّة على التعليل بوصف بلفظ موضوع له في اللّغة من غير احتياج إلى نظرٍ واستدلالٍ.

وهو قسمان: الأوّل: ما صرّح فيه بكون الوصف علّة أو سببًا للحكم.

الثاني: ما جاء في الكتاب أو السنّة معلّلًا بحرفٍ من حروف التعليل.

المسلك الثاني: الإجماع.

المسلك الثالث: الإيماء والتنبيه: وهو أن يكون التعليل لازمًا من مدلول اللّفظ، لا أن يكون اللّفظ دالًا بوضعه على التعليل.

المسلك الرابع: السبر والتقسيم: وهو حصر الأوصاف في الأصل، وإبطال ما لا يصلح منها للتعليل، فيتعين الباقي للتعليل.

المسلك الخامس: المناسبة والشبه: ينقسم الوصف المعلّل به إلى قسمين:

أ - ما تظهر مناسبته لترتيب الحكم عليه، ويسمّى المناسب.

ب - ما لا تظهر مناسبته لترتيب الحكم عليه، وينقسم إلى نوعين:

الأوّل: أن لا يؤلف من الشارع اعتباره في بعض الأحكام، ويسمّى الوصف الطردي.

الثاني: أن يؤلف من الشارع اعتباره في بعض الأحكام، ويسمّى الوصف الشبهي.

المسلك السادس: تحقيق المناط وتنقيحه وتخريجه: وهو محلّ البحث.

المسلك السابع: الدوران: وهو عبارة عن اقتران ثبوت الحكم مع ثبوت الوصف وعدمه مع عدمه. وفي بعض هذه المسالك خلاف.

تعريف تحقيق المناط:

تعريف التحقيق لغةً: يقال حقّق الأمر: تيقّنه أو جعله ثابتًا لازمًا، وسمّي تحقيق المناط، لأن المناط وهو الوصف علم أنه مناط، وبقي النظر في تحقيق وجوده في الصورة المعينة.

تعريف المناط لغةً : مفعل من ناط نياطا، وبابه قال، وأصل المناط موضع النوط أي: التعليق، وأصله منوط كمنور والمحل كما يكون حسيًا يكون معنويًا. يقال: نطت الحبل بالوتد أنوطه نوطًا: إذا علقّته، ومنه: «ذات أنواط»، شجرة كانوا في الجاهلية يعلّقون فيها سلاحهم، وقد ذكرت في الحديث.

تعريف تحقيق المناط اصطلاحًا:

اختلفت عبارات الأصوليين في تعريف تحقيق المناط، وإن التقت معانيها في الجملة، فعرّف بتعريفات منها:
إنه النظر والاجتهاد في معرفة وجود العلّة في آحاد الصور، بعد معرفة تلك العلّة بنص أو إجماع أو استنباط.
وعرّف: بأن يقع الاتفاق على علّيّة وصف نص أو إجماع فيجتهد في وجودها في صورة النزاع، كتحقيق أن النبّاش وهو من ينبش القبور ويأخذ الأكفان سارقٌ بأن وجد منه أخذ المال خفية، وهو السرقة فيقطع.
وعرّفه ابن تيمية بقوله: تحقيق المناط: أن يعمل بالنّص والإجماع.
وقال القرافي: تحقيق المناط نوعان عامّ وخاصّ.
فتحقيق المناط العامّ: نظر في تعيين المناط من حيث هو لمكلف ما.
وتحقيق المناط الخاصّ: نظر في تعيين المناط في حق كل مكلف بالنسبة إلى ما وقع عليه من الدلائل التكليفية، بحيث يتعرّف منه مداخل الشيطان، ومداخل الهوى، والحظوظ العاجلة حتى يلقيها هذا المجتهد على ذلك المكلف مقيدةً بقيود التحرّز من تلك المداخل.

حكم تحقيق المناط والحاجة إليه:

الأخذ بتحقيق المناط متفقٌ عليه، ويحتاج إليه المجتهد والقاضي والمفتي، بل لا يستقيم لهم الاجتهاد دونه. ولذا قال محمد أمير حاج: ولا شك أن معنى تنقيح المناط واجبٌ على كل مجتهد حنفيّ وغيره - لأن الحنفيّة لا يستعملون هذا المصطلح - وإلّا لولا تنقيح الحنفيّ وغيره المناط المنصوص عليه، كالجماع، فيحذف كون الفاعل إعرابيًا وكون المجامعة زوجته منع الحكم في موضع وجود العلّة أي: لقيل بعدم وجوب الكفارة في جماع هو زنى ونحوه، حتى قال الغزاليّ: من ينكر القياس ينكره - أي تحقيق المناط.

تحقيق المناط يلزمه فقه النفس وتقواها
شرف الاجتهاد بتحقيق المناط مرتبة لا يسلكها إلّا المجتهد أو القاضي أو المفتي، زكي النفس لينظر في تحقيق المناط بالنسبة لتعليق الحكم بعلّيته فيما يكون أمرًا تكليفيًا.
تحقيق المناط والقياس:
اختلف الأصوليون في بعض صور تحقيق المناط هل هي قياس؟ حكى الفتوحي الخلاف- وقد سبق طرف منه- فقال: إن علمت العلّة بنص كجهة القبلة، وكالإشهاد، أو علمت بإجماع كتحقيق المثل في قوله تعالى: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾، فجهة القبلة: مناط وجوب استقبالها ومعرفتها عند الاشتباه: مظنونٌ، والعدالة: مناط قبول الشهادة، ومعرفتها في الشخص المعيّن: مظنونةٌ، وكالمثل في جزاء الصيد، أو استنباط كالشدّة المطربة التي هي مناط تحريم شرب الخمر.

تنقيح المناط وأحكامه

التنقيح لغةً: التهذيب والتمييز، وكلام منقّح، أي: لا حشو فيه.
وتنقيح المناط اصطلاحًا: عرّف بتعاريف عديدة، أهمّها وأشهرها ما يدور على اعتبار تنقيح المناط من قياس عدم الفارق، قال الغزاليّ: تنقيح المناط قياس عدم الفارق، فمعنى تحقيق المناط: أن يدلّ ظاهرًا على التعليل بوصف مذكور مع غيره ممّا لا مدخل له في التأثير لكونه طرديًا أو ملغى، فينقح حتّى يميّز المعتبر، ويجتهد في تعيين السبب الذي أناط الشارع الحكم به وأضافه إليه بحذف غيره من الأوصاف عن درجة الاعتبار.

حكم تنقيح المناط:

قال الغزالي: تنقيح المناط يقول به أكثر منكري القياس ولا نعرف بين الأمّة خلافًا في جوازه. ونازعه العبدري بأن الخلاف فيه ثابت بين من يثبت القياس وينكره لرجوعه إلى القياس، وقال محمد أمير حاج: لا شك أن معنى تنقيح المناط واجبٌ على كل مجتهد.

تنقيح المناط والقياس:

اختلف الأصوليون في اعتبار تحقيق المناط قياسًا أو نوعًا منه، أو هو قياسٌ خاصّ. قال الغزالي: تنقيح المناط يقول به أكثر منكري القياس، ولا نعرف بين الأمّة خلافًا في جوازه. ونازعه العبدري بأن الخلاف فيه ثابت بين من يثبت القياس وينكره، لرجوعه إلى القياس.
ونفى ابن تيمية أن يكون تنقيح المناط قياسًا فقال: هذا النوع يسمّيه بعض الناس قياسًا، وبعضهم لا يسمّيه قياسًا، ولهذا كان أبو حنيفة وأصحابه يستعملونه في المواضع التي لا يستعملون فيها القياس، والصواب أن هذا ليس من القياس الذي يمكن فيه النزاع.

تنقيح المناط والسبر والتقسيم

قال الشوكاني: زعم الفخر الرازي أن هذا المسلك هو مسلك السبر والتقسيم، فلا يحسن عدّه نوعًا آخر. وردّ عليه بأن بينهما فرقًا ظاهرًا، وذلك أن الحصر في دلالة السبر والتقسيم لتعيين العلّة إما استقلالاً أو اعتبارًا، وفي تنقيح المناط لتعيين الفارق وإبطاله لا لتعيين العلّة.

تنقيح المناط وما هو في معنى النّص
وهذه العلاقة هي التي تقرّب تنقيح المناط من القياس، وقد أخرجوه من القياس، لأن قياس الدلالة ما لا يذكر فيه العلّة، بل وصف ملازمٌ لها كالنبيذ حرام كالخمر، بجامع الرائحة المشتدّة، وإن القياس الذي في معنى الأصل. ويسمّى تنقيح المناط الجمع بين الأصل والفرع بإلغاء الفارق.

العدد (٥٧٠) جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ/ أبريل- مايو ٢٠١٣م

فقه التوقع: مفهومه وعلاقته بالنظر في المآل وفقه الواقع

- دراسة تأصيلية -

د. نجم الدين الزنكي
أستاذ في الجامعة الإسلامية بماليزيا

يعالج الفقه الإسلامي الفعل الإنساني بجملته في إطار التكاليف الشرعية وما ينحدر عنها من قيم التشريع ومقاصده. إنما الفقه ضمٌّ وقرنٌ بين مفردات الفعل الإنساني وأنماط السلوك البشري والقيم والمقاصد والأحكام والمراسم التي شرّعها الله ورسوله ﷺ.

الاعتبار بفقه التوقع في سيرة الشريعة والمتشرعة

فقه التوقع إذا انصرف إلى الفقه الجزئي (الفقه الخاص) اختلف اعتباره، وتباين النظرُ فيه، وفي التماس أبعاد شرعيّته، والإذن فيه، ونسبته إلى السلف الماضين وسيرة المتشرّعة الأولين. أما إذا أريد منه ما يخص أحكام الإيالات والنظر في السياسات وضبط أحوال الولايات (الفقه العام)، فإن أدلة الشريعة وسيرة التشريع ووقائع الماضين وأنظار السلف الأولين متضافرة عليه تضافرها على الاعتبار لأصل قواعد الإمامة وأحكام السياسة وضبط طرق الإمارة ومناهج الإيالة.

أمّا السلف الأولون فكانوا «ينهون عن التعرّض للغوامض، والتعمّق في المشكلات، والإمعان في ملابسة المعضلات، والاعتناء بجمع الشبهات، وتكلّف الأجوبة عمّا لم يقع من السؤالات»، فلم يتعرّضوا لمباحث فقه المسائل المتوقعة ولم يُدْفعوا إليها دفعًا و«لم يعتنوا بمعانيها»، كما عبّر الإمام الجويني. وقال ابن القيم: «قد حكي عن كثير من السلف أنه كان لا يتكلم فيما لم يقع. وكان بعض السلف إذا سأله الرجل عن مسألة قال فيها: هل كان ذلك؟ فإن قال: نعم، تكلّف له الجواب، وإلاّ قال: دعنا في عافية.

أمّا أحكام الإمامة والسياسة فمقتضى وضعها معرفة «الإيالات»، وإدراك الأسرار والنهايات، والتطلع إلى الغايات والأغراض والمآلات، «فالأمور في الولايات إذا لم تؤخذ من مباديها جرّت أمورًا يعسر تداركها عند تماديها»، «ومنع المبادي أهون من قطع المتمادي»، «والركن الأعظم في الإيالة البداية بالأهم

فالأهم». ومن تأمّل السنن وتقصى السيرة وتتبع أحوال الأئمة الخلفاء لوجد أصول فقه التوقع معملةً غير معطلة. وفي سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الولايات العامة وإدارة شؤون الخلافة ما يكفينا عناءَ البحث في الشواهد، فسياساته في الإيالة وتدابيره في الإدارة حافلة بهذا المعنى، دائرة في هذا المدرك، وقد ينتظم منها فنّ هذا الفقه، وقانون هذا المسلك.

الإمام الجويني رائد فقه التوقع وباني صرحه الأول

لعلّ إمام الحرمين الجويني (٤١٩-٤٧٨هـ) كان أوّل من روّض مدارج الفقه في التوقعات، واستشعر ضرورةَ التفكير في أفضل المآلات وأسوء الحالات التي يمكن أن تحل بالأمة أو طوائف منها انقطعت عنها شوكة الإمام أو استحرّت معضلة عامة بجماعة من الجماعات، فاستقبل هذا الفقه واستفتحه بأحكم المناهج، وأيسر المسالك، ليعمّ رفع الحرج كل الأزمنة والأعصر. فهو بذلك الشاهد الأول على هذا الفقه. ولقد كان كتابه «غياث الأمم في التياث الظلم» هو الميدان الذي روّض فيه هذا الفقه ودرّب فيه الفقهاء من بعده على فنونه واستعلام معالمه. ولعلّ قطع الإمام الجويني نفسه بأنه لم يَسبقْ إليه في اقتحام هذا المعترك أحدٌ، يشهد لسلامة ما أثبتناه عنوانًا لهذه الفقرة من أن الجويني رائد هذا الفقه ومؤسس صرحه، بامتياز.

اطراد فقه التوقع على المنهج عند الإمام الجويني:

فيا ترى كيف مهّد الإمام الجويني الخوض في فقه لم تُسْبَرْ من السلف أصوله ولم تعبّدْ مناهجُه، سيّما وهو يدرك أن «أصول المذاهب تؤخذ من مآخذ القطع»؟

عبارات تدل على المنهج، ومما ذكره ما يأتي:

١- يقول الجويني: ... فإذا لم يقع، علمنا اضطرارًا من مطرد الاعتياد أن الشريعة تشمل على كل واقعة ممكنة».

وبهذا أرسى الجويني أساس فقه التوقع على مقطوع به في حكم الاعتياد، وهو أنه لا تخلو واقعةٌ عن حكم الله، فلو افترضنا وجود واقعة ليس لله فيها حكم ولا تكليف لاختلّ الأساس ولم يستدّ.

٢- قال في موضع:... ولكني لا أبتدع ولا أخترع شيئًا، بل ألاحظ وضع الشرع، وأستثير معنىً يناسب. وأصحاب المصطفى – صلوات الله عليه ورضي عنهم- لم يجدوا في الكتاب والسنة إلاّ نصوصًا معدودةً وأحكامًا محصورةً محدودةً، ثمّ حكموا في كل واقعة عنّت، ولم يجاوزوا وضع الشرع، ولا تعدّوا حدوده، فعلّمونا أنّ أحكام الله لا تتناهى في الوقائع، وهي مع انتفاء النهاية عنها صادرة عن قواعد مضبوطة».

فقد أشار بذلك إلى أن مرجعه في ذلك الاستدلال بوضع الشريعة.

٣- يقول فيما يستدعيه الخوض في مثل هذا المعترك الصعب:... يستدعي نخل الشريعة من مطلعها إلى مقطعها، وتتبُّع مصادرها ومواردها، واختصاص معاقدها وقواعدها، وإنعام النظر في أصولها وفصولها...

فكأنني به يريد أن يصل إلى ما استخلصه الشاطبي في شروط الاجتهاد من الاطلاع على مقاصد الشرع ومدارك الأحكام.

٤- يقول: «لو قال قائل: ما يُتوقّع وقوعه من الوقائع لا نهايةَ له، ومآخذ الأحكام متناهية، فكيف يشتمل ما يتناهى على ما لا يتناهى؟ فنقول: للشرع مبنى بديع، وأسٌّ هو منشأ كل تفصيل وتفريع، وهو معتمد المفتي في الهداية الكليّة والدراية، وهو المشير إلى استرسال أحكام الله على الوقائع مع نفي النهاية، وذلك أنّ قواعد الشريعة متقابلة بين النفي والإثبات، والأمر والنهي، والإطلاق والحجر، والإباحة والحظر، ولا يتقابل قطٌّ أصلانِ إلاّ ويتطرّق الضبط إلى أحدهما، وتنتهي النهاية عن مقابله ومناقضه».

جدوى فقه التوقع وثماره:

قد يلوح السؤال عن الضرورة التي تدعو إلى انبعاث الاجتهاد الفقهي إلى المتوقّعات وعن الثمرة التي يمكن استشرافها واجتناؤها من هذا العمل.

يقول الجويني: «الجواب عن هذا أنه ليس خاليًا عن فوائد جمة... ففيها التنبيه على مآخذ الأصول والفروع.... ويشير الجويني بذلك إلى الفوائد الآتية:

(ا) تمرين ذهن طالب العلم على معرفة مهمات الواقع، واقتناص الوقائع، واستثارة ما يناسب منها وضع الأحكام... يقول الجويني: «أهم المطالب في الفقه: التدرب في مآخذ الظنون، في مجال الأحكام، وهذا هو الذي يسمى فقهَ النفس، وهو أنفس صفات علماء الشريعة».

(ب) كثيرًا ما يتردد الفقهاء والناظرون في حكم مسألةٍ عنّت، بين وجهات وأنظار تعدّدت... ولا ينحسم إلاّ بنقل «المناط» وإحلاله في محل آخر غايته الإمكان، أي بنقل المناط من حيز الفعل إلى حيز القوة، فيصلون بذلك إلى معقد المعنى في المناط ويتجرد لهم الجامع أو الكليُّ الذي يندرج تحته، وكما قال الجويني: «العلماء ربما يفرضون صورًا بعيدةً، وغرضهم بفرضها وتقديرها تمهيد حقائق المعاني».

والمثال على ذلك اختلاف وجهات نظر الفقهاء في الطرق الميسورة أمام الحكومة لتمويل العجز في الموازنة العامة. فقد ذهب بعض الفقهاء إلى أن الإمام «يتسبّب إلى استيداء مال من موسري المسلمين، فإنّه يفعل ذلك على موجب الاستصواب ما أراد، وعمّم أهل الاقتدار واليسار في أقاصي البلاد... فإن اقتضى الرأي تعيين أقوام على التنصيص، تعرّض لهم على التخصيص».

ويرجح الجويني أن ما يأخذه الإمام في هذه الحالة تطوع من صاحبه، لثبوت حاجة عامة يقوم سدّها مقام القيام بفرض كفاية، ودليل على ذلك بتوقع حادث وبيان حكمه فيه ليتقنع له الموجب، ويصفو المناط، فإذا تم دفع الحاجة

بأموال المسلمين، ثم فضل مال في بيت المال، فإنهم لا يرجعون على الإمام بما دفعوا وقت الحاجة، لاحتمال طروء حاجة أخرى يستأدي لها من جديد، لذا خلص إلى أنّه «إنْ درّ لبيت المال مال، فحظّ المسلمين منه تهيُّؤه للحاجات في مستقبل الأوقات».

(ج) تمييز الكليات عن الجزئيات، والقطعيّات عن الظنّيات، ومعرفة مراتب الديانات ومنازل الأحكام، فكثيرًا ما تتعارض الأحكام في واقع معيّن، ولا يُعرف ما يقدّم وما يؤخّر، ومرتبة المصالح الراتبة على كل فرض وتقدير، فيحتاج الحسم فيه إلى الاضطلاع بمثل هذه المعرفة لدرك مناطات التمييز.

مثال ذلك: ما انتهى إليه الجويني في ترتيب أحكام المعاملات، من أن أوجب الأمور فيها ثلاث قواعد: التراضي، وتحريم التسالب والتغالب ومدّ الأيدي إلى أموال الناس من غير استحقاق، وارتفاع الحرج فيما لم يثبت فيه حظر.

ومثال آخر: تقديم أحكام البراءة الأصليّة على أحكام التكليف، عند تعارض المعالم، وتدارؤ المظانّ، لما قد يعتري من ظروف يضطرب فيها الحدْس، ويختلف نهج التوقع والحس. فقد مهّد الجويني هذا التقديم بافتراض سؤال، في آخر المآل، فما كان مقدمًا هناك يجب أن يتقدم بإطلاق، لأنه غاية المذاق، ونهاية المساق. فيقول: «إذا دُرست فروع الشريعة وأصولُها ولم يبقَ معتصم يُرجع إليه ويعوّل عليه، انقطعت التكاليف عن العباد، والتحقت أحوالهم بأحوال الذين لم تبلغهم دعوة ولم تنط بهم شريعة». وفي هذا تقديم البراءة الأصلية على منصب التكليف. وعليه، لو عمّت فاقةٌ وفقر، وظهر المحاويج، كالذي حدث عام الرّماد؛ فإن قطع السرّاق يسقط، لتقدم قاعدة البراءة على قاعدة التكليف.

وما تأجيل الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إقامة القصاص على قتلة عثمان رضي الله عنه، إلى وقت استتباب أمن الأمة، واستبداد هيبة الدولة، وذلك لأن القتلة كانوا عددًا من الناس وكان في ملئهم من لم يجتمع على قصد القتل والعدوان، وكان قدر الاشتراك بالجريمة النكراء مختلفًا من فرد لآخر وجماعة لأخرى، فأخّر شغل الذمم بالقصاص والتكليف عن موجب البراءة الأصليّة، لذلك قدّم الإمام عليٌّ دفع مفسدة تفريق الصفقة على مصلحة الإيقاع العاجل لعقوبة القصاص، ويقول: «تأخير الحد لمصلحة راجحة، إما من حاجة المسلمين إليه، أو من خوف ارتداده ولحوقه بالكفار».

(د) لئن كان فقه التوقع يؤدي دور المكمل في مجالات الفقه الخاص والفقه الجزئي، فإنه يلعب دور الضروري في مجال الفقه الكلي العام وأحكام الإيالات وضبط طرق السياسات، لذا عارض الجويني مذهب من يرى توزيع الإمام كل ما يفضل من مال عن بيت المال دون نظر في العواقب والمآلات. قال الجويني: والذي أقطع به أن الحاجات إذا انسدّت، فاستمكن الإمام من الاستظهار بالادخار، فحتمٌ عليه أن يفعل ذلك.

ولعلّ الفائدة الأخيرة هي متطلّع أنظار الفقهاء، ومأخذ استثارة العلماء لفقه المتوقع.

أدوات النظر الاجتهادي في فقه المتوقع:

لهذا الفقه أدوات في جانبي: معرفة الواجب في الشرع، والتعريف بالأمر المتوقّع. فلكل من النظرين أدواته ومنهاجه. فأما ما يتعلق بوسائل التعرُّف على المتوقّع، وما له من أثر في الواقع، وما للواقع من أثر عليه؛ فإن ذلك يُعرف بأدلة الوقوع من العقل والحس واللغة والحدس والطبع والعادة، وكذلك الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية

فهذه العلوم وإن كانت علومًا غير دينيّة، ولكنها علوم دنيويّة معتبرة، والدنيا حرث الدين، أي: «تنتظم أمور الدنيا، ويستمدّ منها الدينُ»(١٧).

من الأدلة والقواعد الشرعية التي يعوّل عليها في هذا النوع من النظر الاجتهادي ما يأتي:

أولًا: الكتاب والسنة، والسيرة وآثار سلف الأمة: ففي ذلك دلالات وعلامات على قوانين الكون والخلق، وهدايات إلى معرفة ما يؤثر من التصرفات والتدابير والإجراءات في مجاري الأحوال العامة والخاصة... فالكتاب والسنة ليسا نصوصًا وألفاظًا تردد وتتلى، بل فيهما من قوانين الوعي كل قاعدة وأصل، وكل قطع ووصل.

ثانيًا: دليل القياس، والاستدلال (المصالح المرسلة)، وما يندرج تحتهما من قواعد الجمع والترجيح، عند تدافع العلل والمصالح، وتمانع الحِكَم والمنافع. قال الغزالي: «المختلفون من العلماء في اتباع المصالح لم يختلفوا في اتباع الولاة للمصالح... وقد نيطتْ بهم نصًا وإجماعًا، وحكِّم في تفصيلها اجتهادُهم». يقول الجويني: «اختلف العلماء المعتبرون، والأئمة الخائضون في الاستدلال، وهو معنى مشعر بالحكم مناسبٌ له فيما يقتضيه الفكر العقلي، من غير وجدان أصل متفق عليه... ومن أمثلة الاعتماد على المصالح المرسلة في فقه المتوقّع ما قاله الجويني فيما يجب على الأغنياء إذا استحرّ قحط عام بأهل البلد، فإنه استصلح أن يستظهر كلّ موسر بقوت سنة، ويصرف الباقي من ماله إلى ذوي الضرورات.

ثالثًا: قاعدة تحقيق المناط، وهي «أن يثبت الحكم بمُدركه الشّرعيّ، لكن يبقى النّظر في تعيين محلّه»، أوَ هو «إثبات مضمون القاعدة العامّة، أو الأصل الكليّ، أو العلّة في الجزئيّات والفروع إبّان التّطبيق... فهو ضربٌ من الاجتهاد بالرّأي في التّطبيق الّذي لا يمكن أن ينقطع حتىّ فناء الدُّنيا».

وقد عقد الإمام ابن القيم في كتابه «بدائع الفوائد» فائدة مستقلة للتمييز بين دليل المشروعية ودليل وقوع الحكم: فيقول: «الفرق بين دليل مشروعية الحكم وبين دليل وقوع الحكم: أن الأول متوقف على الشارع. والثاني يعلم بالحس أو الخبرة أو العادة.

وقد لخص الشاطبي هذا المعنى في قاعدة فقال: «اقتضاء الأدلّة للأحكام بالنِّسبة إلى محالِّها على وجهَين: أحدهما، الاقتضاء الأصليُّ قبل طروء العوارض، كالحكم بإباحة الصّيد والبيع والإجارة، وسنّ النّكاح. والثاني: الاقتضاء التبعيُّ. وهو الواقع على المحلّ مع اعتبار التّوابع والإضافات، كالحكم بإباحة النّكاح لمن لا أرب له في النّساء، ووجوبه على من خشي العنَت، وكراهيّة الصّيد لمن قصد فيه اللّهو.

الصلة بين فقه المتوقّع وفقه الواقع والترقب والمآلات:

مآلات الأفعال مصطلح يقصد منه مراعاة ما يؤول إليه تصرف المكلفين من نتائج موافقة لنهج الفعل أو مخالفة. فيؤول التصرف إلى خلاف المآل المعتاد، ويلزم من ذلك ما لا يلزم على التصرُّف عادةً، فوجب الاعتبار والنظر فيه.

يقول الإمام الشاطبي: «النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا، كانت الأفعال موافقةً أو مخالفةً، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة من المكلفين بالإقدام والإحجام إلاّ بعد نظره إلى ما يؤول إليه الفعل، ثم ذكر الشاطبي أن قاعدة رفع الحرج والذرائع والحيل ومراعاة الخلاف والاستحسان من تطبيقات هذا الأصل العامّ.

أما سد الذريعة فيُقصد منه منع ما يجوز، لئلاّ يُتطرّق به إلى ما لا يجوز. وكما يقول ابن عاشور: «إفضاء الأمور الصالحة إلى مفاسد، شيء شائع في كثير من الأعمال... فاعتبار الشريعة بسدّ الذرائع يحصل عند ظهور غلبة مفسدة المآل على مصلحة الأصل، فهذه هي الذريعة الواجب سدُّها».

أما الاستحسان فقد اختلفت تعابيرهم في التعريف به، فقال بعضهم: العدول من الدليل الظاهر إلى دليل خفي لوجه يظهر للمجتهد. وقال آخرون: دليل ينقدح في نفس المجتهد تقصر عنه عبارته. المعنى الجامع أنه: «العدول بالمسألة عن حكم نظائرها إلى حكم آخر، لوجه أقوى يقتضي هذا العدول»، يقول الشاطبي: «إن العلماء صوروا الفرق بين المصلحة المرسلة والاستحسان بأن الثاني استثناء من القواعد». ويقول: «الاستحسان غير خارج عن مقتضى الأدلة، إلا أنه نظر إلى لوازم الأدلة ومآلاتها».

أمّا مراعاة الخلاف وتوظيفها في فقه المآلات، فقد تتجلى فائدتها في النظر إلى الأسباب والعلل والمعاني التي استظهر بها المجتهد المخالف في الرأي، يقول الغزالي: «فإن قيل: فما مثال المناسب الغريب الذي لا يلائم؟ قلنا: قلّ ما يتفق في المسائل أمثلتُه؛ فإن المعاني إذا ظهرت مناسبتها فلا تنفكُّ عن التفات الشرع إلى جنسها، في غالب الأمر».

فعند النظر في مآلات الأفعال يجب مراعاة الخلاف والاحتراز عن المفاسد التي عارض بها المخالف في الرأي، في جانب المشروع، والتشوف إلى المصالح التي تطلّع إليها المخالف وعارض بها، في جانب غير المشروع.

وفي مورد تعارض المصالح وجهاتها، واعتبار الحال فيها أو المآل، وترجيح الأمر الواقع أو المتوقّع، قال الشاطبي: «ووجه الترجيح في هذا الضرب غير منحصر، إذ الوقائع الجزئية النوعية أو الشخصية لا تنحصر... بل لابدّ من ضمائمَ تحتفُّ، وقرائن تقترن بما يمكن تأثيره في الحكم المقرر...

ولعلّ أفضل مثال نمثل به في هذا المقام ما قاله الإمام الجويني: «إنْ علمنا أنّه لا يتأتّى نصبُ إمام، دون اقتحام داهية، وإراقة دماء، ومصادمة أحوال جمّة الأهوال، وإهلاك أنفس، ونزف أموال، فالوجه أن يقاس ما الناس مدفوعون إليه مُبتَلَوْن به، بما يُفرض وقوعُه في محاولة دفعه؛ فإن كان الواقع الناجز أكثر مما يقدّر وقوعه في رَوْم الدفع، فيجب احتمال المتوقّع، لدفع البلاء الناجز. وإن كان المرتقب المتطلّع يزيد في ظاهر الظنون، على ما الخلق مدفوعون إليه، فلا يسوغ التشاغل بالدفع، بل يتعيّن الاستمرارُ على الأمر الواقع».

فإن الذي نلحظه أن قاعدة مآلات الأفعال تأخذ مأخذين: مأخذًا استدلاليًا في فهم المشروعية وفهم الواجب في الواقعة، ومأخذًا تطبيقيًا يتمثل بإيقاع الحكم عليها وهو مأخذ تحقيق المناط.

وإذا جرى تحقيق المناط على قاعدة الاقتضاء الأصلي وكان المناط ثابتًا بنص أو إجماع فإنه اجتهاد تحقيقي محض.

وفقه الواقع أعم من فقه الواقعة، فهو في العربية بمثابة اسم الجنس الجمعي الذي يقابله اسم الجنس الإفرادي، كتمر وتمرة وشجر وشجرة. فلئن كان فقه الواقعة جزئيًا فإن فقه الواقع كلي، وبعبارة أخرى: فهم الواقع هو الكلي المستقرأ أو المنتظم من فهم الواقعات ودرك ما بينها في الخارج من صلات ونسب وعلاقات.

وبما أن المتوقّع قد ينزل منزلة الواقع، فإن فقهه قد يكون جزءًا لا يتجزأ من فقهه، باعتبار أن المتوقع إما أن يكون مآلًا للواقعة أو مآلًا للواقع.

وفقه المتوقّع إذن، هو: درك جهات التأثير والمناسبة والملاءمة الكامنة في المتوقّعات، المبتدأة أو المستدامة، في نظام تركيبها وصلات انتظامها، بمعيار مقاصد الشريعة وأحكامها ونظامها. ويرى العلامة عبدالله بن بيه أن فقه التوقع يعني استناد الأحكام إلى المستقبل.

ويضيف الشيخ عبدالله بن بيه أن من فقه التوقع ما كان يُسميه الأوائل «فقه الترقب»، وقال: فقه التوقع مصطلحٌ حديثٌ لم يكن معروفًا في المصطلحات الفقهية العتيقة، إلا أنه في مضمونه صحيحٌ أطلق بعض الأوائل عليه اسم الترقب أو ما أسموه بالمترقبات.

وفذلكة القول: أن المعتبر في فقه الواقع، وفقه المتوقع، وتحقيق المناط كلّها هو: حمل الأمة أفرادًا وجماعةً على التوسط والاعتدال، في جميع الأحوال.

والهدف منها جميعًا «انتظام أمر الأمة، وجلب الصالح إليها، ودفع الضرِّ والفساد عنها».

القدوة الغائبة

رشيد ناجي الحسن - إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

من عجب أني لاحظت وأنا أراجع معنى كلمة قدوة في اللغة العربية أنّ معانيَها كلّها معانٍ جميلةٌ، ففي لسان العرب: القَدْوُ أصلُ البناء الذي يَتَشَعّبُ منه تصريفُ الاقتداء، يقال قِدْوةٌ وقُدْوة بالكسر والضم لما يُقْتَدى به. والضمّ أكثرُ من الكسر. والقُدْوة والقِدْوة ما تَسَنَّنْتَ به، قُلبت الواوُ فيه ياءً للكسرة القريبة منه وَضَعْف الحاجز، والقِدَى جمعُ قِدْوة.

والقِدَةَ كالقِدْوة يقال: لي بك قِدْوةٌ وقُدْوة وقِدَةٌ، ومثلُه حَظِيَ فلانٌ حظْوةً وحُظْوةً وحَظة، وداري حِذْوةَ دارك وحُذْوةَ دارك وحِذةَ دارك، والقُدوة والقِدوة: الأُسْوة، يقال: فلانٌ قدوة يُقتدى به. والقَدْوةُ التقَدُّمُ، يقال: فلان لا يُقاديه أحد ولا يُماديه أحد ولا يُباريه أحد ولا يُجاريه أحد، وذلك إذا بَرّز في الخلال كلّها. والقِدْيةُ: الهِدْيةُ، يقال: خُذْ في هِدْيَتك وقِدْيَتك، أي فيما كنت فيه، وتَقَدَّتْ به دابّتُه: لَزِمَتْ سَنَنَ الطريق، وتَقَدّى هو عليها، ومَن جعله من الياء أخذه من القَدَيان، ويجوز في الشعر، ويقال مرّ بي يَتَقَدّى فرسُه أي: يلزَم به سَنَنَ السّيرة، وتَقَدّيْتُ على فرسي، وتَقدّى به بعيرُه: أسرع. وتَقَدّى الفرس استعانَتُه بهاديه في مشيه بَرَفْع يديه وقَبْض رجليه شبّه الخَبَب، وقَدا اللحمُ والطعامُ يَقْدُو قَدْواً وقَدِيَ بالكسر يَقْدى قَدًى، كلّه بمعنى إذا شَمَمْتَ له رائحة طيبة. يقال شممت قَداةَ القِدْر وهي قَدِيةٌ على فَعِلة، أي: طيبةُ الريح ، ويقال هذا طعام له قَداةٌ وقَداوة، وعن أبي زيد قال: وهذا يدل أنّ لام القَدا واو، وما أقْدى طعامَ فلان أي: ما أطيَبَ طَعْمه ورائحته، وطعامٌ قَدِيٌّ وقَد: طيبُ الطّعم والرائحة، يكونُ ذلك في الشّواء والطبيخ.

وقال ابنُ الأعرابي: والمَقْدُوُ القُرْبُ، وأقْدى: إذا استوى في طريق الدين. أرأيتم أيها الأخوة معاني كلمة قدوة ما أجملها، فهي كمعناها، وهذا من جمال لغتنا العربية أنّ الحروف تتناغم في المعنى مع جمال الكلمة ومدلولها، وهذا بابٌ كبير وواسعٌ جدا في اللغة العربية. ولذلك يقول ابنُ جني عالمُ اللغة: العربيّ أبدع كلماته سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود، والغرض المراد، أي: الحرفُ الأول لبداية الحديث، والوسطُ لوسطه، والأخيرُ لآخره.وقد وافق ابن جني في رأيه هذا في أنّ اللغة العربية فطرية الفراهيدي وتلميذُه سيبويه وابنُ سينا والشدياقُ والعلايليُ والأرسوزي. وأضرب على ذلك مثلا- وإنْ خرجتُ عن الموضوع قليلا-كلمة حَب، فالحبُّ مثلا: قالو الحاء للحرارة، والباء للحفر، فكأنّ حرارة العاطفة حفرت عميقا متغلغلا في الأعماق. ولم يُزد على الحب أيُّ حرف حفاظا على نقائه. وبالعكس كلمة:قبح: فالقاف مع الباء فيه عنفٌ وغلظة، والحاءُ فيه رقةٌ فهناك إذاً تنافرٌ ذوقي بين الأحرف، القافُ انفجار والباءُ حفر وبَقْرٌ والحاءُ سلبية، وفيه مقطعٌ: بُحْ المشوهُ في الصوت. ولذلك لو تأملنا قوله تعالى: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾، لوجدنا أنّ سكونَ الهاء في كلمة اقتده فيه لطيفة جميلة تخدم معنى القدوة الذي نحن بصدده، فكأنّ المعنى المقصود من الهاء هنا هو: اقتد بهم اقتداء تاما في كل شيء، فهم القدوة الحصرية لك، فكأنّ الهاء الساكنةَ أعطت معنى الوقوف على الاقتداء بهم حصرا، وفي أي شيء. فلنعد إلى موضوعنا: القُدوة اسم لمن يُقتدى به، فيقال: فلانٌ قدوة إذا كان ممن يأتسي الناسُ خطاه، ويتّبعونَ طريقته، والاقتداءُ هو طلبُ موافقة الغير في فعله، واتّباعُ شخصية تنتمي إلى نفس القيم التي يؤمنُ بها المقتدي، وعادةً ما يمثل شخصُ المقتدَى به قدرًا من المثالية والرقي والسمو عند أتباعه ومحبيه، والقدوةُ تنطوي في داخلها على نوع من الحب والإعجاب الذي يجعل المقتدي يحاول أنْ يطبق كلّ ما يستطيعُ من أقوال وأفعال. ولا يمكن بحال أنْ يكون الاقتداءُ إلغاءً أو مصادرة للرأي والإرادة، أو ممارسةً لضغط ما، أو قسر المقتدي على أمر معين، لأنّ الإقتداءَ منطلقٌ من قناعة صاحبه، فهو جزءٌ من إرادته وكيانه.

إذن القدوة الحسنة هو: ذلك الشخص

الذي اجتمعت لديه الصفاتُ الحسنةُ كلها، لكنّ هذا لا يمنع من القول: إنّ فلاناً قدوةٌ في صفة معينة ويكون ممن يَنقُص حظُّه في أمور أخرى، فيقالُ مثلا فلان قدوةٌ في البذل والتضحية، ولكنه لا يتصفُ بالعلم مثلاً، ويقال إنّ فلاناً قدوةٌ في طلب العلم دون الشجاعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما يقال إنّ هذه الأختَ قدوةٌ في الأدب واللباقة ولكنها ليست على قدْر من العلم الشرعي. والموفقُ من ضربَ من كل خير بسهم فيكونُ له باعٌ في كل فضيلة، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء. وبضد ذلك القدوة السيئة التي تزين للناس الباطلَ وتُتخذُ مثلاً.

والقدوة الحسنة في الإسلام قسمان:

أ –قدوة حسنة مطلقة: أي معصومة عن الخطأ والزلل، كما هي في الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة...﴾، وقال:﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه...﴾ إلى أنْ قال: ﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر...﴾، وقال: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ...﴾.

ب –وقدوة حسنة (مقيدة) أي بما شرعه الله عز وجل، لأنها غيرُ معصومة، كما هي في الصالحين والأتقياء من عباد الله من غير الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فغيرُ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قد يُقتدى بهم في أمور دون أخرى، وذلك لاحتمال صدور تصرفاتهم عن ضعف بشري، أو خطأ اجتهادي، لذا كان الاقتداء بهم مقيدًا بموافقة شرع الله.

وبذا يكون أسلوبُ القدوة الحسنة أسلوبًا عامًا يشمَل التأسيَ بكل من عَملَ عملاً صالحًا حسنًا، سواءٌ أكان نبيًا رسولاً، أم كان تابعًا للمرسل الكرام ناهجًا نهجَهم في عمله. وأعظمُ القدوات هو رسولُ الله ﷺ، وهو القدوةُ المطلقة؛ فكلُّ ما يفعله أو يقوله أو حتى يتركه هو محلٌّ أسوة وقدوة، يقول جل وعلا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

ورأسُ الأمر في القدوة والأسوة الحسنة أنْ ندعوَ الناس بأفعالنا مع أقوالنا، يقول عبدالواحد بنُ زياد: «ما بلغ الحسنُ البصري إلى ما بلغ إلا لكونه إذا أمر الناسَ بشيء يكون أسبقَهم إليه، وإذا نهاهم عن شيء يكون أبعدَهم عنه»، ولما نبذ رسولُ الله ﷺ خاتمَه وقال: «إني اتخذت خاتمًا من ذهب» فنبذه وقال: «إني لن ألبسَه أبدًا» فنبذ الناس خواتمهم فدلّ ذلك على أنّ الفعلَ أبلغُ من القول. ونحن – كما أسلفت – في هذه الفترة العصيبة التي تمر على الأمة من الضعف والهزيمة نحتاجُ أنْ نحققَ في أنفسنا أنموذجَ التطبيق الصحيح لهذا الدين، لكي يحقق الله لنا النصر والتمكين، ونسد على المتربصين أعداء الدين منافذ تسلطهم وسطوتهم باسم الإصلاح وحفظ الحقوق.إذ إنّ المسلم القدوة أشدُّ على أعداء الدين من كل عُدّة، ولذلك لما تمنى الناس ذهبًا ينفقونه في سبيل الله، كانت مقولة عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه «ولكني أتمنى رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، فأستعين بهم على إعلاء كلمة الله». فعسى إنْ كنا على مستوى حُسن الأسوة والتأسي أنْ يمكن الله لنا في الأرض وأنْ يجعلَنا أئمة ويجعلَنا الوارثين.

وأما حالُ الناس مع القدوات:

فمنهم قسم انبهر بهم انبهارًا أقعده عن العمل، واتّكَل على أعمالهم، وليس له سوى التعلق الخاوي، بينما القدوة تستلزم الاتباع.

وقسم نذر نفسَه لهدم هذه القدوات فليس يعجبه سوى هواه، ولو على ضلالة.

وقسم ثالث توسّط فاستفاد من الإيجابيات الجمّة، وتمسك بما يجبُ أن يتمسكَ، وسارَ على نهج قويم يأخذ ما وافقَ شريعةَ الرحمن على منهج خير الأنام. وهذا هو الاقتداء المحمود.

وأما ميادين القدوة فهي:

١. العبادة والطاعات المحضة، وذلك بالمحافظة على الفرائض والواجبات، والتزود بالإكثار من النوافل والقربات، فذلك ميدانٌ مهم من ميادين الدعوة بالقدوة، كما كان التأثيرُ بذلك قويًا في هدي المصطفى ﷺ في عبادته وقيامه بحق ربه، ومن ذلك أيضاً أمرُه لنسائه بقيام الليل حينما رأى تنزّلَ الفتن والخزائن على أمته ليقتديَ بهن النساءُ خاصةً، والناسُ عامة في كل زمان، لاسيما زمنَ كثرة الفتن.

٢. علاقة القدوة بالناس وتعاملُه معهم وكسبُه لحبهم واحترامهُم وثقتهُم من خلال حسن تصرفه وتحليه بمكارم الأخلاق والسماحة والكرم والعدل وطيب العشرة وطلاقة الوجه وحسن القول، إلى غير ذلك من مجالات الدعوة بالقدوة في التعامل، ولنا في رسول الله ﷺ في هذا الميدان أعظم أسوة وأرقاها.

٣ تكوينُ النفس وتربيتُها علمًا وأدبًا وسمتًا ومظهرًا، وهذا كما أشرت سابقًا لا تتحقق القدوة إلا به، وهو في الوقت ذاته مجالٌ من مجالات الدعوة، وأسلوبٌ مؤثرٌ من أساليبها. فيقعُ التأثرُ في نفوس الناس بمظهر القدوة وسمته ووقاره موقعًا بليغًا يفوقُ أحيانًا الاستفادةَ من أقواله وعلمه. وقد ورد أنّ الذين كانوا يجلسون على الإمام أحمدَ بن حنبل في مجلس درسه يبلغون المئات، مع أنّ الذي يطلب عليه ويدون علمه عدد قليل من ذلك الحشد الكبير الذي إنما حضر انتفاعًا بهدي الشيخ وإقتداءً بسمته وأدبه.

فالقدوة التي نريدها هي تلك الصالحة النافعة التي تسير على صراط الله تعالى وفق منهج الرسول الكريم ﷺ.

وأخيراً القدوة الصالحة هي من أفضل الوسائل وأقربها للنجاح وأكثرها فاعلية في حياة الناس، وهي عنصرٌ رئيسٌ ذو أهمية بالغة في البناء والتربية.

الوسطية في الفتوى

الشيخ عبدالله بن الشيخ المحفوظ بن بيه
نائب رئيس الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين

الوسطية هي الميزان والموازنة والتوازن بين الثبات والتغير، بين الحركة والسكون، هي التي تأخذ بالعزائم دون التجافي عن الرخص في مواطنها. وهي التي تطبق الثوابت دون إهمال للمتغيرات، وهي تتعامل مع تحقيق المناط في الأشخاص والأنواع، تقيم وزنًا للزمان ولا تحكمه في كل الأحيان، كما أن الوسطية تفرق بين المتماثلات وبين المتباينات، وهي إعمال للحاجات وللمصالح وعموم البلوى والغلبة وعسر الاحتراز.

ونعني بالوسطية هنا المقارنة بين الكليّ والجزئيّ، والموازنة بين المقاصد والفروع، والربط الواصب بين النصوص وبين معتبرات المصالح في الفتاوى والآراء.. فلا شطط ولا وكس.

وميدانيًّا عن طريق الوسطية نريد تكوين جيل متجذر في تراثه، متصالح مع زمانه، يتعامل مع الآخرين بسماحة وأيضًا بشجاعة، فلا نريد أن يكون شبابنا سباعًا عادية كما قال الشاعر:

ولكنما أهلي بواد أنيسه سباع
تبغي الناس مثى وموحدًا

ولا نريدهم كذلك خرافًا وبقرًا يمد أعناقه للجزار على حد قول الشاعر:

هزبر عدا في شرعة الرمح والعدا
غدوا بقرًا يستسهل النحر والذبحا

نريدهم جيلًا منفتحًا سمحًا عزيزًا أبيًّا. وللتدليل على مفهوم الوسطية في الفتوى نقتطف من الموافقات القطوف التالية: إذ يقول الشاطبي: المفتي البالغ ذروة الدرجة هو الذي يحمل الناس على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب بهم مذهب الشدة، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال.

والدليل على صحة هذا أنه الصراط المستقيم الذي جاءت به الشريعة، فإنه قد مر أن مقصد الشارع من المكلف الحمل على التوسط من غير إفراط ولا تفريط، فإذا خرج عن ذلك في المستفتين خرج عن قصد الشارع، ولذلك كان ما خرج عن المذهب الوسط مذمومًا عند العلماء الراسخين.

منكم منفرون

وأيضًا: فإن هذا المذهب كان المفهوم من شأن رسول الله ﷺ وأصحابه الأكرمين، وقد رد عليه الصلاة والسلام التبتل.

وقال لمعاذ لما أطال بالناس في الصلاة: «أفتان أنت يا معاذ؟». وقال: «إن منكم منفرين».

وقال: «سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا».

وقال: «عليكم من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا». وقال: «أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قل».

وأيضا: فإن الخروج إلى الأطراف خروج عن العدل، ولا تقوم به مصلحة الخلق. أما في طرف التشديد فإنه مهلكة، وأما في طرف الانحلال فكذلك أيضا.

لأن المستفتي إذا ذهب به مذهب العنت والحرج بغض إليه الدين، وأدى إلى الانقطاع عن سلوك طريق الآخرة وهو مشاهد.

وأما إذا ذهب به مذهب الانحلال كان مظنة للمشي مع الهوى والشهوة، والشرع إنما جاء بالنهي عن الهوى، واتباع الهوى مهلكة، والأدلة كثيرة(١).

أصول وقواعد

كيف نضع معايير للفتوى الوسطية من خلال أصول وقواعد محددة تحكم فتاوى المفتي وقراراته؟

للإجابة عن هذا السؤال بنينا بحثا

على أربع قواعد:
أولًا: قاعدة تغير الفتوى بتغير الزمان
كان لعمل أمير المؤمنين عمر نصيب كبير في تأصيل هذه القاعدة، فمن ذلك أن عمر لم يعط المؤلفة قلوبهم مع وروده في القرآن، ورأى أن عز الإسلام موجب لحرمانهم.
وكذلك إلغاؤه للنفي في حد الزاني البكر خوفًا من فتنة المحدود والتحاقه بدار الكفر، لأن إيمان الناس يضعف مع الزمن.
وأمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه يأمر بالتقاط ضالة الإبل وبيعها وحفظ ثمنها لصاحبها، كما رواه مالك -رحمه الله تعالى- عن ابن شهاب الزهري مع نهيه ﷺ التقاط ضالة الإبل، وذلك لما رأى من فساد الأخلاق وخراب الذمم، وورّث تماضر الأسدية لما طلقها عبدالرحمن في مرض موته.
وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه يضمّن الصناع بعد أن كانت يد الصانع أمانة قائلًا: لا يصلح الناس إلا ذاك.
ويقول الأستاذ صبحي المحمصاني مسجلًا موقف الصحابة في كتابه «تراث الخلفاء»: «وقد أقروا مبدأ تغير الاجتهاد، فتوسع عمر الفاروق بوجه خاص في الاجتهاد وفي تفسير النصوص بما يلائم حكمة التشريع وفلاح العباد، ويناسب تطور الزمان والمكان وتقلبات الأحوال، وتعرض في ذلك لمسائل عديدة منها: المؤلفة قلوبهم، والطلاق الثلاثي المتسرع، وبيع أمهات الأولاد، وعدم التغريب في الحدود، وإعفاء السارق من القطع عام المجاعة، وتطوير عقوبة التعزير تأديبًا وزجرًا للمذنبين والمجرمين، وتحديد عاقلة الدية في القتل والجراح، وتفصيل أمور ضريبة الخراج»(٢).

تأثر الأحكام

وقد روي عن عمر بن عبدالعزيز قوله: تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور.
وقد قال ابن رشد: إن لله أحكامًا لم تكن أسبابها موجودة في الصدر الأول، فإذا وجدت أسبابها ترتبت عليها أحكامها.
هذه القاعدة وردت في مجلة الأحكام العدلية بعنوان: «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان».
وهي قاعدة ليست على إطلاقها، فليست كل الأحكام تتأثر بتغير الزمان.. فوجوب الصلاة والصوم والزكاة والحج وبر الوالدين والكثير من أحكام المعاملات والأنكحة، وكذلك فإن المنهيات القطعية كالاعتداء على النفس والأموال والأعراض وارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأكل أموال الناس بالباطل، ومنها الغش والخيانة ومحرمات عقود الأنكحة ومحرمات عقود البيوع المشتملة على الربا أو الغرر الفاحش أو الجهالة.. فكل تلك لا تستباح إلا بالضرورات التي تبيح المحظورات.
وبصفة عامة فمحرمات المقاصد التي تعني أن العقد يشتمل على المفسدة التي نهى الشارع عنها لا تجيزها الحاجة.
وبالعكس من ذلك، فإن محرمات الذرائع التي يتوصل بها إلى المفسدة، وواجبات الوسائل التي يتوصل بها إلى مصلحة، فإنها تتغير بتغير الزمان لأنها تدور مع المصالح جلبًا والمفاسد درءًا، فإذا رجحت مصلحة على المفسدة التي من أجلها كان الحظر فإن النهي يستحيل تارة إلى تخيير وتارة إلى طلب.

عند المشقة

وقد أشار الشارع إلى ذلك في مسائل كان نهى عنها أو أمر بها، فمن قبيل النهي: «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها».
وقد كان ﷺ نهى عن ادخار لحوم الأضاحي ثم رفع النهي قائلا: «إنما نهيتكم من أجل الدافة فكلوا وادخروا».
وإذا غلبت المشقة سقط الأمر: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك».
فالذي يتغير هو الأحكام الاجتهادية، وأما القطعيات من الأحكام فلا تتغير، فلا يمكن أن تتغير المواريث بدعوى أن المرأة أصبح لها شأن، ولا يمكن أن يتغير، تحريم ربا النسيئة في بلاد الإسلام، ولا تحريم أكل الميتة والخنزير.
فأما الثابت فيبقى ثابتًا مادام الإنسان على هذه الأرض له ضروراته التي لا ينفك عنها، يتصف بكل صفاته التي تحتاج إلى ضبط من الشرع فهو ضعيف أمام شهواته ﴿وخلق الإنسان ضعيفًا﴾ وهو ظلوم جهول لا يقدر مسؤولية أمانته وخلافته في هذا الكون.

مصلحة شرعية

وكذلك فإن تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان أمر معهود نص عليه غير واحد من العلماء كابن القيم والقرافي، ولهم سلف من أعمال الصحابة -رضوان الله عليهم- كما أشرنا وفتاويهم، وليس ذلك إلا لترجح مصلحة شرعية لم تكن راجحة في وقت من الأوقات، أو لدرء مفسدة حادثة لم تكن قائمة في زمن من الأزمنة، والزمن لا يتغير، فهو كما قال الشاعر:

وما الدهر إلا ليلة ونهارها
وإلا طلوع الشمس ثم غيارها

والذي يتغير هو أحوال أهل الزمن، والمصالح التي تبنى عليها الأحكام جلبًا، والمفاسد التي تراعيها الشريعة درءًا.
ومن رد المحتار: فقد اتفقت النقول عن أئمتنا أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد

أن الاستئجار على الطاعات باطل، لكن جاء من بعدهم من المجتهدين الذين هم أهل التخريج والترجيح فأفتوا بصحته على التعليم للقرآن للضرورة، فإنه كان للمعلمين عطايا من بيت المال وانقطعت، فلو لم يصح الاستئجار وأخذ الأجرة لضاع القرآن، وفيه ضياع الدين لاحتياج المعلمين إلى الاكتساب، وأفتى من بعدهم أيضًا من أمثالهم بصحته على الأذان والإمامة لأنهما من شعائر الدين، فصححوا الاستئجار عليهما للضرورة أيضًا، فهذا ما أفتى به المتأخرون عن أبي حنيفة وأصحابه لعلمهم بأن أبا حنيفة وأصحابه لو كانوا في عصرهم لقالوا بذلك ورجعوا عن قولهم الأول.

تمييز الأدلة

وفي كتاب الفتاوى رسم المفتي في زماننا من أصحابنا إذا استفتي عن مسألة، إن كانت مروية عن أصحابنا في الروايات الظاهرة بلا خلاف بينهم فإنه يميل إليهم ويفتي بقولهم ولا يخالفهم برأيه، وإن كان مجتهدًا متقنًا، لأن الظاهر أن يكون الحق مع أصحابنا ولا يعدوهم، واجتهاده لا يبلغ اجتهادهم، ولا ينظر إلى قول من خالفهم، ولا تقبل حجته أيضا لأنهم عرفوا الأدلة وميزوا بين ما صح وثبت وبين ضده... إلخ.

ثم نقل نحوه عن شرح برهان الأئمة على أدب القضاء للخصاف.

«قلت»: لكن ربما عدلوا عما اتفق عليه أئمتنا لضرورة ونحوها، كما مر في مسألة الاستئجار على تعليم القرآن ونحوه من الطاعات التي في ترك الاستئجار عليها ضياع الدين كما قررناه سابقًا، فيجوز الإفتاء بخلاف قولهم كما نذكره قريبًا عن الحاوي القدسي، وسيأتي بسطه أيضًا آخر الشرح عند الكلام على العرف.

لو كان حيًا

(والحاصل) أن ما خالف فيه الأصحاب إمامهم الأعظم لا يخرج عن مذهبه إذا رجحه المشايخ المعتبرون، وكذا ما بناه المشايخ على العرف الحادث لتغير الزمان، أو للضرورة ونحو ذلك لا يخرج عن مذهبه، لأن ما رجحوه لترجح دليله عندهم مأذون به من جهة الإمام، وكذا ما بنوه على تغير الزمان والضرورة باعتبار أنه لو كان حيًا لقال بما قالوه، لأن ما قالوه إنما هو مبني على قواعده أيضًا، فهو مقتضى مذهبه.

وكذلك في المذهب الحنفي: الأصل أن المرأة إذا قبضت معجل صداقها تلزم بمتابعة زوجها حيث شاء.

ولكن المتأخرين من أهل المذهب لاحظوا فساد الأخلاق وغلبة الجور على النساء فأفتوا بأن المرأة لا تجبر على السفر مع زوجها إلى مكان إذا لم يكن وطنًا لها، وذلك لفساد الزمان والأخلاق، وعلى هذا استقرت الفتوى والقضاء في المذهب(٣).

ضعف الدليل

وقال في رسالته المسماة «رفع الغشاء في وقت العصر والعشاء» لا يرجح قول صاحبيه أو أحدهما على قوله إلا لموجب، وهو إما ضعف دليل الإمام، وإما للضرورة والتعامل، كترجيح قولهما في المزارعة والمعاملة، وإما لأن خلافهما له بسبب اختلاف العصر والزمان، وأنه لو شاهد ما وقع في عصرهما لوافقهما كعدم القضاء بظاهر العدالة، ومسألة خيار الرؤية في اشتراء الدار(٤).

تغير الزمان

لكن مراجعة كتب الفتاوى كالهندية تبرز بوضوح تأثير المتأخرين في ترجيح كفة الفتاوى وما يفتى به في بلخ وخوارزم وغيرهما.

ويرى الشيخ أبوالحسن الندوي أن البعض يفترض أن الزمان لا ثبات له ولا دوام، بل إنه اسم للتغير والتحول. وليس الأمر كذلك، بل إن الزمان مركب من الاثنين التغيير والاستمرار، وإذا اختل هذا التوازن اختل الوضع. وضرب مثلًا بالنهر في جريانه الدائم مع أنه لا يزال نفس النهر.

والدين حارس الحياة ثابت في المنبع ومتغير في جريانه.

وليس الدين مقياس حرارة يقتصر عمله على تسجيل لدرجة حرارة المجتمع، وإنما هو معدل لهذه الحرارة، ومؤثر في سلوك المجتمعات للارتقاء إلى مراد الحق سبحانه.

ثانيًا: قاعدة العرف

شروط الاجتهاد

قال ابن عابدين: ليس للمفتي ولا للقاضي أن يحكما بظاهر الرواية ويتركا العرف، والله أعلم(٥).

وله أيضًا: ولهذا قالوا في شروط الاجتهاد: إنه لابد فيه من معرفة عادات الناس، فكثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله، أو لحدوث ضرورة، أو فساد أهل الزمان، بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه أو لا للزم منه المشقة والضرر بالناس، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير، ودفع الضرر والفساد لبقاء العالم على أتم نظام وأحسن أحكام، ولهذا ترى مشايخ المذاهب خالفوا ما نص عليه المجتهد في مواضع كثيرة بناها على ما كان في زمنه، لعلمهم بأنه لو كان في زمانهم لقال بما قالوا به أخذًا من قواعد مذهبه(٦).

مصالح العباد

وقد عبر العلماء عن ذلك تعبيرًا قويًا، فقال ابن القيم في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة

والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد: هذا فصل عظيم النفع جدًّا وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه وظله في أرضه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ(٧).

تغير العادة

قال القرافي في «الأحكام»: إن إجراء الأحكام التي مدركها العوائد مع تغير تلك العوائد خلاف الإجماع وجهالة في الدين، بل كل ما هو في الشريعة يتبع العوائد، يتغير الحكم فيه عند تغير العادة إلى ما تقتضيه العادة المتجددة، وليس هذا تجديدًا للاجتهاد من المقلدين حتى يشترط فيه أهلية الاجتهاد، بل هذه قاعدة اجتهد فيها العلماء وأجمعوا عليها، فنحن نتبعهم فيها من غير استئناف اجتهاد(٨)، (القرافي، الأحكام: ص٢١٨).

وقال أيضًا في الفرق الثامن والعشرين بين قاعدة العرف القولي يقضى به على الألفاظ ويخصصها، وبين قاعدة العرف الفعلي لا يقضى به على الألفاظ ولا يخصصها: وعلى هذا القانون تراعى الفتاوى على طول الأيام، فمهما تجدد في العرف اعتبره ومهما سقط أسقطه، ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمرك، بل إذا جاءك رجل من غير أهل إقليمك يستفتيك لا تجره على عرف بلدك، واسأله عن عرف بلده وأجره عليه وأفته به دون بلدك، والمقرر في كتبك، فهذا هو الحق الواضح، والجمود على المنقولات أبدًا ضلال في الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين، وعلى هذه القاعدة تتخرج أيمان الطلاق والعتاق وصيغ الصرائح والكنايات، فقد يصير الصريح كناية يفتقر إلى النية، وقد تصير الكناية صريحًا مستغنية عن النية.

إفتاء المتأخرين

قال ابن عابدين: (ثم اعلم) أن كثيرًا من الأحكام التي نص عليها المجتهد صاحب المذهب بناء على ما كان في عرفه وزمانه قد تغيرت بتغير الأزمان، بسبب فساد أهل الزمان أو عموم الضرورة كما قدمناه من إفتاء المتأخرين بجواز الاستئجار على تعليم القرآن وعدم الاكتفاء بظاهر العدالة، مع أن ذلك مخالف لما نص عليه أبوحنيفة، ومن ذلك تحقق الإكراه من غير السلطان مع مخالفته لقول الإمام، بناء على ما كان في عصره إن غير السلطان لا يمكنه الإكراه، ثم كثر الفساد فصار يتحقق الإكراه من غيره، فقال محمد باعتباره، وأفتى به المتأخرون.

ومن ذلك تضمين الساعي مع مخالفته لقاعدة المذهب من أن الضمان على المباشر دون المتسبب، ولكن أفتوا بضمانه زجرًا لفساد الزمان، بل أفتوا بقتله زمن الفتنة. ومنه تضمين الأجير المشترك. وقولهم إن الوصي ليس له المضاربة بمال اليتيم في زماننا.

وإفتاؤهم بتضمين الغاصب عقار اليتيم والوقف، وعدم إجارته أكثر من سنة في الدور وأكثر من ثلاث سنين في الأراضي، مع مخالفته لأصل المذهب من عدم الضمان وعدم التقدير بمدة، ومنعهم القاضي أن يقضى بعمله وإفتائهم بمنع الزوج من السفر بزوجته وإن أوفاها المعجل لفساد الزمان، وعدم سماع قوله إنه استثنى بعد الحلف بطلاقها إلا ببينة، مع أنه خلاف ظاهر الرواية.

قاعدة وعرف

وعللوه بفساد الزمان، وعدم تصديقها بعد الدخول بها بأنها لم تقبض ما اشترط لها تعجيله من المهر مع أنها منكرة للقبض، وقاعدة المذهب أن القول للمنكر، لكنها في العادة لا تسلم نفسها قبل قبضه. وكذا قالوا في قوله: كل حل على حرام يقع به الطلاق للعرف، قال مشايخ بلخ: وقول محمد لا يقع إلا بالنية أجاب به على عرف ديارهم، أما في عرف بلادنا فيريدون به تحريم المنكوحة فيحمل عليه، نقله العلامة قاسم. ونقل عن مختارات النوازل أن عليه الفتوى لغلبة الاستعمال بالعرف، ثم قال قلت: ومن الألفاظ المستعملة في هذا في مصرنا الطلاق يلزمني، الحرام يلزمني، وعلي الطلاق، وعلي الحرام أ. هـ.

ثالثًا: قاعدة النظر في المآلات

ومما يصب في جداول المصلحة ويسير في دربها قاعدة النظر في المآلات في الأقوال والأفعال، وقد نص الشاطبي على أن المفتي عليه أن ينظر في مآل فتواه.

مآلات الأفعال

وقد كان الإمام الشاطبي من أوفى من شرح هذا المدلول الاصطلاحي، كما يقول د.عبدالمجيد النجار، ونص الشاطبي: «النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا، كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام

إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، فقد يكون مشروعًا لمصلحة فيه تستجلب أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك، فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية فربما أدى استجلاب المصلحة فيه إلى مفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعًا من إطلاق القول بالمشروعية، وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم المشروعية ربما أدى استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد، فلا يصح إطلاق القول بعدم المشروعية، وهو مجال للمجتهد صعب المورد إلا أنه عذب المذاق محمود الغبّ جار على مقاصد الشريعة»(٩).

وأصل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّوا اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وقوله ﷺ: «لولا قومك حديثو عهدهم بكفر لأسست البيت على قواعد إبراهيم»: وقوله في تعليل انصرافه عن قتل المنافقين: «دعه لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه، أخاف أن يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه» (البخاري).

مقصد الشارع

وهكذا فإن الصحابة فهموا مقصد الشارع، والمقاصد هي المعاني التي تعتبر حِكمًا وغايات التشريع فتصرفوا طبقا لذلك، فهذا أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يترك تغريب الزاني البكر مع وروده في الحديث، حيث قضى عليه الصلاة والسلام بجلده مائة وتغريب سنة، وذلك لما شاهد من كون التغريب قد يؤدي إلى مفسدة أكبر وهي اللحاق بأرض العدو، وقال: لا أغرب مسلمًا.

وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: كفى بالنفي فتنة.

وأيضًا فإن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه لما تولى الملك أجل تطبيق بعض أحكام الشريعة، فلما استعجله ابنه في ذلك أجابه بقوله: «أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعونه جملة ويكون من ذا فتنة»(١٠).

وقد فهم ذلك العلماء فرتبوا عليه أولويات الأمر والنهي، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية حينما مر بقوم من التتار يشربون الخمر فنهاهم صاحبه عن هذا المنكر، فأنكر عليه ذلك قائلا: «إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم»(١١).

الأعمال الخاصة

وقد قال الشاطبي: «إنه ينبغي على المجتهد النظر فيما يصلح بكل مكلف في نفسه، بحسب وقت دون وقت وحال دون حال وشخص دون شخص، إذ النفوس ليست في قبول الأعمال الخاصة على وزان واحد، فهو يحمل على كل نفس من أحكام النصوص ما يليق بها بناء على أن ذلك هو المقصود الشرعي في تلقي التكاليف»(١٢).

وسد ذرائع الحرج والمشقة، وقد يسميه البعض بفتح الذرائع لأنه ترك لبعض فضائل الأعمال خوفًا من إعنات المكلفين، كما ترك عليه الصلاة والسلام تأخير صلاة العشاء قائلًا: «هذا وقتها لولا أن أشق على أمتي».

وصار الأفضل مفضولًا خوفًا من المشقة.

وكذلك ترك الأمر بالسواك عند كل صلاة، وكذلك الجمع بين الصلاتين من غير عذر، فقال ابن عباس: لئلا يحرج أمته.

وترك بناء البيت على قواعد إبراهيم لحدثان عهد القوم بالكفر فيفتنون.

وترك قتل أهل النفاق المشهود عليهم بالكفر لما في ذلك من تشويه صورة الدين وتنفير الناس منه.

أمثلة أخرى

وترك بعض الصحابة لذبح الأضحية يوم العيد، وترك عثمان رضي الله عنه للقصر في الحج خوفًا من أن يقول جهلة الناس: إن الصلاة أصبحت ركعتين.

وترك عمر رضي الله عنه لإصدار بيان على الناس يشرح فيه قضية الشورى واختيار الحكام بناء على نصيحة عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، حتى لا يساء فهمه، ويطير الناس إلى أقطارهم بتصورات خاطئة.

وعلى هذا ينبني كثير من قرارات المجلس الأوروبي، حيث يمنع أئمة المساجد من عقد النكاح قبل أن يعقد عقدًا مدنيًا أمام السلطة، لأن من شأن تلك العقود -وإن كانت مستوفية الشروط- أن تؤول إلى خصومات وربما حرمان المرأة من حقوقها، وحرمان الأولاد من نسبهم لعدم توثيق العقد، وهذا من باب النظر في المآلات.

درء المفاسد

وقاعدة ارتكاب أخف الضررين وجلب المصالح ودرء المفاسد، فكما يقول ابن تيمية: إن الشريعة جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وعلى هذا تعطل أدنى المصلحتين لتحصيل أعلاهما، ويرتكب أخف الشرين والضررين لتفويت أقصاهما.

ويقول الشاطبي: «وقد يرتكب النهي الحتم إذا كانت له مصلحة راجحة، ومثل بمسألة تقرير الزاني وفيها النطق بالكلمة التي ينهى عنها في غير هذا المقام»(١٣).

وبناء عليه فقد وضع المالكية قاعدة جريان العمل، وهي قاعدة من خلالها يرجح قول كان في الماضي مرجوحًا

ليصبح القول الضعيف راجحًا، فيترك مشهور المذهب وراجحه ويعمل بهذا القول، لكنهم ضبطوا ذلك بضوابط: إذا كان مخالفًا للمشهور، وهذا ظاهر إذا تحقق استمرار تلك المصلحة وذلك السبب، وإلا فالواجب الرجوع إلى المشهور هذا هو الظاهر(١٤).

ومن المهم أن نعرف لماذا عدل العلماء عن المشهور والراجح إلى القول الضعيف؟

شروط الضعيف

والجواب كما يقول السجلماسي في شرحه: «إن أصل العمل بالشاذ وترك المشهور الاستناد لاختبارات شيوخ المذهب المتأخرين لبعض الروايات والأقوال لموجب ذلك، كما بسطه ابن الناظم في شرح تحفة والده من الموجبات تبدل العرف أو عروض جلب المصلحة أو درء المفسدة، فيرتبط العمل بالموجب وجودًا وعدمًا، ولأجل ذلك يختلف باختلاف البلدان ويتبدل في البلد الواحد بتبدل الأزمان»(١٥).

وشروط العمل بالضعيف ثلاثة: ألا يكون القول المعمول به ضعيفًا جدًّا، وأن تثبت نسبته إلى قائل يقتدى به علمًا وورعًا، وأن تكون الضرورة محققة ومعناها الحاجة.

وهذا طريق لاحب للفقهاء لا يمتري فيه من عرف مقاصد الشريعة وذاق طعم حكمها، ووزن الأحكام بميزانها الذي لا يحيف.

وقد يعتبر البعض أن هذا من باب التساهل في الفتوى المنهي عنه، وليس الأمر كذلك، فمعنى التساهل عند ابن الصلاح: هو ألا يتثبت «الفقيه» ويسرع بالفتوى قبل استيفاء حقها من النظر والفكر، وربما يحمله على ذلك توهمه أن الإسراع براعة والإبطاء عجز ومنقصة، وذلك جهل، ولأن يبطئ ولا يخطئ أكمل به من أن يعجل فيضل ويضل، وقد يكون تساهله وانحلاله -بأن تحمله الأغراض الفاسدة على تتبع الحيل المحظورة أو المكروهة والتمسك بالشبه- طلبًا للترخيص على من يروم نفعه، أو التغليظ على من يريد ضره، ومن فعل ذلك فقد هان عليه دينه(١٦).

وبهذا نقرر أن التسهيل غير التساهل، فالتسهيل مطلوب ومرغوب لانبنائه على قاعدة التيسير، أما التساهل فمبني على الهوى.

وزن واحد

أما الرابع فتحقيق المناط في الأشخاص والأنواع:

يقول الشاطبي: ويختص غير المنحتم بوجه آخر، وهو النظر فيما يصلح بكل مكلف في نفسه، بحسب وقت دون وقت، وحال دون حال، وشخص دون شخص؛ إذ النفوس ليست في قبول الأعمال الخاصة على وزن واحد، كما أنها في العلوم والصنائع كذلك؛ فرب عمل صالح يدخل بسببه على رجل ضرر أو فترة، ولا يكون كذلك بالنسبة إلى آخر، ورب عمل يكون حظ النفس والشيطان فيه بالنسبة إلى العامل أقوى منه في عمل آخر، ويكون بريئًا من ذلك في بعض الأعمال دون بعض؛ فصاحب هذا التحقيق الخاص هو الذي رزق نورًا يعرف به النفوس ومراميها وتفاوت إدراكها، وقوة تحملها للتكاليف، وصبرها على حمل أعبائها أو ضعفها، ويعرف التفاتها إلى الحظوظ العاجلة أو عدم التفاتها؛ فهو يحمل على كل نفس من أحكام النصوص ما يليق بها، بناء على أن ذلك هو المقصود الشرعي في تلقي التكاليف؛ فكأنه يخص عموم المكلفين والتكاليف بهذا التحقيق، لكن مما ثبت عمومه في التحقيق الأول العام، ويقيد به ما ثبت إطلاقه في الأول، أو يضم قيدًا أو قيودًا لما ثبت له في الأول بعض القيود.

هذا معنى تحقيق المناط هنا.

القصد الصحيح

وفي «أحكام إسماعيل بن إسحق» عن ابن سيرين؛ قال: «كان أبوبكر يخافت، وكان عمر يجهر- يعني في الصلاة- فقيل لأبي بكر: كيف تفعل؟ قال: أناجي ربي وأتضرع إليه، وقيل لعمر: كيف تفعل؟ قال: أوقظ الوسنان، وأخسأ الشيطان، وأرضي الرحمن. فقيل لأبي بكر: ارفع شيئًا، وقيل لعمر: اخفض شيئًا»(١٧).

وفسر بأنه عليه الصلاة والسلام قصد إخراج كل واحد منهما عن اختياره، وإن كان قصده صحيحًا.

وفي «الصحيح»: «أن ناسًا جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم. قال: ذلك صريح الإيمان»(١٨).

وفي حديث آخر: «من وجد من ذلك شيئًا، فليقل: آمنت بالله».

وقال علي: «حدثوا الناس بما يفهمون، أتريدون أن يُكذَّب الله ورسوله؟»، فجعل إلقاء العلم مقيدًا: فرب مسألة تصلح لقوم دون قوم، وقد قالوا في الرباني: إنه الذي يعلم بصغار العلم قبل كباره، فهذا الترتيب من ذلك.

وتحقيق المناط في الأنواع واتفاق الناس عليه في الجملة مما يشهد له كما تقدم، وقد فرع العلماء عليه؛ كما قالوا في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا..﴾ (المائدة: ٣٣).

مطلق التخيير

إن الآية تقتضي مطلق التخيير، ثم رأوا أنه مقيد بالاجتهاد: فالقتل في موضع، والصلب في موضع، والقطع في موضع، والنفي في موضع، وكذلك التخيير في الأسارى من المن

والفداء.
وكذلك جاء في الشريعة الأمر بالنكاح وعدوه من السنن، ولكن قسموه إلى الأحكام الخمسة، ونظروا في ذلك في حق كل مكلف، وإن كان نظرًا نوعيًّا فإنه لا يتم إلا بالنظر الشخصي، فالجميع في معنى واحد، والاستدلال على الجميع واحد، ولكن قد يستبعد ببادئ الرأي وبالنظر الأول؛ حتى يتبين مغزاه ومورده من الشريعة، وما تقدم وأمثاله كاف مفيد للقطع بصحة هذا الاجتهاد، وإنما وقع التنبيه عليه لأن العلماء قلما نبهوا عليه على الخصوص(١٩).
قلت: هذا هو تحقيق المناط في الأشخاص والأنواع وهو من دقائق علم الفتوى.

بين موقفين

وأخيرًا:
فإن الوسطية هي موقف بين موقفين في فهم النصوص والتعامل معها، وهي اتجاه بين اتجاهين.. بين ظاهرية مفرطة وباطنية مفرطة، يتلخص كلام الشاطبي فيه فيما يلي:
أولًا: الاتجاه الظاهري الذي لا يهتم بالمعاني وإنما يقتصر على ظواهر النصوص، وهم يحصرون مظان العلم بمقاصد الشارع في الظواهر والنصوص.
والاتجاه الثاني: يرى أن مقصد الشارع ليس في الظواهر، ويطّرد هذا في جميع الشريعة لا يبقى في ظاهر متمسك، وهؤلاء هم الباطنة، وألحق بهؤلاء من يغرق في طلب المعنى بحيث لو خالفت النصوص المعنى النظري كانت مطرحة.
والذي ارتضاه هو الاتجاه الثالث الذي شرحه بقوله:
والثالث: أن يقال باعتبار الأمرين جميعًا، على وجه لا يخل فيه المعنى بالنص، ولا بالعكس؛ لتجري الشريعة على نظام واحد لا اختلاف فيه ولا تناقض، وهو الذي أَمَّه أكثر العلماء الراسخين؛ فعليه الاعتماد في الضابط الذي به يعرف مقصد الشارع.

المنهج الصحيح

وهو موقف وسط في التعامل مع المقاصد والنصوص الجزئية، فقد تباينت آراء الباحثين حول المقاصد من مُبالغ في اعتبارها، متجاوز لحدود عمومها، حيث جعله قطعيًّا وجعل شمولها مطّردًا، غافلًا أو متجاهلًا ما يعتري العموم من التخصيص وما لا ينبري للشمول من معوقات التنصيص، فألغوا أحكام الجزئيات التي لها معان تخصها بدعوى انضوائها تحت مقصد شامل.
ومن مجانب للمقاصد، متعلقًا بالنصوص الجزئية إلى غاية تلغي المقاصد والمعاني والحكم التي تعترض النص الجزئي، وتحدُّ من مدى تطبيقه وتشير إلى ظرفيته، فهي كالمقيد له والمخصص لمدى اعتباره إلى حد المناداة بإبطال المصالح.
والمنهج الصحيح وسط بين هذا وذاك يعطي الكلي نصيبه ويضع الجزئي في نصابه، وقد انتبه لهذه المزالق الشاطبي رحمه الله تعالى، حيث حذر من تغييب الجزئي عند مراعاة الكلي، ومن الإعراض عن الكلي في التعامل مع الجزئي.
وختامًا: ففي هذا البحث السريع قدمنا أسسًا للوسطية في الفتوى التي تراعي المصالح والمآلات في الأقوال والأفعال، والتوازن بين الكلي والجزئي، ولعلي هنا أسوق أبياتًا -نظمتها للمجلس الأوروبي للإفتاء في دبلن- أحدد فيها الجدلية بين الجزئيات والكليات في فتاوى فقه الأقليات وهي:

عقود المسلمين بدار غرب
تجاذبها المقاصد والفروع
وميزان الفقيه يجور طورًا
إلى طرف فيفْرط أو يضيع
ففي الجزئي ضيق وانحصار
وفي الكلي منْفسح وسيع
ونور الحق مصلحة توازَى
بجزئي النصوص له سطوع
مآلات الأمور لها اعتبار
وحاجي الضرورة قد يطيع
فزن هذا بذاك وذا بهذا
يكن في القيس منْهجك البديع
فإن لم تستطع أمرًا فدعه
وجاوزه إلى ما تستطيع

وختامًا: فالوسطية ناموس الأكوان وقانون الأحكام، تتعامل مع الوقائع من خلال النصوص والواقع، مما سماه بعض العلماء «فقه الموازنات» وهو في حقيقته توازن بين الثوابت والمتغيرات.

الهوامش

١- الشاطبي، الموافقات، ٢٧٧/٥.
٢- المحمصاني، تراث الخلفاء الراشدين، ص ٥٨٩.
٣- يراجع: رد المحتار على الدار المختار، والمدخل الفقهي للشيخ الزرقاء، ص٩٢٨.
٤- يراجع: ابن عابدين، والقواعد للزرقاء.
٥- ابن عابدين، مجموع الرسائل ١٣٣/٢.
٦- المرجع نفسه ١٢٥/٢.
٧- ابن القيم، إعلام الموقعين ١١/٣.
٨- القرافي، الفروق ١٧٦/١-١٧٧.
٩- الشاطبي، الموافقات ١٧٧/٥-١٧٨.
١٠- المرجع نفسه ١٤٨/٢.
١١- ابن القيم، إعلام الموقعين ١٣/٣.
١٢- الشاطبي، الموافقات ٥٥/٥.
١٣- الشاطبي، الموافقات ٣٣١/٣.
١٤- البناني، حاشية على مختصر خليل ١٢٤/٥.
١٥- السجلماسي، شرح نظم العمل المطلق ٧/١.
١٦- أدب الفتوى وشروط المفتي، لابن الصلاح ص٦٥.
١٧ - أخرجه الترمذي في الجامع: أبواب الصلاة، باب ما جاء في قراءة الليل رقم ٤٤٧، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» رقم ٩١٩ وأبوداود رقم ١٣٢٩، وابن حبان وغيرهم.
١٨ - أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها رقم ١٣٤.
١٩- الشاطبي، الموافقات ٢٥/٥ وما بعدها.

الرجولة.. مدلولات وإيجابيات

الرجولة كلمة عظيمة لها مدلولات وإيجابيات كريمة، تختلف بلاشك عن إيحاءات كلمة الذكورة، وإن شئنا الدقة قلنا: إن الذكورة لبيان النوع والجنس، والرجولة لبيان الحقيقة والكيف.. وقد جاء هذا التفريق في كتاب الله تعالى. أما من ناحية النوع فقد قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (النجم: ٤٥). وأما من ناحية الكيف فقد قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب: ٢٣)، ولم يقل: كل المؤمنين رجال، مع أنهم جميعًا ذكور. فالذكورة تقابل الأنوثة، والذكورة صفة جسدية بدنية ليس إلا، لكن الرجولة تشير إلى القوة والتحمل والشجاعة والثبات، فهي تشير إلى صفات نفسية ومزايا معنوية وفضائل أخلاقية.

إبراهيم عبيد فارس
الإمام والخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

للرجولة قيمتها ومنزلتها عند أولي الألباب، ويرنو إلى المدح بها الأكابر، فيمدح الشخص بأنه رجل، ومن قوم رجال، وفيه رجولة.

الرجولة: هي قوة الخلق، وخلق القوة.

وإن أسمى ما تقوم به الأمم هو صناعة الرجولة، وتربية هذا الطراز من الرجال.

جاء في نضرة النعيم في تعريف الرجولة لغة:

الرجل: الذكر من نوع الإنسان خلاف المرأة، وفي هذا يقول الراغب الأصفهاني في المفردات: الرجل مختص بالذكر من الناس قال تعالى: ﴿ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلًا﴾ (الأنعام: ٩).

الرجولة اصطلاحًا: لم تعرف كتب المصطلحات لفظ الرجولة بيد أنها عرفت الرجل، يقول الكفوي: واسم الرجل شرعًا موضوع للذات من صنف الذكور، من غير اعتبار وصف مجاوزة حد الصغر، أو القدرة على المجامعة، أو غير ذلك (الكليات ١/٣٩٣).

مفاهيم مغلوطة عن الرجولة

ليس من الرجال أولئك الذين ينغمسون في الشهوات، الذين قعدوا عن معالي الغايات، وأعرضوا عن خالق الأرض والسموات، وليسوا أولئك الذين خلت من قول الحكمة ألسنتهم، وسداد الرأي عقولهم، هؤلاء هم أشباه رجال.. بل إن شئت فقل: إنهم ذكور.

وليس من الرجولة أن يكون الشباب كالإمعة، إن أحسن الناس أحسن وإن أساءوا أساء، وإذا ولغ أصحابه في مستنقعات السوء جرى في ركابهم؛ لكي يكون رجلًا كما يزعمون.

هل من معالم الرجولة الحقة أن تكون غاية مراد الشاب شهوة قريبة، ولذة محرمة في ليلة عابثة بلا رقيب ولا حسيب؟! أين هذا من رجل قلبه معلق بالمساجد؟! وأين هذا من رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله؟! وأين هذا من رجل تصدق بصدقة فأخفاها؟! ورجلين تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه؟! أولئك يمقتهم الرحمن.. وهؤلاء يدنيهم ويظلهم في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

وليس من الرجولة من يتمايل في حركاته، ويطيل شعره، ويضع القلادة على رقبته ويتشبه بالنساء، ولهذا «لعن الرسول ﷺ المتشبهين من الرجال بالنسباء، والمتشبهات من النساء بالرجال» (أخرجه البخاري).

كما لعن ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء، وقال: «أخرجوهم من بيوتكم» (أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما).

الرجولة والسن

عند كثير من اللغويين لا تتعدى الرجولة أن تكون مرحلة عمرية يمر بها كل إنسان، فهم يقولون: لا يسمى الإنسان رجُلا إلا إذا احتلم وشب.

والحقيقة أن السن لا علاقة له بالرجولة، فربما كان الطفل بصفاته رجلًا، وكان الرجل بصفاته طفلًا.

وكم رأينا من أناس تخطوا بأعمارهم مرحلة الرجولة التي حددها اللغويون، بل وتخطوا الكهولة إلى الشيخوخة، ومع ذلك فهم أرجل من الرجال بعزائمهم وتحملهم.

والمرء بأصغريه: قلبه ولسانه، ولذا فإن أطفال الانتفاضة وفتياتها في أرض الإسراء يضربون للأمة كلها- من المحيط إلى الخليج- أروع الأمثلة في الرجولة، هم أطفال في أجسامهم، أبطال في أفعالهم، رجال في مواقفهم، هم بحق يصدق فيهم وصف الرجولة، فقد تربوا على مائدة القرآن، يجاهدون في سبيل الله، وغيرهم يجاهد بالخطب الرنانة، والعبارات المخدرة.

إن كثيرًا من هؤلاء لم يصلوا إلى مستوى الرجل الطفل، طفل الحجارة، رجولة تأبى الطغيان والاستسلام للمعتدين، لا يهابون طلقات القذائف، بل يتصدون لها بصورهم وقلوبهم؛ حتى يحرر القدس الشريف، إنها همم رجال ترفض المهانة والذل.

إن الفتى حمّال كل ملمة
ليس الفتى بمنعّم الشبّانِ

الرجولة والجسد

معيار الرجولة عند كثير من السطحيين يتمثل في مجموعة من المواصفات الجسمية، فهي عندهم تعني القدرة الجنسية، أو الفحولة، أو العضلات المفتولة، أو القامة الطويلة، والشوارب

التي أطلقوها خلافًا للسنة؛ لتقف عليها الصقور، فإن وجد الناس هذه الصفات قالوا: رجل شديد، لكن النبي ﷺ رد هذه التصور السقيم حين قال: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» (متفق عليه).

وهبت الريح مرة وابن مسعود رضي الله عنه صاعد على شجرة، فضحك أصحابه من دقة ساقيه، وكان صغير الحجم، لكن رسول الله ﷺ أعادهم إلى المعيار الصحيح حين قال: «والذي نفسي بيده إنهما أثقل في الميزان من جبل أحد» (رواه البزار وأبوحاتم في صحيحه).

قال المتنبي يرثي أخت سيف الدولة، ويبين فضل بعض النساء على كثير من الرجال:

ولو كان النساءُ كمن فقدنا
لفضّلت النّساء على الرّجال
وما التّأنيثُ لاسم الشّمس عيبٌ
ولا التذكيرُ فخرٌ للهلال

الرجولة والنبوة

درجت عادة الناس على عدم التقدير الواجب للقيم المجردة حتى تتجسد في نماذج محددة، ولذلك أراد الله سبحانه أن تظهر شرائط الرجولة ومقوماتها بأعظم النماذج الإنسانية.. وهم الأنبياء- عليهم السلام- قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣).

وليس عجبًا أن يتركز مناط القدوة في هؤلاء الصفوة، فقد قال سبحانه: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠).

وحين امتثل ﷺ لأمر ربه، واقتفى أثره، وحين امتثل الرجولة الكاملة، لم يكن عجيبًا أيضًا أن يصير أنموذج النماذج ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (يونس: ٢).

وحتى تتحقق الرجولة فينا فقد أمرنا بأن ننهل كأمة من معينها الذي لا ينضب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ (الأحزاب: ٢).

معين الرجولة ليس حكرًا على الذكور، بل ربما تصيب بعض النساء منه أكثر من بعض الرجال.. فيقال امرأة رجلة إذا أشبهت الرجال في الرأي والمعرفة، والسيدة عائشة- رضي الله عنها- وهي امرأة لما نهلت من نبع الرجولة في بيتها قيل عنها: «كانت عائشة رجلة الرأي» (غريب الحديث ١٣٧/٢ من كلام عمر بن عبدالعزيز).

قال الذهبي في ترجمة أحمد بن خضرويه: هو من جلة مشايخ خراسان، سألته امرأته أن يحملها إلى أبي يزيد، وتهبه مهرها ففعل، فأنفقت مالها عليهما (أي على أبي يزيد وزوجها)، فلما أراد أن يرجع، قال لأبي يزيد: أوصني، قال: تعلم الفتوة من هذه.

(سير أعلام النبلاء١١/٨٤).

الرجولة في القرآن

ذكر بعض المفسرين عشرة أوجه للرجال في القرآن الكريم، ومن هؤلاء الكفار قال تعالى: ﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم﴾ (الأعراف: ٤٨)، لكن حديثا عن المفهوم الإيجابي للرجولة، فإذا أردنا أن نكوّن في مخيلتنا صورة متكاملة لمعالم الرجولة فما علينا إلا أن نقرأ القرآن الكريم، الذي جاء منهج هداية، وحبل إنقاذ للبشرية.. وستجد من هذه المعالم:

١- الطهارة بشقيها المادي والمعنوي: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة: ١٠٨)، وهم أهل قباء.

أما الطهارة المعنوية.. فلارتباطها بالرجولة نذكر حديث: «يطلع عليكم رجل من أهل الجنة»، فلما سأل عبدالله بن عمرو بن العاص الرجل عن ذلك؟ أخبره الرجل أنه يبيت وليس في قلبه حقد لأحد. والحديث رواه الإمام أحمد بسند جيد.

٢- الصدق مع الله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب: ٢٣).

٣- إيثار الآخرة على الدنيا: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ﴾ (النور: ٣٧).

٤- القوامة وحسن التوجيه لبيوتهم وذويهم: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء﴾ (النساء: ٣٤).

٥- الإيجابية في العمل. وتتمثل في:

أ - السعي لتبليغ دعوة الله ومناصرة الأنبياء، ففي مؤمن سورة ياسين: ﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (يس: ٢٠).

ب - مؤمن آل فرعون والدفاع عن رمز الدعوة ضد مؤامرات الكفار: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ﴾ (غافر: ٢٨).

ج- التحرك السريع لدرء الخطر وبذل النصيحة: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (القصص: ٢٠).

الرجولة في السنة المطهرة

وكما ذكر القرآن الكريم كثيرًا من سمات الرجولة، فقد أضافت السنة بعض تلك المعالم، ولم تر الدنيا الرجولة في أجلى صورها وأكمل معانيها كما رأتها في تلك النماذج الكريمة التي صنعها الإسلام على يد رسوله الكريم محمد ﷺ ومن معالمها:

١- القيام بالفرائض: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان». قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا. فلما ولى قال النبي ﷺ: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» (متفق عليه).

٢- الصلاح: عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: رأيت في المنام كأن في يدي قطعة استبرق، وليس مكان أريد في الجنة إلا طرت عليه. قال: فقصصته على حفصة فقصته حفصة على النبي ﷺ فقال: «أرى عبدالله رجلًا صالحًا» (متفق عليه).

٣- قيام الليل: عن سالم بن عمر عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «نعم الرجل عبدالله، لو كان يصلي من الليل». قال سالم: فكان عبدالله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلًا

(متفق عليه).

٤- الغيرة على الأعراض: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال سعد بن عبادة لرسول الله ﷺ لو وجدت رجلا مع أهلي لم أقتله حتى آتي بأربعة شهداء؟ قال رسول الله ﷺ «نعم»، قال: لا، والذي بعثك بالحق، إن كنت لأعاجله بالسيف قبل ذلك، قال رسول الله ﷺ «اسمعوا إلى ما يقول سيدكم، إنه لغيور ولأنا أغير منه، والله أغير مني» (متفق عليه).

٥- الشجاعة في القتال: عن البراء رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل مقنع بالحديد فقال: يا رسول الله، أقاتل أو أسلم؟ قال ﷺ: «أسلم ثم قاتل»، فأسلم ثم قاتل فقتل، فقال رسول الله ﷺ: «عمل قليلًا وأجر كثيرًا» (رواه البخاري).

٦- الاعتماد على الله وحده: قال الإمام ابن العربي: فمن اعتمد على غير الله في أموره خسر، والقائلون بالأسباب إذا اعتمدوا عليها وتركوا الاعتماد على الله لحقوا بالأخسرين أعمالًا، وإذا أثبتوا الأسباب واعتمدوا على الله ولم يتعدوا فيها منزلتها التي أنزلها الله فيها فأولئك الأكابر من رجال الله الذين ﴿لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾، وأثبت لهم الحق الرجولة في هذا الموطن، ومن شهد له الحق بأمر فهو على حق في دعواه إذا ادعاه.

الرجولة والفتوة والمروءة

هناك علاقة وطيدة بين الرجولة والفتوة والمروءة، إذ كلها متقاربة المعاني بل متداخلة أحيانًا.. وإن حاول بعض العلماء التفريق بينها، وزيادة في البيان نقول ما يلي:

بعض ما جاء في الفتوة

وأقدم من تكلم في الفتوة الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه، وقد سئل عن الفتوة فقال للسائل: ما تقول أنت؟ قال إن أعطيت شكرت، وإن منعت صبرت. فقال جعفر: لكن عندنا إن أعطينا آثرنا، وإن منعنا شكرنا.

قال الإمام أحمد: الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى. وذكر ابن القيم في مدارج السالكين عندما لخص القول بأن أصل الفتوة أن يكون العبد أبدًا في خدمة غيره.

بعض ما جاء في المروءة

قال المقريزي في المغرب: والمروءة: كمال الرجولية، ومنها: تجافوا عن عقوبة ذي المروءة. قال السيوطي في الجامع الصغير: تجافوا عن عقوبة ذوي المروءة: أي لا تؤاخذوه بذنب ندر منه لمروءته، إلا في حد من حدود الله تعالى، فإنه إذا بلغ الحاكم وثبت عنده وجبت إقامته (الطبراني في الأوسط عن زيد بن ثابت).

وجاء في الموسوعة الفقهية (مصطلح فتوة): المروءة هي: استعمال ما يجمل العبد ويزينه، وترك ما يدنسه ويشينه. قال ابن القيم: والفرق بين الفتوة والمروءة أن المروءة أعم منها.. فالفتوة نوع من أنواع المروءة.

قال الخادمي: الفتوة في اللغة السخاء والكرم، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: إيثار الخلق بنفسك بعد أن تؤثرهم بالدنيا والآخرة، بأن تبذل نفسك لكل خسيس ونفيس فيما يريد، وتمكنه من التصرف فيك، وقيل: أن يكون العبد أبدا في أمر غيره، وإليه يشير قوله ﷺ: «لا يزال الله في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه»، وقيل هي الصفح عن عثرات الإخوان وستر عيوبهم، وقيل ألا ترى لنفسك فضلًا على غيرك، وقيل إظهار النعمة وكتمان المحبة أخص منها، وهي (أي الفتوة): «كف الأذى وبذل الندى» أي الإحسان، «والصفح عن العثرات» أي الإعراض عن الزلات «وستر العورات» أي القبائح (بريقة محمودية ٣/ ٤).

الرجولة وعلو الهمة

الهمة العالية هي السر وراء وصول بعض الناس دون غيرهم إلى مرتبة الرجولة، فالرجال لا تحملهم الأقدام وإنما تحملهم الهمم.

وإن المتأمل في حياة الناس يجدهم متفاوتين في آمالهم وأحلامهم.. فمنهم من تعانق همته السحاب، ومنهم من همته مختلطة بالتراب، ودائما تنهض الأمم وتبنى الحضارات وتنال الجنان بأناس علت همتهم وسمت نفوسهم، وما ذاك إلا لأن الهمة طليعة الأعمال، وبعلو الهمة يصل الإنسان إلى القمة.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا تصغرن هممكم، فإني لم أر شيئًا أقعد بالرجل من سقوط همته» (التذكرة الحمدونية ١/ ١٤٢).

ويقول ابن عيينة رحمه الله: لا تتم الرئاسة للرجال إلا بأربع: علم جامع، وورع تام، وحلم كامل، وحسن تدبير.

فإن لم تكن هذه الأربع: فمائدة منصوبة، وكف مبسوطة، وبذل مبذول، وحسن المعاشرة مع الناس.

فإن لم تكن هذه الأربع: فبضرب السيف، وطعن الرمح، وشجاعة القلب، وتدبير العساكر.

فإن لم يكن فيه من هذه الخصال شيء فلا ينبغي أن يصل إلى الرئاسة.

والأمة اليوم في هذا الوقت العصيب تعاني من أزمة رجولة، بل ما أحوج الأمة إلى رجال.. وإن رجلًا واحدًا قد يساوي مائة، ورجلًا قد يوازي ألفًا، ورجلًا قد يزن شعبًا بأسره. فقد قيل: رجل ذو همة يحيي الله به أمة.

يعد بألف من رجال زمانه لكنه في الأمعية واحد

والنبي ﷺ شجع المسلمين أن يكونوا رجالًا أصحاب همة عالية..

فقال ﷺ: «سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله» (أخرجه الحاكم في مستدركه).

والإسلام أكبر باعث لعلو الهمة وأقوى محرك لها، لأنه يدرب المسلم على ألا يرضى بالدون من الأمور.

فأنت تجد أن الذي يطلب الفردوس الأعلى بحق هل تراه كذابًا؟!

أو هل تراه ظالمًا؟ بل هل تراه مقصرًا في عمله؟ أو بخيلًا بزكاة ماله؟

كلا، إنه يتمثل قول الله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥).

المواطنة الإسلامية

أحمد مصطفى - كاتب مصري

المواطنة مفهوم حديث ظهر في أواخر القرن العشرين، وهي مساواة المواطنين في الدولة في الحقوق والواجبات بغض النظر عن انتمائهم الأيدلوجي أو الطائفي أو العقائدي أو الجغرافي، ورغم أنها عرفت نظريًا حديثًا كأهم سبل الحضارة الإنسانية، لكن في حقيقة الأمر فإن السبق العلمي والتاريخي لتطبيقها كان على يد الإسلام.

تحقيق المواطنة تاريخيًا

من الحقائق التاريخية أن اعترف الإسلام للأجانب والمواطنين بمركز قانوني منظم يقوم على أحكام تفصيلية ودعا إلى وجوب احترام عقائدهم وعاداتهم وحقوقهم، فقد قامت علاقة المسلمين الدولية مع من خالفهم في الدين على عدة حقائق هي: المعاملة بالمثل، العدالة، الوفاء بالعهد، الأخلاق ونصرة الضعفاء.(١)

وفي ذلك قول الله للمؤمنين في آية الجاثية ﴿لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي لا تحاولوا الانتقام ممن يؤذونكم من المشركين فإن الله سيجزيهم بأذاهم لكم الجزاء الذي يستحقونه يوم القيامة.

ويمتدح الله من يقدمون الطعام مع حبهم له إلى المساكين واليتامى.. وأيضًا للأسارى في سورة الإنسان قائلاً ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ وكان أسراهم حينئذ مشركين.(٢)

ومما أكده الإسلام في ذلك من وجوب احترام حقوق الإنسان بصفته فردًا يعيش في كنف الدولة الإسلامية، وأن هذا الموقف الثابت قد تحدد من خلال النظر إلى هذه الحقوق من جوانب رئيسية ثلاثة هي:(٣)

الجانب الأول: النظر إلى الإنسان بصفته فردًا يتمتع بمكانة خاصة يتقدم بها على الكثير من خلق الله تعالى، ومن هنا فقد استحق الإنسان التكريم من الخالق جل وعلا، وتؤكد الكثير من الآيات القرآنية هذا المعنى.

أما الجانب الثاني: فيتمثل في علاقة الفرد بالدولة أو الجماعة السياسية التي يعيش في كنفها، والملاحظ هنا أن الشريعة الإسلامية قد أسست هذه العلاقة على مبادئ حاكمة كمبدأ الحرية والعدالة والتضامن، ومؤدى ذلك أن الجماعة مسؤولة بالتضامن عن كفالة مجمل الحقوق والحريات التي يلزم توافرها لأي فرد.

أما الجانب الثالث: فيختص بوضع الفرد غير المسلم، فقد كفل الإسلام لغير المسلمين الحقوق ذاتها التي كفلها للمسلمين.

فقد مثل الإسلام منذ ظهوره (ثورة إصلاحية... وإصلاحاً ثوريًا) على المفاهيم السائدة التي حكمت علاقات الشعوب والأجناس والأديان على مر التاريخ، فالرومان كانوا يحتكرون السيادة والشرف للجنس الروماني وصبوا جام اضطهادهم في حقبة الوثنية على اليهود والنصارى.

أما اليهودية التلمودية فقد تحولت إلى (أثنية- عنصرية) بل و(وثنية) جعلت الله سبحانه وتعالى إله بني إسرائيل وحدهم وصبوا جام اضطهادهم على المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وعلى حواريه والذين آمنوا به واتبعوه.(٤)

أما النصرانية هي الأخرى بادلت الآخرين إنكارًا بإنكار، واضطهادًا باضطهاد... فبمجرد أن أفاقت- مصر مثلاً- من الاضطهاد الوثني الروماني، وفور تدين الدولة الرومانية بالنصرانية، على عهد الإمبراطور «قسطنطين» (٢٧٤: ٣٣٧م) صبت هذه النصرانية جام اضطهادها على الوثنية المصرية فدمرت معابدها، وأحرقت مكتباتها وسحلت وقتلت ومزقت وأحرقت فلاسفتها..

وسجل التاريخ كيف قاد بطريرك الكنيسة المصرية (تيوفيلوس) (٣٨٥ - ٤١٢م) حملة اضطهاد عنيفة ضد الوثنيين واتجه للقضاء على مدرسة الإسكندرية، وتدمير مكتبتها وإشعال النار فيها.. وطالت هذه الإبادة مكتبات المعابد.. وتم السحل والتمزيق والحرق لفيلسوفة الأفلاطونية الحديثة وعالمة الفلك والرياضيات (إنا تيه) ٣٧٠ - ٤١٥م، وذلك فضلاً عن تحطيم التماثيل.. والعبث بالآثار.. ثم عادت النصرانية اليعقوبية إلى موقع الضحية، والمضطهدة من النصرانية الملكانية الرومانية، بعد الاختلافات حول طبيعة المسيح عليه السلام.(٥)

ويمكننا النظر لكيفية تحقيق الإسلام لجميع أسس المواطنة ومعاييرها فيما يلي:

المساواة في الحقوق والواجبات

يقول الدكتور إسماعيل الفاروقي أستاذ علم الأديان المقارن بجامعة بنسلفانيا الأمريكية «إن الدولة الإسلامية في

تاريخها الطويل لحسن الحظ لم تعرف أبدًا أي تفرقة بين مواطنيها في مجال النشاط الاقتصادي سواء كانوا مسلمين أم ذميين، لقد تمتع الذميون دائمًا بحرية غير مقيدة لأداء جميع الوظائف، وفي الواقع فإنهم في جميع الحالات قد أصابوا نجاحًا يفوق نجاح المسلمين، فإن نصيبهم من إجمالي الناتج القومي كان دائمًا يفوق نصيب المسلمين، وتلك علامات تشير إلى أن ذلك نتيجة مجهودهم الأكبر ليتمتعوا بثمارها، وبالتالي هذا يدل على عدم الحد من كسبهم، ومدى تمتعهم بحقوقهم، وتمثلت مظاهر كسبهم في مساكنهم، ومبانيهم وملابسهم، وأفراسهم، وعرباتهم، وطائراتهم، وأثاثهم، أو غير ذلك من مظاهر الحياة، ولم يحدث ذات يوم أن تم منعهم من الامتلاك، بل إن الذميين يباح لهم العمل كضباط في الجيش، وموظفي سلطات عليا في الحكومة، لأنهم مؤهلون للدفاع عن البلاد».(٦)

ويقول في ذلك الدكتور عبد الكريم زيدان أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة بغداد عن حكم الشرع في انتخاب الأقباط وتمثيلهم في الدول الإسلامية قائلاً: أما انتخاب ممثليهم في مجلس الأمة وترشيح أنفسهم فنرى جواز ذلك لهم أيضًا؛ لأن العضوية في مجلس الأمة تفيد إبداء الرأي وتقديم النصح للحكومة وعرض مشاكل الناخبين ونحو ذلك وهذه الأمور لا مانع من قيام الذميين بها ومساهمتهم فيها.

الحرية الدينية لأهل الذمة

وعن تحقيق الحرية الدينية كضمن أساسيات عقائد المواطنة، فبالنسبة لأهل الذمة تاريخيًا، فإن الحوادث والضروب كثيرة ومتنوعة، بدأت من مساعدتهم في بناء بعض الكنائس، وعدم هدم كنيسة واحدة، إلى تمكينهم الاقتصادي والاجتماعي، ومساواتهم في الوظائف العليا وفقًا لقدراتهم، و يتضح فيما يلي: مدى تحقيق المواطنة الكاملة وقبل ظهورها بآلاف السنين.

فقد ذكر ابن العبري أن البطريق النسطوري أبرم اتفاقًا مع العرب كان من شروطه أن يمد العرب يد المساعدة للنساطرة في تجديد كنائسهم القديمة.

وذكر السير توماس أرنولد أن بعض الخلفاء أمروا ببناء كنائس في الشام والعراق وشمالي الجزيرة ومصر، وأنفقوا عليها، وما زال بعضها قائمًا إلى اليوم مثل كنيسة (أبو سرجه) التي بنيت بالفسطاط في العهد الإسلامي الأول.

وقد بنى خالد القسري- والي بني أمية في العراق وفارس- لأمه المسيحية كنيسة لتتعبد فيها في العهد الأول للدعوة الإسلامية أيام أن كانت الحرب على أشدها بين المسلمين والروم المسيحيين.(٧)

ففي العهود الإسلامية نتذكر كيف أن أعطى عمر وغيره من حكام المسلمين أهل الكتاب الأمان على كنائسهم وصلبانهم، وفي المعاهدات مع فارس نص على حرية أهلها في شعائرهم الدينية.

وما زال التاريخ يقص علينا أن عمر كتب بيده عهدًا لهم- بعد استيلائه على حصن بابليون- بحماية كنيستهم، ولعن أي مسلم يخرجهم منها، وكتب أمانًا للبطريق بنيامين، ورده إلى كرسيه بعد أن تغيب عنه ثلاثة عشر عامًا، وأمر باستقباله بالحفاوة عندما سار إلى الإسكندرية، ولما لقي عمر بها خطب أمامه وشكره، واقترح عليه عدة أمور تحفظ الكنيسة، فتقبلها عمر وخوله السلطة الكاملة على القبط، وعلى شؤون الكنيسة.(٨)

المشاركة في الحكم

من الأمور المتفق عليها، أن الإسلام دين يلزم الشورى والديموقراطية، وهو الأمر الذي اعتمده الرسول ﷺ في إدارته للحروب، كما حدده الرسول ﷺ للولاة والحكام من بعده، وهما آمري الكفاءة والحب، كما في قوله ﷺ «أيما رجل استعمل رجلًا على عشرة أنفس علم أن في العشرة أفضل ممن استعمل فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين»، وقوله أيضاً «أيما رجل أم قومًا وهم له كارهون لم تجز صلاته أذنيه».

كما هي الأمور التي أكدتها نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية، كما في قول الله تعالى ﴿أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: آية٣٨)، وحتى أن الرسول ﷺ لم يولي حاكمًا من بعده، إنما كان الاختيار بين المسلمين، وهو الأمر الذي اتبعه الخلفاء الراشدون، وهو الذي جعل عمر بن الخطاب وأبا بكر يطالب الناس بتقويمه إن حاد عن الجانب الصحيح، وهو يعني أيضًا مشاركة الناس في الحكم.

تمثيل في الحكم والإدارة لجميع الشرائح وفق الكفاءة، وتساوي الحقوق الاقتصادية والتعليمية للجميع.

ذكر السير توماس أرنولد أسماء بعض الوزراء والولاة النصارى في الدويلات الإسلامية، وأسماء الأطباء النصارى المقربين إلى الخلفاء، ثم قال: إن المسيحيين أحرزوا ثروات ضخمة، وتمتعوا بنجاح عظيم في عصور الإسلام الأولى، بفضل ما كفل الإسلام لهم من حرية العقيدة والملك، حتى لقد كان منهم أصحاب نفوذ عظيم في قصور الخلفاء.

لدرجة أن بعض الموظفين من أهل الكتاب استغلوا تقريب الخلفاء لهم، واستغلوا وظائفهم استغلالاً أحنق عليهم بعض المسلمين، فلم يكن اختلاف الدين هو الباعث على الحنق، وحسبنا شهادة الكونت هنري دي كاستري في قوله: كان بغض المسلمين لهؤلاء نتيجة في الغالب لجورهم في الأحكام لا لمخالفتهم في الدين.(٩)

ولطالما درس المسلمون على النصارى واليهود، في غير تحرج ولا استعلاء، وتاريخ المسلمين حافل بتلقيهم عن مخالفيهم في الدين، وانتفاعهم بتجاربهم وعلومهم ومؤلفاتهم.

وفي ذلك ما ترجمه يعقوب الرهاوي (٦٤٠ – ٧٠٨م) كتب اليونان في الإلهيات والفلسفة، وهو الذي أفتى بأنه يجوز للقسس المسيحيين أن يقوموا بتعليم أبناء المسلمين عندما سئل عن ذلك، وفي هذا دليل على أن المسلمين كانوا عطاشًا إلى العلم، وكانوا لا يرفضون أن يتعلموا من النصارى، وأيضًا في هذا اشتغال السريان بالترجمة من اليونانية ومن السريانية إلى العربية، لدرجة أن أكثر النقلة من اليونانية إلى العربية في القرن الثامن إلى القرن العاشر هم السريان.

للدرجة التي جعلت العالم الشهير أبو موسى الأشعري يتخذ لنفسه كاتبًا

السير توماس أرنولد: بعض الخلفاء أمروا ببناء كنائس في الشام والعراق وشمالي الجزيرة ومصر وأنفقوا عليها وما زال بعضها قائما إلى اليوم

نصرانيًا، وتوسع الخليفة معاوية في إلحاق النصارى بخدمته، وحاكاه آخرون من البيت الأموي، فكان لمعاوية طبيب نصراني، واشتغل النصارى في مناصب عالية في بلاط الخليفة مثل الأخطل شاعر البلاط، ومثل يوحنا الدمشقي مستشار عبد الملك بن مروان.(١١)

ونرى ذلك بوضوح أيضًا في العديد من بلاط الخلفاء والحكام، فقد اختار عبد الملك عالمًا نصرانيًا من مدينة الرها يدعى أثناس مؤدبًا لأخيه عبد العزيز، ولما عين عبد العزيز واليًا على مصر رافقه أستاذه، وجمع من مصر ثروة عظيمة جدًا، وكذلك في عهد عمر بن عبدالعزيز، وفي العصر العباسي الأول ومنها كتب حكمة الهنود والإلهيات والفلسفة وطبقات الأطباء وبعض الكتب في الشام والهند واليونان.

وظل هكذا حال أهل الكتاب، فكان كتاب الدواوين حتى زمن عبد الملك بن مروان من غير المسلمين (٦٤٦– ٧٠٥ميلادية) ، وكان كاتب الخراج في الشام سوريًا، وفي إيران فارسيًا، وفي مصر قبطيًا، وقلما خلا ديوان من دواوين الدولة في مصر من النصارى.(١٢)

لدرجة أننا وجدنا نصرانيًا واليًا على سجن بالقرب من الكوفة سنة ٣٦هـ حينما كان الوليد بن عقبة عاملاً عليها.

واستمر هذا التعايش السلمي والتسامح يتمشى مع العصور، فجورجيس بن جبريل رئيس أطباء جند يسابور عالج الخليفة المنصور، وعرض عليه الخليفة أن يسلم، فرد عليه بقوله: أنا على دين آبائي أموت، وحيث يكون آبائي أحب أن أكون، إما في الجنة وإما في جهنم، فلم ينكر المنصور عليه، ولم يبعده عن مكانه.(١٣)

وكان في خدمة الخليفة المعتصم (٢١٨هـ: ٢٢٧هـ – ٨٢٣م: ٨٤٢م) أخوان نصرانيان بلغا منزلة سامية عنده أحدهما يسمى سلموية والآخر يدعى إبراهيم، وكان سلموية يشغل منصبًا قريب الشبه من منصب الوزير في العصر الحديث، وكانت الوثائق الملكية لا تنفذ إلا بعد توقيعه عليها، لدرجة أن إبراهيم كان حافظًا لخاتم الخليفة، وأمينًا على خزانة بيوت الأموال في البلاد، على حين أنه كان من المنتظر أن يوكل الإشراف على هذه الأموال إلى رجل من المسلمين، وقد بلغ من ميل الخليفة الشديد إلى إبراهيم أنه عاده في مرضه الأخير، وغمره الحزن عند وفاته، وأنه أمر في يوم تشييع جنازته بإحضار جثمانه إلى القصر، حيث أقيمت له الطقوس الدينية في خشوع مهيب.(١٤)

وقد اشتهر أيضًا عن الأمير خالد بن يزيد (المتوفي سنة ٨٥هـ) أنه كان مشتغلاً بالكيمياء بإرشاد راهب نصراني، وأنه أمر بترجمة كتب في الكيمياء من اليونانية إلى العربية، وبنقل كتب في الطب والنجوم.

وحتى في العصر الفاطمي (٩٦٩– ١١٧١ ميلادية)، فقد كان الوالي الإخشيدي محمد بن طغج الإخشيدي يحتفل مع أقباط مصر بعيد الغطاس في جزيرة النيل، ومن المعلوم أيضًا أن المهندس الذي بنى جامع أحمد بن طولون المهندس النصراني سعيد بن كاتب الفرغاني.

تحقيق الرابط الثقافي والاجتماعي

وهناك العديد من الحقائق التاريخية التي تؤكد المكانة الاجتماعية لأهل الكتاب في الإسلام كتعبير أصيل عن

المواطنة الإسلامية، فعندما فتح عمرو ابن العاص مصر كان المبابا بنيامين منفيًا ثلاثة عشر عامًا بعيدًا عن كرسيه ، فأمنه عمرو بن العاص وأعاده إلى كرسيه وأسلمه كنائسه التي أخذها منه الروم، وعاش معه في سلام.

لدرجة أنه طوال عصور الإسلام في الخلافة الرشيدة (٦٣٣- ٦٦١ ميلادية) أو الأموية (٦٦٢-٧٥٠ ميلادية) أو العباسية (٧٥٠- ٨٤٧ ميلادية)، لم يكن اختلاف الدين حائلًا بين العلماء والمتعلمين، فإن كثيرًا من أهل الكتاب درسوا على علماء من المسلمين، ومنهم حنين بن إسحاق درس على الخليل بن أحمد وعلى سيبويه، ويحيى بن عدي بن حميد العالم المنطقي تتلمذ على الفارابي، وثابت بن قرة درس على محمد بن موسى، وابن جزلة تلقى على ابن الوليد العالم المعتزلي، ثم أسلم فيما بعد.(١٥)

فقد كان الرسول محمد ﷺ يحسن معاملة الأسرى، ويعطف عليهم، ويرأف بهم، ولو كانوا من أعداء الإسلام، فقد كان عدي بن حاتم الطائي النصراني يكره الرسول كل الكره، وهرب إلى الشام ليكون مع النصارى حتى لا يسلم، وحدث أن علي بن أبي طالب أسر أخت عدي مع الأسرى، ومر بها النبي ﷺ، فقامت إليه، وقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الرافد (أي المعطي والمعين وهو أخوها)، فامنن علي، منَّ الله عليك (أي أنعم علي وأعتقني، وخلصني من الأسر)، وأعرض عنها النبي ﷺ حين علم أن رافدها هو عدي بن حاتم الذي هرب من الله ورسوله.

لكنها أعادت قولها، فتذكر المصطفى ما كان لأبيها حاتم في الجاهلية من الجود والكرم، فأمر بتسريحها، وإطلاق سراحها، وكساها كسوة حسنة، وأعطاها نفقتها، وأرسلها مكرمة مع أول ركب مسافر إلى الشام، فلما قابلت أخاها هناك ذكرت له ما فعله محمد معها، وما أكرمها به، وكيف أحسن معاملتها، فرجع عدي بن حاتم إلى الرسول ﷺ متأثرًا بنبله، وجميل عطفه، وحسن رعايته لأخته وهي أسيرة، ثم أسلم في الحال، وانضم إلى صفوف الإسلام والمسلمين.(١٦)

وروى البخاري قال: مرت بنا جنازة، فقام لها النبي، وقمنا، فقلنا: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي، فقال: أو ليست نفسًا؟ إذا رأيتم الجنازة فقوموا.

مساواة القانون

وكان يعرف للقضاء الإسلامي تطبيقه عدالة الإسلام وإقراره للمساواة، وفي ذلك مئات الأحداث، منها حادثة عمر بن الخطاب في جعل النصراني يضرب ابن حاكم مصر، ومنها حوادث أخرى عديدة، نذكر منها تنازع الأمير العباسي إبراهيم بن المهدي هو وبختيشوع الطبيب بين يدي القاضي أحمد بن أبي دؤاد، فزرى إبراهيم على بختيشوع، وأغلظ له، فأحفظ ذلك القاضي، فقال: يا إبراهيم إذا نازعت أحدًا في مجلس الحكم فلا ترفع عليه صوتك، ولا تشر إليه بيدك، وليكن قصدك أممًا، وطريقك نهجًا، وريحك ساكنة، وكلامك معتدلًا، ووف مجالس الحكومة حقها من التوقير والتعظيم.. فقال الأمير إبراهيم: أمرت بسداد، وحضضت على رشاد، ولست بعائد إلى ما يثلم مروءتي عندك، ويخرجني من مقدار الواجب إلى الاعتذار، وقد وهبت حقي من هذا العقار لبختيشوع، فليت ذلك يمحو زلتي، ولم يتلف مال أفاد موعظة.

أية عظمة هذه؟ القاضي يسوى بين الأمير المسلم ابن الخليفة المهدي وعم الخليفة المأمون، وبين طبيب نصراني من موظفي الدولة، والأمير سرعان ما يستجيب لنصح القاضي، ويندم على ما فرط منه من الغلظة والتعالي، ثم يتنازل عن العقار الذي كانا يتنازعان عليه، لا لأنه حق للطبيب، بل ليعالج بمنحه للطبيب زلته معه.

الهوامش

١- قدري علي عبدالمجيد. الإعلام وحقوق الإنسان، قضايا فكرية ودراسات تحليلية وميدانية، رسالة دكتوراه منشورة، دار الجامعة الجديدة للنشر، ٢٠٠٨م، ص ٦٥.

٢- شوقي ضيف، عالمية الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، ص ٩٣ - ٩٥.

٣- قدري علي عبدالمجيد، مرجع سابق، ص ٦٤.

٤- محمد عمارة، الأقليات غير المسلمة في العالم الإسلامي، ضمن كتاب «حقيقة الإسلام في عالم متغير» سلسلة قضايا إسلامية، العدد ٨٧ وزارة الأوقاف،٢٠٠٢م، ص ١١٣ - ١١٩.

٥- المرجع السابق ، ص ١١٣ - ١١٩.

٦- فهمي هويدي، مواطنون لا ذميون، دار الشروق، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٥م ، ص ١٧٠.

٧- أحمد محمد الحوفي، سماحة الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٧، ص ٧٣.

٨- المرجع السابق، صـ ٦٥.

٩- سير توماس و آرنولد، الدعوة إلى الإسلام: «بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية»، ترجمة وتعليق د.حسن إبراهيم حسن، د.عبدالمجيد عابدين د.إسماعيل النجراوي، الناشر: مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة: ١٩٧١م، ص ٦٠.

١٠- ت. ج دي بور- محمد عبدالهادي أبو ريده، ترجمة وتحقيق محمد عبدالوهادي أبو ريدة، تاريخ الفلسفة في الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٤٨م (تاريخ الفلسفة في الإسلام. دي بور ١٣).

١١- أحمد محمد الحوفي، مرجع سابق، صـ ٦٧.

١٢- المقريزي : المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط والآثار. مطبعة الأدب، القاهرة ١٩٦٨ (خطط المقريزي ١ / ٩٨).

١٣- أحمد محمد الحوفي، مرجع سابق، صـ ٦٧ - ٦٨.

١٤- ابن أبي أصيبعه، عيون الأنباء في طبقات الأطباء وهو موسوعة جمع فيها مؤلفها ابن أبي أصيبعة العلماء الذين عملوا بالطب من عهد الإغريق والرومان والهنود إلى عام ٦٥٠ للهجرة (طبقات الأطباء ١/١٢٥).

١٥- أحمد محمد الحوفي، مرجع سابق، صـ ٧٢.

١٦- محمد عطية الإبراشي عظمة الرسول، الهيئة المصرية للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢م، صـ ٢٥٠.

١٧- أحمد محمد الحوفي، مرجع سابق، صـ ٧٢.

شيخُ المُحقّقين وعُمدة الأدباءِ واللُّغويين حسين محمد نصار:

معجم اللغة العربية التاريخي.. مشروع مع وقف التنفيذ

حوار: د. أحمد عبدالباسط

لاشكَ أنّ المرءَ يكونُ في حيرة من أمره عندَ التعرُّض للحديث عن شخصيّة موسوعيّة كشخصيّة الدكتور حسين نصّار، ويزدادُ الأمرُ بالمرء حيرةً إذا كانَ تلميذًا لتلكَ الشخصيّة الفريدة، فالتلميذُ عادةً يلمسُ جوانبَ إنسانيّة وأخلاقيّة من أستاذه، ربما لا يلحظُها الشخصُ العاديّ. والناظرَ إلى مَا خلّفه أستاذُنا من تحقيقات تراثية يجدُ أنّ الغالبَ عليها في المقام الأوّل هو ذلك التراث الأدبيّ العريق، ويكفينا تدليلاً على أنّه «عُمدةُ الأدباء» تحقيقُه لدواوين: ابن وكيع التنيسي (١٩٥٣م)، وعبيد بن الأبرص (١٩٥٧م)، وجميل بثينة (١٩٥٧م)، وقيس بن ذريح (١٩٦٠م)، والخرنق بنت بدر بن هفّان (١٩٦٩م)، وظافر الحدّاد (١٩٦٩م)، وغيرها، إن الأستاذَ الدكتور حسين نصّار قامةٌ كبيرةٌ حاولَت «الوعي الإسلامي» في هذا الحوار طرحَ بعض التساؤلات غير المطروقة من قبل معه.

بدايتكم كانت في دراسة الطبّ، ثمّ حدث هذا التحوّل والتوجّه نحوَ دراسة اللغة العربية وآدابها، كيف تمّ ذلك ولماذا؟

– درست ما يُسمّى بالتوجيهية (الثانوية العامة)، القسم العلمي؛ وخرّيجُ القسم العلميّ من حقّه أن يدخل أي كُليّة علمية، ومَا حصلتُ عليه من مجموع أتاحَ لي الالتحاق بكلية الطب بجامعة الإسكندرية وليس بجامعة القاهرة، حيث نقصتُ عَن القاهرة ـ فيما يقولون ـ نصف درجة.

ولمّا ذهبتُ إلى الإسكندرية عام ١٩٤٣– ١٩٤٤م أخذتُ أبحثُ عَنْ قريب لي أسكنُ عنده، فأنا من أسرة متوسّطة الحال، أو كما يقولون في مصر: «مستورة». ولمّا لم أجد قريبًا لي أسكنُ عنده أخذتُ أبحثُ عَنْ سكن رخيص في مكان مناسب، وقيل لي عَنْ منطقة من المناطق ربّما أجدُ فيها السكنَ الذي أريد، وكان ذلك في أثناء الحرب العالمية الثانية، وما صحبها من غارات متتالية على مدينة الإسكندرية، وجدتُ إعلانًا بتفريغ هذه المنطقة من السُّكان بسبب الغارات. حينما عرفت أسرتي ذلك طالبوني بالرجوع إلى مدينة القاهرة، والالتحاق بأي كليّة بجامعة القاهرة. وبالفعل رجعتُ إلى القاهرة وكان مَن الممكن أنْ أدخلَ أيّ كلية علميّة أخرى

بخلاف كُليّة الطب، غير أني آثرتُ أنْ ألتحقَ بكلية الآداب: إمّا لدراسة الجغرافيا لأنني كنتُ محبًّا لها، وإمّا لدراسة اللغة العربية؛ لأنني وأنا في السنة النهائية من الثانوية كان الدكتور طه حسين (مستشار وزير المعارف آنذاك) أنشأ مَا يُسمّى بالمسابقة، حيثُ يختارُ الطالبُ أي تخصُّص يريده، فإذا نجحَ وهو في بلده بنسبةٍ لا تقلّ عن ٧٠٪ يأتي إلى القاهرة ليُجري اختبارًا شفويًا، فإذا نجح في هذا الاختبار الشفوي بنسبة لا تقلّ أيضًا ـ عن ٧٠٪ كان لهذا الطالب الحقّ في الالتحاق بالجامعة للدراسة مجانًا، لأنّ الدراسة بالجامعة كانت آنذاك ليست مجانا. وأنا كنتُ قد نجحتُ في تخصُّص اللغة العربيّة في هاتين المرحلتَيْن، واخترتُ قسمَ اللُّغة العربية في كليّة الآداب. وأنا الآنَ أُوقنُ بأنّ الله قد اختارَ لي مَا هُو أفيد منَ الطبّ.

في دراستكم الماتعة عن «المعجم العربي: نشأته وتطوّره»، التي نلتم بها درجة الدكتوراه منذ أكثر من نصف قرن، وحديثكم في الكتاب الثالث من هذه الدراسة عن المعجم الذي نحتاجه، وذكركم للمعجم التاريخي الذي يُؤرّخ لألفاظ اللغة العربية، هل تحققت هذه الأمنية على مدار هذه الفترة؟

– كتبتُ في دراستي تلك عن حاجتنا إلى معاجمَ كثيرة، ومعاجمَ كيف تُصنع أيضًا. أمّا المعجم التاريخي فلم أكتف بما كتبتُه في الرسالة، بل تكلّمتُ عبرَ الإذاعات العربيّة المختلفة عن الطريق إلى صناعة المُعجم التاريخي، الذي أصبحت صناعتُه وجمعُ مادته ـ مع مرور الزمن وتوافر بعض التقنيات ـ أمرًا ميسورًا الآن.

هذا من جانب، ومن جانب آخر قمتُ بتوزيع العملِ على طُلّابي لصناعة مثل هذه المعاجم التاريخية، حيثُ اتفقتُ مع زميلي الدكتور محمود فهمي حجازي على أنْ نجعلَ طلابَنا في الدراسات العُليا يُحضّرون معاجمَ للشُعراء، وشعراء الجاهليّة بالذات. ومن هُنَا تكوّن لدينا مَا يُشبه المعجم للشعر الجاهلي، وقام مجموعةٌ من الزملاء في الجامعات العربيّة الأخرى بانتهاج هذا النّهج مع طلابهم.

أتعجب عندما يذهب مثقف عربي إلى محفل عالمي كالأمم المتحدة فيتكلم بلغة غير عربية

وكنتُ قد ناديتُ في إذاعة عُمان أنْ تُوزّع دواوينُ العربيّة في العصر الجاهلي على البلاد العربية المُختلفة، بحسب القُدرات الماليّة لكلّ بلد، ثُمّ ننتقل من دواوين الجاهليّة إلى مؤلّفات القرون التالية للعصر الجاهلي، وبذلك يصبح لدينا معجمٌ تاريخيٌّ للغة العربية. ناديتُ بذلك، لكن هذا ـ للأسف ـ لم يتحقق حتى الآن، فالعمل الجماعي لدينا ضعيفٌ جدًا.

حَصَلتم في عام ٢٠٠٤م على جائزة الملك فيصل تتويجًا لجهودكم في مجال اللغة والمعجم العربي، ما الذي يمكن أن تعنيه مثل هذه الجائزة لعالم مثلكم؟

أولًا: أنْ يحرصَ الإنسانُ على النظر العلميّ، والفكرِ العلميّ، والعمل العلميّ قبلَ أيّ شيء.

هذه الرسالةُ «المعجم العربي: نشأته وتطوّره» بعدَ أنْ نُوقشت تقدمتُ بها إلى أكثر من ناشرٍ من الناشرين المصريين فلم يقبلْ أحَدٌ أن ينشرَها. وكانت الحُجّة أنّ الإقبالَ على كتب اللغة في ذلك الوقت قليلٌ، وأنّ الرسالة حجمُها كبيرٌ، ممّا قد يُكلّفهم الكثير في طباعتها.

إلى أنْ جاءَ أحدُ الرجال من المملكة العربية السعودية، مُوفَدًا من قِبَل أحد التجار السعوديين الأغنياء واسمه «حسن الشربتلي»، حيثُ أعطاه مبلغًا ضخمًا يُقارب ١٠ مليون ريال سعودي، وطلب منه أنْ ينشرَ كتبًا باسمه في مصر، على أنّها معونةٌ من «حسن الشربتلي». ذهبَ هذا المُوفَد واسمه «أحمد عبدالغفار عطّار» إلى دار الكتب آنذاك وذكر ذلك للأستاذ فؤاد سيد، وقد كان يعلمُ مَا عانيتُه من محاولات في نشر الرسالة، وأنني عجزتُ عَنّ هذا النشر. فدلّه عليّ، وبالفعل تمّ نشرُ الدراسةَ للمرة الأولى على نفقة هذا التاجر السعودي حسن الشربتلي.

ما أودُّ أنْ أقولَه أنّ هذا العمل عجزتُ في البداية عن نشره، ثم حصل بعد ذلك على أعلى جائزة عربيّة، إذن العمل الطيّبُ سيبقى، ولا يهمّ أنْ تكونَ ثمرتُه عاجلة، بل المهمّ أنْ يخلصَ الإنسانُ للعلم الذي يتخصصُ فيه وينتجُ من هذا، وَسيأتي ـ إن شاءَ الله ـ تقديرُ الآخرين له بعد ذلك.

تعيش لُغتنا العربيّة اليومَ عيشةَ الغريب في وطنه، وللأسف اتهمها بعضُ أهلها بالعُقم والعجز عن اللحاق بمقتضيات العصر ومصطلحاته، وأرادَ بعضهم في فترات متقطّعة العدول بالحرف العربيّ ليُكتبَ بالحروف اللاتينية، وهو مَا يُسمّى الآن «الفرانكو آراب». والسؤال: مَنْ المسؤول عن هذا التدهور الملحوظ، وكيفية النهوض بلغتنا كمؤسسات وأفراد؟

– نحن المسؤولون. العربُ هُم المسؤولون!! ليس هناك لغةٌ نظريّةٌ، وإنما اللغةُ كلمات نضعها لنعبّرَ بها عن أشياء نحتاجُ إليها، فنضع هذا الاسم ونستخدمه. فاللغةُ هي المتلاغون، فإذا وُجدَ المتلاغون الذين يتكلمون العربية فإنّهم سيضطرون اضطرارًا إلى استحداث كلمات لهذه الأشياء الجديدة التي توجد في حياتهم.

هذا الاستحداثُ في اللغة العربية

نصار مع الزميل أحمد عبد الباسط

لحسن الحظّ طريقة التوسّع، بل طرق التوسع فيها كثيرةٌ جدًا، فالعربيّة تُتيح لنا الاشتقاقَ، وتتيحُ لنا التوسّع في المعنى، وتتيحُ لنا - أيضًا - التعريب. ولا نخجل من التعريب، فاللغةُ الإنجليزية - وهي اللغة الأولى الآن - تكادُ تُدخل كلّ يوم ألفاظًا جديدةً من لُغات أخرى.

والنّهوضُ بالعربيّة الفصيحة مسؤولية السلطة والأفراد. فالسلطةُ وحدها لا تصلحُ، لأنها إذا وجدت المجتمع لا يستجيبُ لهذا ويُعارضُه فإنها ستضطر اضطرارًا إلى العدول عَنْ ذلك.

ولو حرصَت المجتمعاتُ ووسائلُ الإعلام (الإذاعة والتليفزيون) في نشرات الأخبار والإعلانات، والبرامج المختلفة، غير برامج الفكاهة التي يُمكن أنْ تُستساغ فيها العامية - لو حرصَ هؤلاء جميعًا على التحدث باللغة العربية، تلك اللغة التي يفهمها رجلُ الشارع، ليس الغريب منها أو المهجور من الألفاظ، فإنها ستكونُ حيّةً، ولا يستطيعُ أحدٌ أنْ يدعوَ بمثل هذه الدعاوى أو الاتهامات.

أما الكتابةُ بالحرف اللاتيني فهي ليست دعوى جديدة، بل هي دعوى قديمة نادى بها عبدالعزيز فهمي باشا، ولم يلتفت أحدٌ إليها.

لكن للأسف هناك فئات كثيرة أقول إنها لا تحترمُ اللغةَ العربيّةَ، فنجدها تفضل اللغات الأجنبية على لغتها العربية. وهذا الأمرُ ربما يكونُ مقبولًا إذا كان في فئات قليلة، لأنّه لا يخلو مجتمعٌ من المجتمعات من جماعة شاذة في التفكير، فترى أنّ الفرنسيةَ أو الإنجليزية أو الألمانية أو أي لغة أجنبية أخرى أرقى من العربيّة.

فهذه الفئة من المجتمع عددها محدود للغاية، لكنّ المشكلَ الحقيقيّ يكمنُ عندما ينتشرُ مثلُ هذا الفكر انتشارًا واسعًا بين أفراد المجتمع، أوَ أنْ يأتيَ أحدُ الكبار منّا ويذهبَ إلى محفل عالمي كالأمم المتحدة، فيتكلّم بلغةٍ غير عربيّة، ظَنًّا منه بأنّ هذا أدعى إلى احترامه وتوقيره. على الرغم من معرفته التامّة بأنّ اللغةَ العربيّة هي اللغةُ السادسةُ في الأمم المتحدة، فإنّ هذا أدعى إلى عدم احترام هذا الشخص، بل إلى احتقاره، فإنّ أحدًا من رجال الدول الصغيرة في أوروبا لا يَقبلُ بأنْ يتحدثَ في مثل هذه المحافل بغير لغته الأُم.

وقد رأينا مثال ذلك عندما كان «جاك شيراك» رئيس جمهورية فرنسا في محفل دولي، وقامَ وزيرُ خارجيّته بالتحدث باللّغة الإنجليزية، فما كان من شيراك إلا أنْ تركَ المجلسَ وغادرَه على الفور.

صدرت في دولة الكويت الشقيقة طبعةٌ مُجوّدة من معجم «تاج العروس» للزّبيدي، في ٤٠ مجلدًا، وقام على إخراجه وتحقيقه مجموعةٌ من اللّغويين والمجمعيّين - وقد شاركتم في تحقيق بعض أجزائه - فما الذي كنتَ ترجوه في هذه الطبعة ووجدتَه بالفعل، وما الذي رجوتَه ولم تجدْه؟

- لمّا أرادت وزارةُ الإعلام بالكويت طبعَ معجم «تاج العروس» أوفدوا أحدَ وكلاء الوزارة إلى القاهرة، والتقى سبعةً من المهتمين بالدراسات اللغوية، وذكرَ لهم مَا يُريدون في دولة الكويت الشقيقة من إعداد طبعة جديدة من المعجم؛ لأنّه كان قد طُبعَ من قبلُ طبعةً قديمةً سيئةً. وبالفعل تمّ اختيارُ مجموعة طيبة من المحقّقين اللغويين لتشرعَ في إخراج أجزاء المُعجم المتتالية.

والحقيقةَ أنهم قاموا جميعًا بجهد طيّب لا أعيبُهم فيه من الناحيةِ العلميّة، لكن كانت لي رؤية خاصةٌ في إخراج المعجم، فقد ذكرتُ لوكيل الوزارة الذي التقانا أنّهم يطبعون عادةً الكتبَ على ورق لامع وسميك، وهذا له عيبان: فنحنُ معشرَ القراء عيوننا ضعيفة، خاصة الذين يديمون القراءة، وهذا الورق المصقول يعكسُ الضوءَ على العين، وذكرتُ له - أيضًا - أنّ هناك نوعية من الورق تُطبع به في إنجلترا المعاجمُ كلُّها والكتاب المقدس، وأرجو أنْ يُطبعَ بها المعجم، لاسيما مَع عدد أجزائه التي بلغت أربعين مجلدًا. وهذا الورق غير مصقول ولونُه أقربُ إلى الرمادي وليس ناصعَ البياض.

ثم هذا الورق ويُسمّى «featherweight»، أي: وزن الريشة،

لا يزنُ وهو خفيفٌ جدًّا ولا يشفّ ما وراءه، لكنّ ذلك لم يُؤخذ به لأسبابٍ مَا.

● البداية كانت بتحقيق ديوان «سراقة البارقي» وأنت طالبٌ في الفرقة الرابعة، ثم توالت بعد ذلك التحقيقات العلمية الرصينة. والآن بعد هذه الرحلة الطويلة في مجال تحقيق التراث ما الرسالة التي توجهها إلى شداة المُحققين؟

- أولًا: لابُدّ أنْ يكونَ لدى هذا الشخص مُقوّماتُ المُحقّق، وهي: الصبر الطويل: الجَلد، والدأب على العمل، والشكّ في كلّ شيء، حتى الشكّ في نفسه، بمعنى: الشكّ في معلوماته الخاصة، وأنْ يجعلَ المصادرَ والمراجعَ إلى جواره دائمًا.

وأوضّح هذا المعنى الأخير فأقول: ربما يعلمُ المُحقّق أنّ صيغة فعل مَا التي هي في الماضي على وزن «فَعَلَ» يأتي المضارع منها على وزن «يفعل» وليس «يفعُل»، ثُمّ وجدَ أثناء تحقيقه أنّه جاءَ بخلاف ما يعرف. لا يُسارَع بتخطئة ذلك، وإنّما عليه مراجعة المعاجم اللغوية ولا يستنكفُ من فعل هذا، بل عليه الرجوع إلى معجم مثلَ «لسان العرب» لابن منظور. وأنا أفضّل اللسانَ في هذه الحالة على «تاج العروس» للزّبيديّ، لأنّ اللسان هو خالصُ للّغة، أمّا التاجُ فهو دائرةُ معارف.

ثانيًا: أنْ يجتهدَ المُحقّقُ في البحث عَن النُّسخ الخطيّة الطيبة للعنوان الذي يُريدُ تحقيقَه، مع عدمِ الاستهتار بأي نسخة مهما كانت. ولو أمكن للمحقق حصولُه على كلّ النُّسخ الخطيّة فهذا أفضل، لكنّ ذلك ماليًّا «للمحقّق أو للناشر» لن يتحقق، لذلك ينبغي على المُحقق البحثُ عَن الأصول الحسنة والاعتماد عليها في التحقيق.

ولحسن الحظّ فإنّ معظمَ مكتبات العالم التي تحتوي على المخطوطات مفهرسةٌ الآن. وهذا لم يُتح لواحد مثلي عندما بدأ في التحقيق، حيثُ كانَ عددُ فهارس المخطوطات قليلًا جدًّا، ومِن ثمّ كانَ الحصولُ على توصيف

الدكتور حسين نصار.. بطاقة تعريفية

● وُلِدَ الدكتور حسين مُحمّد نصّار بحارة «كوم بهيج»، وهي إحدى حارات المنطقة الشعبية بمدينة أسيوط، في الخامس والعشرين من شهر أكتوبر، عام ١٩٢٥م.

● تلقّى مراحلَ تعليمه الأساسية في مدينة أسيوط، فكانَ يذهبُ وهو طفلٌ إلى «الكُتّاب»، شأنُه في ذلك شأن معاصريه.

● التحقَ بمدرسة ابتدائيّة أهلية وهو مع ذلك يتردّدُ إلى «الكُتّاب» في فترة الصيف لحفظ القرآن الكريم.

● بعد اجتياز السنوات الابتدائية الأربع (وكان النظام الابتدائي هكذا آنذاك)، التحقَ بمدرسة أسيوط الأميريّة، لاجتياز المرحلة الثانوية (التوجيهية آنذاك) في خمسة أعوام، حيثُ لم يكن معروفًا ما يُسمّى اليوم بالمرحلة الإعدادية، وكانَ الأستاذُ هو أوّلَ مَنْ دخل الثانويةَ العامة في العائلة، ومَا تلا ذلك من مؤهلات.

● التحق بقسم اللُّغة العربية في كلية الآداب - جامعة القاهرة، فحصل على درجة «الليسانس» في الآداب سنة ١٩٤٧م.

● حصل على درجة الماجستير عام ١٩٤٩م في الأدب العربي، برسالة موضوعها: «نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي»، ثم درجة الدكتوراه عام ١٩٥٣م في المعجم العربي، برسالة موضوعها: «المعجم العربي: نشأته وتطوّره».

● كانت بداية تحقيقه للنصوص التراثية ونشرها وهو في الفرقة الرابعة من الكلية، حيث قام بتحقيق ديوان «سراقة البارقي» عام ١٩٤٧م، ثم توالت التحقيقات العلمية الرصينة لعيون التراث العربي، حتى استحقّ أستاذُنا - وبجدارة - لقبَ «شيخ المُحقّقين».

● تُعَدُّ دراستُه التي نَالَ بها درجةَ الدكتوراه عام ١٩٥٣م أوّلَ بحث من نوعه يتصدّى لتأريخ المُعجم العربيّ في نشأته وتطوّره تأريخًا شاملًا ومفصّلًا، وفق منهج علميّ دقيق، لذا فإنّه ليس من المُبالغة أنْ نعدّه - وبحقٍّ - شيخَ اللُّغويين والمُعجميّين العرب، فضلًا عَن تحقيقه الجزء الأوّل من معجم «المحكم» لابن سيده (١٩٥٨م، بالمشاركة)، والجزءين: السادس، والثالث عشر من معجم «تاج العروس» للزبيدي (١٩٦٩م، ١٩٧٤م).

● للوقوف على تحقيقاته لعيون تراثنا العربي على اختلاف موضوعاته وفنونه، ومَا قام بتأليفه من مؤلّفات وبحوث، وكذا مَا أضافَه إلى المكتبة العربيةَ من مُترجمات رصينة. انظر ذلك تفصيلا: حسين نصار: سيرة ذاتية: القاهرة: تراثيات «مجلة محكّمة نصف سنوية يصدرها مركز تحقيق التراث»، دار الكتب والوثائق القومية، ع٤، جمادى الأولى ١٤٢٥هـ/ يوليو ٢٠٠٤م، ص١٦٥- ١٦٨. وراجع أيضًا: ثمرات الامتنان «دراسات أدبية ولغوية مهداة إلى الأستاذ الدكتور حسين نصّار»: إعداد وإشراف: الدكتور عادل سليمان جمّال. القاهرة: مكتبة الخانجي، ط١. ٢٠٠٢، ص٩-٤٧.

كامل للمنسخ الخطيّة أمرًا مرهقًا جدًا، بالإضافة إلى صعوبة الحصول بعد ذلك على مُصوّرة من المخطوط الذي كُنّا نُريده. أتذكر أنني حينما ذهبتُ إلى العراق سنة ١٩٦٤م وكنتُ أريدُ الحصولَ على مُصوّرة من «ديوان ظافر الحدّاد». ووجدتُ نسخةً موجودة بالنّجف، لكنّه لم يكن هناك تصوير في ذلك الوقت ووُجدَ بعد ذلك.

والآن هناك أشياء تُيسّر كثيرًا في هذا المجال، لكن يجبُ أنْ يكونَ التيسيرُ في الأدوات التي نستخدمُها، وليس في تصوّر العمل أو العمل نفسه.

● وهل من شروط أخرى ينبغي أن يتمتعَ بها مَنْ يُقدم على تحقيق التراث، لاسيما وقد نعت أساتذتنا هذه الحرفة بأنها مهنة الفقراء؟

– الثقافةُ الواسعةُ: أقصد «ثقافةً عربيّةً واسعةً»: ثقافةٌ بالتاريخ العربي، ثقافة بكثير من الإسلاميات العربيّة والكتابات الدّينيّة، لأنّه لا يخلو أيّ كتاب تراثيّ من تلك المعارف المطلوبة، وإنْ كانَ فَنٌّ فَنّ لا علاقة له بها، فقد يحتوي ديوان الشعر ـ وقد يكون في الغزل ـ على معارف تاريخية أو دينية، يلزم المحقّقَ معرفتُها.

● منذ سنوات عديدة وأنتم تتولون منصب المشرف العلمي لمركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية، فما الدور الذي ينبغي أن يضطلع به مركز تحقيق التراث نحو تراثنا العربي الإسلامي، وهو الوريث الشرعي للقسم الأدبي الذي صدر عنه الكثيرُ من الموسوعات الأدبية واللغوية والتاريخية؟

– اختلفَ الأمرُ الآنَ عمّا كانَ عليه من قبل، فقد كان القسمُ الأدبيُّ هو المكان الوحيد لتحقيق المخطوطات العربيّة، فكان حرًا تمامَ الحريّة في اختيار الكتب التي يُريد أنْ يُخرجَها. أمّا الآن فيوجد في كلّ قطر عربيّ ـ تقريبًا ـ إدارةٌ أو إداراتٌ لتحقيق النصوص وإخراجها.

إذن لابُدّ من عمليّة تَنسيق بين هذه الجهات، حتى لا يتكرّرَ العملُ الواحد ولا توجد فروق جوهرية داعية لإعادة التحقيق، الأمر الذي من شأنه إضاعة المال والوقت والجهد.

شيءٌ آخر: لابُدّ من الاستجابة الكريمة لطلبات المُحقّقين الجادّين: أتذكر أنني طلبتُ نسخة من «ديوان ظافر الحداد» ـ أيضًا ـ وقد كانت بالمغرب. طلبتُها من أحد علماء المغرب المرموقين، فلم يستطع ذلك إلا بعد سنوات، بينما طلبتُ نسخة من الديوان نفسه موجودة بإحدى مكتبات ألمانيا فجاءتني بعد ثلاثة أسابيع.

وحينما كنتُ بالعراق سافرتُ من بغداد إلى الموصل، لمطالعة بعض المخطوطات بمكتبة داود شلبي، ولمّا سلّمتُ على المسؤول عن المكتبة (وكان زوجًا لابنة داود شلبي) ـ وأحسّ أنني قادمٌ من أجل المخطوطات ـ كانَ جوابُه على سلامي مجموعةً من الممنوعات: ممنوع النظر في المكتبة، وممنوع كذا، وممنوع كذا!!

فالمأمول من هذه الجهات (الخاصة والحكومية)، فتحُ باب التعاون فيما بينها، لإخراج الكتاب المُحقّق إخراجًا علميًا سليمًا تفيد منه البشريةُ جميعًا، كما أنّ المأمولَ من أصحاب المكتبات الخاصة إتاحةُ صور من مخطوطاتهم للجادين من الباحثين، وإحساسهم بأنّ هذا يفيد العالم كلّه وإن كان ملكيّةً خاصّة، ولا مانعَ أنْ يُشترطَ خروجُ العمل باسم الأسرة التي تمتلكُ المخطوط طالما أنّ إخراجَه للبشريّة مرهونٌ بذلك.

«مركز تحقيق التراث في سطور»

- واحدٌ من أعرق المراكز العلمية المعنية بالتراث العربي وتحقيقه.
- يتبع المركز دار الكتب والوثائق القومية، والتي تُعد المؤسسة الثقافية الأولى في مصر، باعتبارها دار الكتب الوطنية.
- يُعد المركز امتدادًا للقسم الأدبي بدار الكتب، الذي قدم صفحات ناصعة في تاريخ نشر التراث العربي الإسلامي، ثم توقف في خمسينيات القرن الماضي.
- أسس المركز سنة ١٩٦٦م، واهتم في سنواته الأولى بالنواحي التعليمية والتدريبية التي تهدف إلى إعداد كوادر جديدة تعمل في مجال تحقيق التراث.
- بدأ المركز نشاطه في تحقيق التراث العربي ونشره سنة ١٩٦٩م، واستمر في هذا النشاط حتى الآن.
- حرص المركز على استكمال تحقيق ونشر جميع الأعمال التراثية الكبيرة التي لم يستكملها القسم الأدبي، مثل كتب: الأغاني للأصفهاني، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبي المحاسن بن تغري بردي.
- أصدر المركز خلال تاريخه ما يقرب من مئةٍ وخمسين عنوانًا من كتب التراث العربي الإسلامي.
- تتنوع إصدارات المركز تنوعًا كبيرًا، فشملت فنون التراث العربي المختلفة، مثل: التراث اللغوي والأدبي، والتراث الديني، والتراث التاريخي، والسياسي، والعلمي، والفلسفي... إلخ.
- يصدر المركز مجلة «تراثيات» بدءًا من سنة ٢٠٠٣م، وهي مجلة علمية محكمة تُعنى بالتراث العربي وقضاياه.
- بدأ المركز منذ عشر سنوات في إقامة مواسمه الثقافية العامة، الحافلة بعشرات المحاضرات العلمية التي تتعلّقُ بجوانب التراث المُتنوّعة، التي يُلقيها أعلام التحقيق والمهتمون بالتراث والمخطوطات في عالمنا العربي.

سورية في القلب

خالد عبدالرحمن الشنو
محاضر بجامعة البحرين

كَمْ ملّ صمتي واشْتَكتْ عَبَراتي ... وتوسّدَ الحُزْنُ السّخينُ قَناتي
ناجَى لساني بالدعاءِ لإخْوَتي ... هذا سِلَاحي، فاستجِبْ دعواتي

•

ردِّدْ معي يا صاحِ: يا ربّ السمَا ... يا فالِقَ الإصباحِ، يا قهّارُ
دمِّرْ طُغاةَ الشام، زَلْزِلْ عَرْشَهُمْ ... قدْ نازَعُوكَ الكِبْرَ يا جبّارُ
كُنْ جارَ أهلِ الشامِ ضِدّ عَدُوّهِمْ ... أُمْنُنْ بِسترٍ منكَ يا ستّارُ
قد زادتْ البَلْوى على أريافِهِمْ ... أَكْرِمْ بقومٍ للشهادةِ سَارُوا

•

صَمَتَ الزمانُ وزادتِ الأهوالُ ... فلتخرسِ الأقوالُ لا الأفعالُ!
هذي تريمسَةُ الشآمِ تَخَضّلتْ ... بدماءِ طُهْرٍ، واللّجانُ سِجَالُ!
خُذْ من دِماها ما تشاءُ، وإنّما ... ستُحَرّرُ الأريافُ والأغلالُ
أبْشِرْ بأجنادِ الشآمِ بواسِلًا ... فجِهادُهُمْ مُستَعْذَبٌ ونِزالُ

الحرب على العربية

الدكتور إدريس مقبول
أكاديمي مغربي

تعيش اللغة العربية بمؤسساتنا التربوية والتعليمية معركة وجود في معظم بلداننا العربية، بسبب الاختيارات السياسية والحضارية المفلسة لمعظم قطاعات المنطقة التي باتت أميل إلى تقوية الأنساق اللسانية الأجنبية على حساب النسق اللغوي العربي، وذلك من منطلقات تبدو غير مقنعة وغير علمية، بل وأكثر من هذا فهي ترهن وجودنا الحاضر والمستقبلي بأكمله للأجنبي المستعمر، لأن اللغة ليست أوعية للتواصل فحسب، وإنما هي الشكل الذي يحمل تمثلاتنا عن الواقع والوجود، فكل لغة هي تقطيع خاص لهذا الواقع

وللتاريخ، وهي أيضًا المستند الذي يعكس خريطتنا المعرفية والهوياتية بكل دقة.

وعلى ساحة الحرب اللغوية -التي ليست مجازًا، وإنما هي حقيقة كما يؤكد لويس جون كالفي في كتابه «الحرب بين اللغات والسياسة اللغوية»- يبدو أن استراتيجية الحرب لدى الخبراء من خصوم العربية هي التخفي وراء خيارات وشعارات مضللة من الانفتاح اللغوي والتعدد اللغوي والديموقراطية اللسانية والتسامح اللغوي، من أجل ضرب مقومات الهوية الأخرى للأمة، وعلى رأسها المقوم العقدي والديني، ذلك أن الدين الإسلامي في الأصل شديد الارتباط بنيويًا بالعربية، لأن نصه المؤسس نزل بلسان عربي مبين، وقد خلص محاربو العربية إلى أن أذكى طريق وأمكنه لزعزعة القناعات الدينية والحضارية لجمهور الأمة هو بسط قناعات في الأوساط الأكاديمية والتربوية بحتمية خيارات الديموقراطية اللغوية والتخطيط اللغوي الذي يعطي الأولوية للغات «العلم» و«التقدم» و«الحداثة»، والتي ليس للعربية طبعًا مكان بينها، فالعربية لدى هؤلاء هي لغة للدروشة والغناء والتشاؤب فحسب، ولا تصلح لمتطلبات التطور، نتذكر في هذا السياق أن التعليمات الرسمية لعام١٩٨٧ الخاصة بوزارة التربية الوطنية المغربية قد عللت على سبيل المثال اختيار التعليم بالفرنسية لثلاثة أهداف، أولها: أنها لغة ثقافية تكميلية، والثاني أنها لغة تواصل أجنبية، والثالث «كون الفرنسية لغة لتعليم العلوم والتقنيات» وليس العربية، وفي الواقع لم يكن هذا الهدف جديدًا كل الجدة، ذلك أن التعليمات الرسمية لعام١٩٦٣ عندما نصت على توفير الأدوات الأساسية التي تعتبر شرط الفعالية في الدراسات في المستقبل، فقد كانت تنطلق من فرضية أن تنمية اللغة الفرنسية سيكون باعتبارها لغة للعلم والتعليم.

هناك دائمًا توجه في التحليل اللغوي للوقائع اللسانية ذات البعد المتعدد يقضي بأن التدافع بين اللغات في الوسط الواحد يدفع إلى نوع من الهيمنة اللغوية التي ترشحها مؤشرات تعكس نمطًا من الهيمنة السياسية أو الطبقية، والعربية اليوم تعرف ضربًا من التراجع أمام هيمنة للغات أجنبية هي في الغالب لغات مستعمر الأمس، وذلك بسبب أن استقلال هذه الدول، ومنها الدول العربية، لم يكن في الحقيقة استقلالاً حقيقيًّا بل منقوصًا وشكليًّا، بدليل أن أذرع المحتل ماتزال مهيمنة على جسد الأمة وفكرها وثقافتها وسائر مناحي حياتها، وتجسيده في الهيمنة اللغوية للنسق اللساني الاستعماري على اللغات المحلية.

في كتابه: «الهيمنة اللغوية» يؤكد روبرت فليبسونRobert Philipson أن دعم المجلس الثقافي البريطاني على سبيل المثال للغة الإنجليزية في المستعمرات هو تعبير صريح عن الهيمنة اللغوية التي جاءت صريحة على حساب اللغات القومية والمحلية للشعوب الواقعة تحت الاحتلال بموجب السياسة التي تقضي على «أن المكان الذي توجد فيه المصالح الاقتصادية والسياسية والعسكرية البريطانية هو الذي يقرر مباشرة سياسة تعليم اللغة الإنجليزية».

ويضيف فيليبسون: إن الهيمنة اللغوية للغة الإنجليزية قامت عن طريق صياغة حجج للقيم المرتبطة باللغة المهيمنة، وتلك الخاصة بالتحديث والتقدم والوحدة، والحجج الوظيفية. وقد كانت أحد أوجه إضفاء الشرعية على الإمبريالية اللغوية للغة الإنجليزية.

وجدير بالذكر أن مسألة الهيمنة اللغوية جعلت بعض المتحمسين المتغربين يعتقدون بأن على اللغات الأخرى أن تنسحب من الصراع غير المتكافئ مع اللغات القوية المهيمنة مثل الإنجليزية والفرنسية، وتترك لها المجال فسيحًا للانتشار الطبيعي، وهي رؤية لا تقل سذاجة وتبعية وارتماء في أحضان العجز المستديم والإعاقة المركبة.

وهكذا تبدأ مسيرة إضعاف أهم مقوم من مقومات الهوية داخل مؤسساتنا التربوية والتعليمية، ويبدأ معها مسلسل الهزيمة النفسية تجاه الآخر، وهي أخطر أنواع الهزائم على الإطلاق، والتي تمهد مع الوقت لتمجيد الاستعمار والدفاع عن قيمه التي تحولها الدعاية الكاذبة والبروباغوندا التربوية إلى إطار ذي طابع «كوني» آسر، في الوقت الذي لا تعبر فيه إلا عن خصوصية جد مضيقة عن ثقافات أصحابها والمنتسبين إليها الذين يروجون لأسطورة «التفوق اللغوي» ومن ورائه «التفوق الحضاري»، إنها صورة من صور التغرب أو المرض بالغرب.

القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٩)

عبدالله أيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

من النّصَف التأكيد في رأس هذه الحلقة اللغوية التاسعة أن الاستمساك بالعربية الفصحى والدفاع عنها، إنّما هو استمساكٌ بالهُوية وبالذات العربية الإسلامية، لأنّ في الفصحى ذِكراً لنا ولعروبتنا وإسلامنا. كما لا ينبغي أن يوهم هذا الحرص، أنّنا نُنافح عن لغة تهمّ بالأفول والاضمحلال، وأن صيانتها من التبديل والتغيير والعلَل التي تهدّ كيانها أضحى عنقاء مُجنّحة بعيدة من معقل الغُفْر. فالعربية الفصحى تملك من المؤهلات والقدرات والمصادر التي تمدها بماء الحياة، ما يجعلها في منأى عن التشويه والتبديل والتغيير، مصداقاً لقوله تعالى من سورة (الأنعام) آية ٣٤: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ...﴾ ومن سورة (الحجر) آية ٩: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. فإذا ثبت بقواطع الأدلّة أنّ القرآن الكريم قد ضمن للعربية الفصحى المعافاة الأبدية، فإنّ الشعر العربي البليغ، وأقوال أبَيْناء الكلام العربي الفصيح، يمدانها بالمدد الكافي، كي تظلّ شامخةً على سائر اللغات، شموخ الطود العظيم على الأرض المنبسطة. وهي حقيقةٌ راسخةٌ لا يُمترى فيها حتى يشيب الغراب الأسحم.

لِذا ليس حديثاً يُفترى، ولا ألفاظاً معسولةً، التأكيد أن بقاء العربية

الفصحى حيةً متكيفـةً ما بقي المَلَوان يُعَدُّ حتماً مقضياً، لأنها تتغذى من المصادر الآنفة التي لا ينقطع نسلها، ومن ثمّة فإن كل محاولات التبديل والتشويه الخاسرة التي تقترفها غفلتنا وجهلنا بما في مَلَكنا من دُرَر وجواهر يغيظ بها الحاقدون الحاسدون، تتحطّم على صرحها الشامخ ما استمر المسلمون يتحدّثون بالقرآن ويتجالسون به.

غير أن إقرارنا بهذه الحقيقة السّرمَديّة لا ينبغي أن يصرفنا عن بذل النكيثة في النهوض بالفصحى، والاستجابة لصيحات الإنذار والاستغاثة التي ترسلها أكثر من جهة لإنقاذ العربية، ممّا ابتليت به من استخفاف وصدود يكشف عنهما سياق الأحداث الذي ينادينا أنْ هَلمُّوا إلى لغتكم قبل أن يبلغ الأمر المُذَمّر! كما يتجلّى ذلك من نداء «المجلس الدولي للّغة العربية» الذي سيعقد مؤتمره الثّاني خلال شهر ماي٢٠١٣م بإمارة دبي تحت عنوان: «اللّغة العربية في خطر! الجميع شركاء في حمايتها» حيث لقيت العربية البجاري والدواهي من الأقربين والأبعدين، ورغت جمال العولمة المتجوبشة المتغولة، فأجاب أغتامنا دعاء ضلالتها، وركبوا قدّتَها، واتبعوا جادّتَها، حتى جعلت الأكنّة على قلوبهم، والوَقر في آذانهم، وزيّنتْ لهم تخريب كنوز العربية من خلال الجهر بأفكار فطيرة تدليسية عنوانها «لفقْ تَسُدْ» بعد أن قنعوا من الإعجاز العربي المبين بالعجز، ومن السبق والتبريز في آلاء الفصحى بالفَسْكَلة والتأخير، وما ذلك إلّا مِنْ وَنَاء هِمَمهم، وعدم تعويد ألسنتهم تثوير القرآن، والنطق بالفصحى، وكراهيتهم لما تدلّ عليها من قيم حضارية خالدة، لا تتماشى مع ما تدعَو إليه العولمة مَن سرعة تغيير القيم وأفول الحقائق، فاتخذوا اللّحن والخطأ ديدنهم، فبَاض وفرّخ في ما يقولون وما يُطرّسون، حتّى انتهوا إلى تلفيق التُّهم للفصحى، مُدّعين أنّها قاصرة في حلبة التقنيات، وأنّها لا تبينُ عن المجالات الجديدة التي شقّت العولمة كمّها، فكان ذلك بمثابة جذوة نار طائشة ملقاة في غابة الفصحى، جعلت المُزَوّرين المتشككين يُهرولون فرادى وزرافاتٍ إلى اللّهجات العامية، يحشونها بالطَّمّ والرّمّ الذي ابتذله السابقون أمثال: «لويس عَوض، وسلامة موسى وفهمي، وشميل ومن لفّ لفهم» ممن انْسَلوا من الفصحى كما تنسل الأفعى من خرْشائها، ونبذوا الحقّ الأبلج الذي رفع الله مناره في الخافقين، متناسين أن الاستخفاف بألفاظ اللّغة وتزييفها حتّى تنحرف عن دلالتها الحقيقيّة، لا يزيد التواصل إلّا عسراً قد يفضي إلى سوء فهم ما تقوله الكلمات، الذي يوردنا موارد الهلاك والضياع، والاقتتال المجاني الذي يورث العداوة بين الناس.

وقبل أن تصبح العربيّة الفصحى متصدرة لقائمة الخسارات العربية الكبرى، كما تهاوت غيرها من القضايا العربية الأساسية أمام طوفان العولمة، الذي يصرّ على ركوب موجات التغيير والتبديل، والتغوّل على لغات الدنيا، سواء صادف ذلك مصلحةً أو لم يصادفها، أؤكّد أنّ الصحيح الفصيح، وإن طالت غيبته، فإنّ أوبته تعدّ من الحَتم المَقضيّ، طالما بقي القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والشعر العربي المبين، والأمثال العربية البليغة، نماذج من القول البليغ الذي أوتي جوامع الكلم. لذا فمن أراد الفصحى وسعى لها سعيها فليرجع إلى هذه المصادر يرتع في رياضها الذفرة، كما رتع الأوائل الذين يتخيّرون الأماكن التي تتنزل فيها كل لفظة مع ضريبتها، وكل عبارة مع لفقها، لا ترى فيهما عوجاً ولا أمْتاً. اسْتمع إلى أعرابي قد لقّنَ الأصمعي درسا لا يُنْسى في رصف كل كلمة مع أختها، وكل عبارة مع لفقها حين تلا هكذا قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فقال له الأعرابي كلام: مَنْ هذا؟ فقال الأصمعي: كلام الله، فقال له الأعرابي: أعِدْ، فأعَدتُ، فقال: ليس هذا كلامَ الله، فانتبهتُ إلى خطئي في آخر الآية، فتلوتُ: ﴿وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فقال الأعرابي: أصبْتَ. هذا كلام الله، فقلتُ: أتقرأ القرآن؟ فقال: لا، فقلتُ: مِنْ أين علمتَ؟ فقال: يا هذا، عزّ فَحَكَمَ فقطعَ، فلو غَفر ورَحِمَ ما قطعَ! فتعجب الأصمعي من فصاحة هذا الأعرابي، كما نتعجبُ نحن اليوم من طريقة رصفهم للكلمات والعبارات، وشدّة تمييزهم للشيء الواحد في الأحوال المختلفة على هذه الشاكلة: «قال بعضهم: الاسم العام في ظروف الجلود للبن وغيره الزِّق، فإن كان فيه لبن فهو وَطبٌ، فإن كان فيه سمن فهو نَحْيٌ، فإن كان فيه عسل فهو عُكّة، فإن كان فيه ماء فهو شَكْوة وقِرْبَة، فإن كان فيه زيت فهو حَميتٌ»(١).

الهوامش

١- المزهر في علوم اللّغة وأنواعها. عبدالرحمان جلال الدين السيوطي. شرح وتعليق: محمّد جاد المولى بك و محمّد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمّد البجاوي. الجزء الأول. ص ٤٤٣ و٤٤٤.ط ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.المكتبة العصرية. صيدا. بيروت.

تراث

منظومة في بيان الآيات المنسوخة والناسخ لها

نظم الشيخ عبدالهادي نجا بن رضوان نجا بن محمد الأَبْياريّ المصري (ت 1305هـ)

تحقيق : صالح بن محمد بن عبدالفتاح بن عبدالخالق
باحث بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية

إن عامة المحققين من أهل العلم يرون وقوع النسخ في القرآن الكريم إجمالاً، لكن اختلفت الأنظار حول كثير من الآيات، هل هي مما وقع فيه النسخ أم لا؟ فأوصلها بعضهم إلى ما يقارب الثلاث مئة، بينما يسلم البعض بوقوعه في خمس آيات فقط أو أقل(١)، وقد ارتأى الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في الإتقان أنه يمكن قبول القول بنسخ عشرين آية فقط، دون ما سواها، ذكرها في كتابه الإتقان. وقد قام الشيخ عبدالهادي نجا بن رضوان نجا بن محمد الأَبْياريّ المصري المتوفى سنة (١٣٠٥هـ)(٢) بنظمها في أبيات ليسهل حفظها، وقد قمت بتحقيقها عن نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة، تحت رقم (٧٢٢/ تفسير).

الحمد لله ربي والصلاةُ مع السْـ ... سَلام للمُصْطَفى والمُقْتَفي أَثَرا
وهاك نظمًا لمنسوخٍ وناسخِه ... من القُران يفوق الدُّرّ مُنتَثِرًا
منسوخُ آياته عشرون حرّرها ... الشّيخُ السُّيوطيُّ(٣) لمّا أمْعَن النّظرا
آيُ الوصيةِ للقربى(٤) ومطلقها ... بالإرث(٥) أو بحديثٍ صحّ مُشْتَهِرا(٦)
تشبيه آية صوم(٧) جا أُحِلّ لكم(٨) ... من بعده ناسخًا لِلَّذْ به حُظِرَا
شهرٌ حرامٌ قتالٌ فيه(٩) ينسخه ... وقاتلوا المشركين الآيةَ(١٠) اعتبِرا

١- انظر الآيات المنسوخة في القرآن الكريم للدكتور عبدالله بن الشيخ محمد الأمين بن الشيخ محمد المختار الشنقيطي، ط مكتبة ابن تيمية بالقاهرة(ص ٩٣- ٩٥).
٢ - انظر ترجمته في الأعلام للزركلي(٤/١٧٣- ١٧٤).
٣- انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ط المكتبة التجارية(٢/ ٢٢- ٢٣).
٤- يقصد قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾(البقرة:١٨٠).
٥- يقصد بما أنزله الله تعالى من الآيات المتعلقة بتحديد ميراث كل وارث في سورة النساء وغيرها.
٦- يقصد حديث «لا وصية لوارث».
٧- يقصد التشبيه الوارد في قوله تعالى ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من آية الصيام ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة:١٨٣)، لأن مقتضاها الموافقة فيما كانوا عليه من تحريم الأكل والوطء بعد النوم.
٨- يقصد قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ...﴾(البقرة: ١٨٧).
٩- يقصد قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ...﴾(البقرة: ٢١٧).
١٠- يقصد قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾(التوبة: ٣٦).

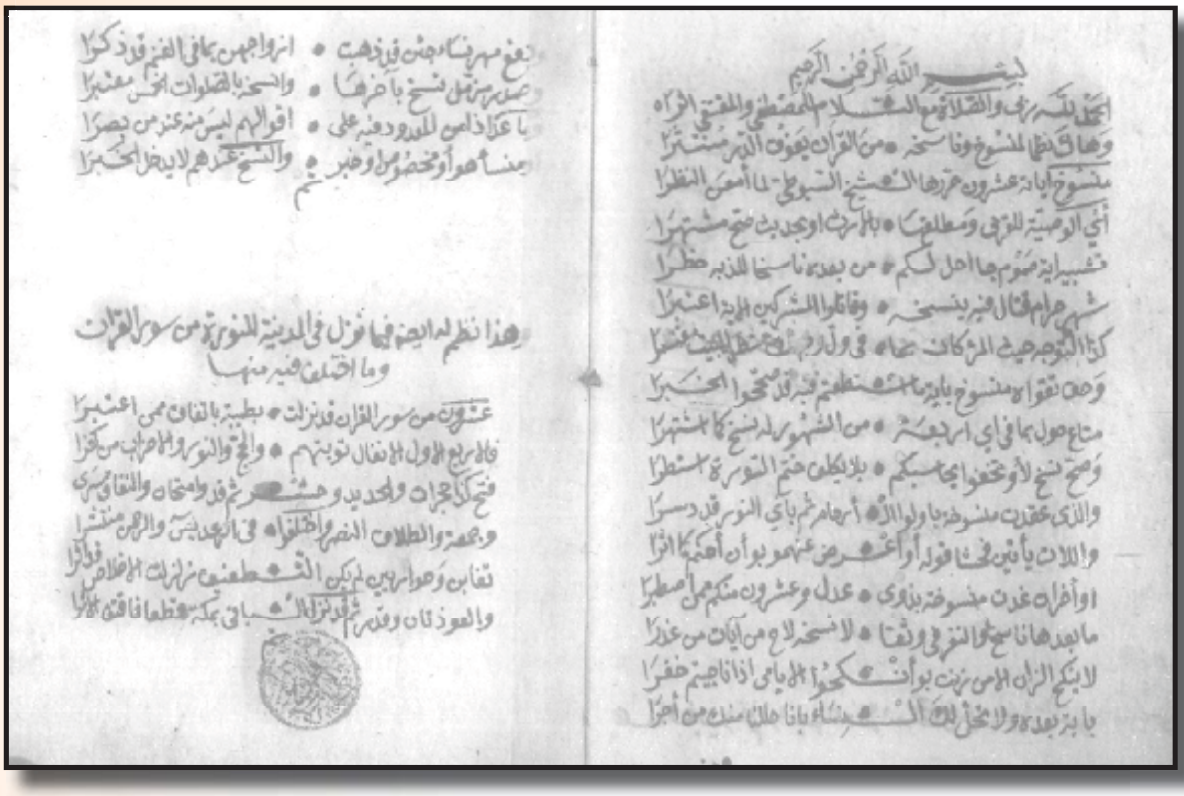

كـذا الـتـوجُّـهُ حيث المـرءُ كـان(١١) بما ... في ولِّ وجهَك شَطْر البيت(١٢) معتبرًا
وحـق تـقـواه(١٣) منسوخ بآية ما اسْـ ... ـتطعتم(١٤) فبه قد صححوا الخبرا
مـتـاعُ حـــولٍ(١٥) بما في آيِ أربعةٍ ... من الشهور(١٦) له نسخ كما اشتهرا
وصح نسخٌ لأو تخفوا يحاسبكم(١٧) ... بلا يكلف ختمَ السورة(١٨) استُطرا
والـذي عـقـدت(١٩) منسوخة بأولو الـ ... أرحام(٢٠) ثم بآي النور(٢١) قد دُسِرَا

١١- يقصد قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ...﴾(البقرة: ١١٥).
١٢- يقصد قوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ...﴾(البقرة: ١٤٤).
١٣- يقصد قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ...﴾(آل عمران:١٠٢).
١٤- يقصد قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ...) (التغابن: ١٦).
١٥- يقصد قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ...﴾(البقرة:٢٤٠).
١٦- يقصد قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا...﴾(البقرة: ٢٣٤).
١٧- يقصد قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ...﴾ (البقرة: ٢٨٤).
١٨-يقصد قوله تعالى في خَتام سورة البقرة ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾ (البقرة: ٢٨٦).
١٩- يقصد قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ...﴾ (النساء: ٣٣).
٢٠- يقصد قوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (الأحزاب: ٦).
٢١- يقصد ما أنزله الله بها من الرجم للمحصن والجلد لغيره.

والـلات يأتين فُحشًا(٢٢) قوله او اعرض ... عنهمو(٢٣) بـ وأن احكم(٢٤) كما أُثِرَا
أو اخـــران(٢٥) غَـدَتْ منسوخةً بـذَوَي ... عدلٍ(٢٦) وعشرون منكم(٢٧) ممن اصْطَبَرا
مـا بعدها نـاسـخ(٢٨) والـنّفر في وَثِـقَـا ... لًا(٢٩) نَسْخُه لاح من آيات من عُذِرَا(٣٠)
لا ينكح الـزان إلا من زنـت(٣١) بـ وأنْـ ... كحو الأيامى(٣٢) إذا ناجيتم(٣٣) خفرًا
بـآيـة بـعـده(٣٤) ولا تحـل لـك النـــ ... ـساء(٣٥) بإنا أحللنا منك من أُجِرَا(٣٦)
ودفـــع مـهـر نـســاءٍ جئـن قـد ذهبت ... أزواجـهـن(٣٧) بما في الغنم قد ذكرا
وصـــدر مـــزّمّـــل(٣٨) نـسـخٌ بـآخـرهـا ... وانسخه بالصلوات الخمس(٣٩) معتبرًا
ومـــا عـــدا ذا مـن المـعـدود فـيـه على ... أقـوالـهـم لـيس منـه عـنـد مـن بـصـرا
ومُـنـسـأ هـو أو مـخـصـوصٌ او خبر ... والـنـسـخ عـنـدهـم لا يـدخـل الخـبـرا

٢٢- يقصد قوله تعالى: ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (النساء: ١٥). وقد كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا زنت فثبت زناها بالبينة العادلة، حُبست في بيت فلا تمكن من الخروج منه إلى أن تموت.
٢٣- يقصد قوله تعالى: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ...﴾ (المائدة: ٤٢).
٢٤- يقصد قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ...﴾(المائدة: ٤٩).
٢٥- يقصد قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ...﴾(المائدة: ١٠٦).
٢٦- يقصد قوله تعالى:﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّه...﴾ (الطلاق: ٢).
٢٧- يقصد قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (الأنفال: ٦٥).
٢٨- يقصد قوله تعالى: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٦٦).
٢٩- يقصد قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ (التوبة: ٤١).
٣٠- وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ...﴾ (الفتح: ١٧)، وقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى...﴾(التوبة: ٩١- ٩٢)، وقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً...﴾(التوبة: ١٢٢).
٣١- يقصد قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً...﴾(النور: ٣).
٣٢- يقصد قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ...﴾(النور: ٣٢).
٣٣- يقصد قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً...﴾(المجادلة: ١٢).
٣٤- يقصد قوله تعالى: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ (المجادلة: ١٣).
٣٥- يقصد قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ...﴾(الأحزاب: ٥٢).
٣٦- يقصد قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ...﴾ (الأحزاب: ٥٠).
٣٧- يقصد قوله تعالى ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (الممتحنة: ١١).
٣٨- يعني الأمر بالقيام في قوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(المزمل: ٢).
٣٩- يعني نسخها ما بآخر السورة ثم نسخ الآخرُ بالصلوات الخمس.

قصة قصيرة

وهبت الرياح

أحمد عطية - قاص مصري

كان الحوار على أشده، وكان يجلس هناك في أحد أركان الحجرة يتابع في صمت يمتزج بالخوف ما يدور حوله، وكان الرفاق قد أتوا لزيارة صديقهم الذي حبسه المرض منذ أيام قلائل، وحملوه على المجيء معهم، فلم تكن المعرفة التي تربطه بصديقه المريض قوية، فقد قابله في أغلب الأحوال مرة أو مرتين، حتى صورته لم تتضح في ذهنه عندما قالوا له إنه مريض.

تردد في المجيء لكنه أتى بعد إلحاح دار أغلبه حول ثواب الزيارة، ولكن حدث ما كان يخافه، فقد انقسم الرفاق إلى فريقين حول إحدى القضايا الدينية التي تشغل بال الناس في هذه الأيام، وأخذ أفراد كل فريق يطرحون رؤاهم التي تعضد موقفهم حيال هذا الأمر، إلا هو، فلم يدخل في أي فريق، بل ظل الصمت يخيم عليه وحده، وتناساه الرفاق وكأنه لم يأت معهم، أو كأن الجالس هناك في ركن الحجرة ظلال تجمعت بسبب اصطدام شيء ما بضوء المصباح، فهو فضاء أسود لا وجود له على أرض الواقع، ومن الممكن في أي لحظة أن يزول.

ارتفع الصوت ووصل الحوار إلى أعلى درجاته، ولم ينطق صاحبنا بكلمة واحدة، وكل ما كان يفعله هو أن يرمق الجالسين بنظره فقط، فنظره حائر بين الفريقين، وغدا وكأنه وقع بين أمواج متلاطمة تدفعه يمينًا ويسارًا حتى أوشك على الغرق، أو بالأدق يأس حتى من محاولات النجاة.

ليته لم يأت، قالها في نفسه الحزينة عدة مرات، فضروريات الحياة ألهته عن طلب العلم الديني، أو حتى معرفة جزء ضئيل منه، فهو يبدو وكأنه في صراع مع تلك الحياة التي لا تهبه من عمره إلا بعض الأوقات البسيطة التي يخلد فيها للنوم، حتى هذه لم تسلم له في أغلب الأحوال.

الصوت ما زال يملأ أركان الحجرة، والرفاق غدوا وكأنهم وجدوا ضالتهم في حديثهم هذا، وثوب الصمت ما زال يخيم على صاحبنا في ركنه المظلم الجالس فيه، ووجهه يتوارى خجلاً من ضوء المصباح المدلى من سقف الحجرة والذى تحركه الرياح المنبعثة من أحد النوافذ، فيبدو وكأنه يكشف أستار الظلام ليعري ما وراءها. وكان صاحبنا كلما اقترب منه ضوء المصباح حاول أن يختبئ في أي شيء، حتى إنه تمنى أن تبتلعه الأرض في موقفه المخجل هذا، فالكل يتحدث إلا هو، وكأن رصيده من الكلمات قد نفذ، وغدا حاله وكأنهم حملوه معهم كما يحمل الأب صغيره إلى أحد الأفراح في شوارع القرية، فلا حضوره يؤثر، ولا غيابه يضر.

الوجه يزداد حزنًا، والمصباح يعانده في الوصول إليه في مخبأه هذا، والكل انشغل بالحديث عنه، والكلمات تبدو وكأنها مربوطة في جبل من الصخر، والصمت يبدو وكأنه جدار مظلم يحجبه عن الناس من حوله.

الرياح ما زالت تهب على وجهه، والليل يرمقه من هناك في ذلك الفضاء المتسع الذي يمتد إلى ما لا نهاية له من العلو.

انشغل صاحبنا قليلاً بتلك الرياح وبذلك الليل الذى يطل عليه من بعيد، وكأنه أحس منهما صداقة جديدة ربما تعوضه عن هؤلاء الرفاق الذين لم يعرف عن حديثهم أي شيء، ولو تكلم لسخروا منه وعدوه أحد الجهلاء الذين كانوا السبب في بلايا الأمم.

ثم أفاق إلى نفسه مرة أخرى وهو يتمتم: ليتني لم آت إلى هنا، نعم ليتني لم آت إلى هنا، كان من الممكن أن أتقرب إلى ربي بأي ثواب آخر غير هذا، وصدقني يا صاحبي فأنا المريض لا أنت، أنا الآن أشعر أني ذرّات تافهة في هذا الوجود المتسع، أشعر وكأنني لا شيء، ربما أكون فراغًا وأنا لا أدرك، أو لعلني شبح لذلك الأحمق الذى عاش منذ آلاف السنين، وبقيت سيرته للأجيال يصبّون عليها جم غضبهم في كل حادثة من حوادث الحياة.

نعم لعلني هو، فأنا أشعر الآن بأن القرون الخوالي تتحرك في داخلي، وبأن سيرتى تمتد هناك منذ آلاف السنين، منذ القرون الأولى من عمر الأرض، نعم أنا هو فنحن يجمعنا نسيج واحد يربطه الجهل والتخلف في كل زمان وفي كل مكان، ليتني لم أولد أصلاً، ولكنني ولدت لتمتد سلسلة الحمقى في كل زمان، (اللهم لا اعتراض على حكمك يا ربي)

الرياح ما زالت تصافح المصباح بشدة، والمصباح مستمر في عناده مع صاحبنا هذا في مخبأه المظلم الذى تخيره لنفسه ليتوارى فيه من الرفاق، والليل ما زال يرمقه من بعيد وكأنه ينتظر الفرصة ليهمس في أذنه، وكانت الرياح هي رسول الليل إلي صاحبنا، فسمعها تهمس في أذنه: تحرك يا فتى، وانفض عنك غبار الصمت والجهل، فأرض الله واسعة.

فانسل من بينهم إلى حيث لا عودة، وانطلق في ذلك الفضاء تحمله الرياح في ثوب الليل في رحلة عبر القرون إلى نقطة البداية لينطلق منها.

أصدرته مؤسسة الفرقان في تسعة أجزاء

الدليل الإرشادي إلى مقاصد الشريعة الإسلامية

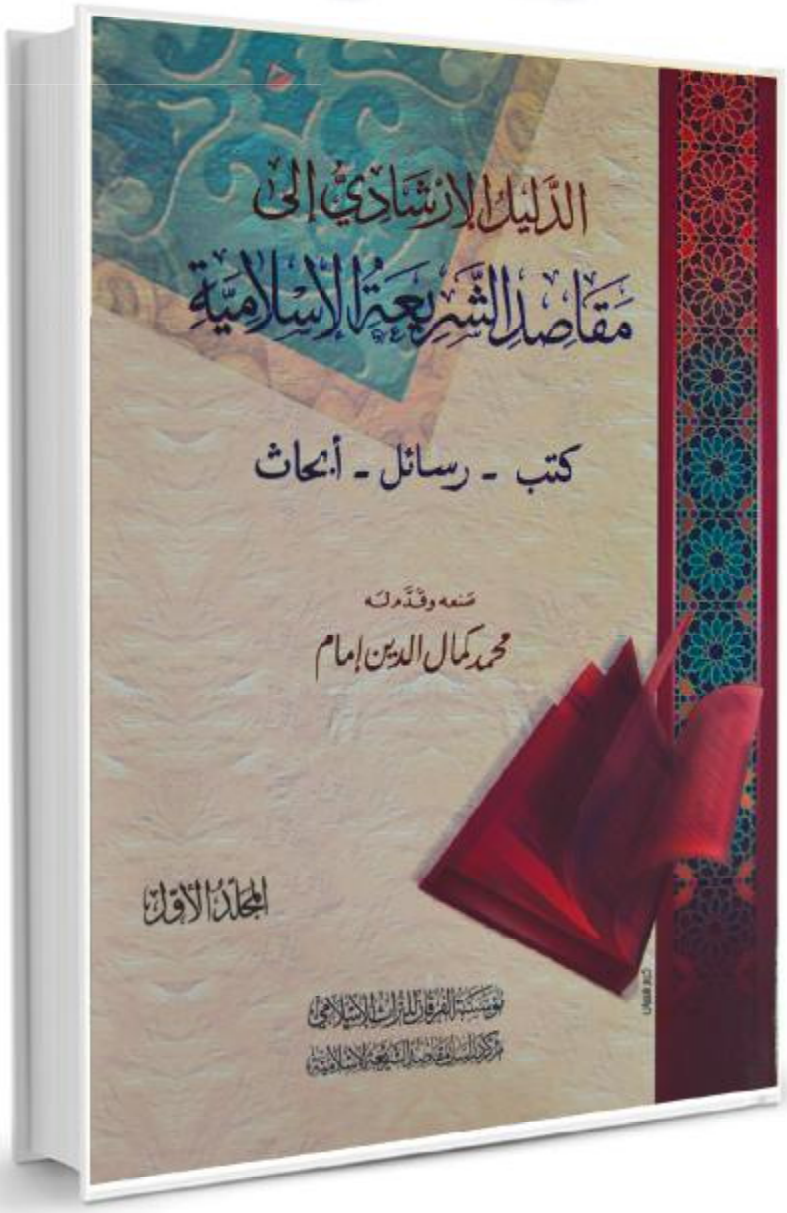

التحرير

هو الدليل الذي صنعه وقدّم له الأستاذ الدكتور: محمد كمال الدين إمام، وأصدرته مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، تقول المقدّمة التي كتبها مؤسّس ورئيس الفرقان للتراث الإسلامي في لندن أحمد زكي يماني: إنه في الاجتماع التأسيسي لمركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية اقترح د. إمام إعداد ثبت معلوماتي عن كتب مقاصد الشريعة الإسلامية قديمها وحديثها، ولقي هذا الاقتراح قبول العلماء الأجلاء الذين شاركوا في الاجتماع، وبالتالي تمّ إقرار الفكرة، وعكف الرجل على تنفيذها، فطالع نحو ١٤٠٠ كتاباً ورسالةً وبحثاً، وعرضها كلها عرضاً شيّقًا في ٩ مجلدات ذات حلّة قشيبة، والمستعرض لهذه المجلدات يجدُ نفسه في بحر لجيٍّ من المعلومات المتخصّصة عن المقاصد الشرعية لأوّل مرة .. هنا ملخصٌ لكل ما كتب تقريبًا في هذا المجال.. هنا دليلٌ بحق لمن يريد الإبحار في هذا العالم، حيثُ يجد اسم الكتاب، واسم المؤلّف، ودار النشر، وعدد صفحات الكتاب، ثمّ عرضاً شيّقاً مختصراً لما جاء في الكتاب.. ولنتخيّل الجهد المبذول وراء تكرار ما سبق ١٤٠٠ مرة أو يزيد.

يقول الدكتور محمّد كمال الدين إمام

في مقدمته شارحًا مفهوم المقاصد: «لقد ارتبط الفهم المقاصديّ بالقرآن الكريم نزولاً، وبأحكام الشريعة تنزيلاً، فلزم العلم بمقاصد الشرع جملةً وتفصيلاً، فمولد المقاصد يؤرّخ له خطاب «النّص» منذ حمله الرّسول ﷺ «بلاغًا»، وتحمّله أهل التكليف «أمرًا» و«نهيًا»، وفصّله أمناء الأمّة - المجتهدون بوصفين هما - بتعبير الشاطبي - فهم مقاصد الشريعة على كمالها، والتمكّن من الاستنباط بناءً على فهم فيها. والمقاصد في ضوء هذا المنهج تعني تحريك النّص ومشروعيته في آن معًا».

وقد حرص الدكتور إمام في تبويب دليله الإرشادي على عدم جعل الدليل وقفًا على عصر دون عصر، أو قاصرًا على مذهب دون غيره، مؤكّداً أن مقاصد الشريعة لم تنفصل عن مباني الاجتهاد منذ عصر الرّسول ﷺ إلى اليوم، وينسحب ذلك على عناصر المقاصد الثلاثة: التعليل، والمصلحة، ومآلات الأفعال، ولكلّ تطبيقاته في عصر الوحي واجتهادات الصحابة، لافتا إلى أن خطّة الرّسول ﷺ التشريعية قاعدتها الأساسية في العبادات والمعاملات، مراعاة مصالح الناس، ومصلحتهم هي جلب النفع لهم، ودفع المفسدة عنهم. وفي ضوء نظرية المصالح والمفاسد تفهم أحاديث رسول الله ﷺ في كثير من مسائل الأحوال الشخصية والبيوع، وفي العبادات كالصّوم والحجّ والأضحية، وكلها تطبيقاتٌ تحكمها قواعد منع الضّرر، ورفع الحرج، وغيرهما من القواعد الكلّيّة.

كما يؤكّد د.إمام أن مقاصد الشريعة ليست جزءًا من الفقه، بل هي الفقه الأكبر، لأنها أرحب وأوسع من أن تحصر في دائرة علم من علوم الشريعة، بل هي بمنزلة الرّوح من جسد هذه العلوم كلّها، لها مكانتها في أصول الدّين، ومكانها في الفقه وأصوله، وهي لباب علم التفسير، ومعيارٌ حاسمٌ في فهم الأحاديث، وهي إضافة إلى ذلك قطب جاذب لعلوم إنسانية وطبيعية، في مقدمتها علم التاريخ بسننه العمرانية، وعلم الطبّ بكل أقسامه وفروعه، فالمقاصد ليست في تدبير مصالح الأديان فحسب، بل هي أيضاً في تدبير مصالح الأنفس والأبدان، ومصالح العيش والعمران، إنها مصالح الإنسان.

ويوضح د.إمام أن الدليل الذي بين يدي القارئ وضع قراءاته كلها على المحك، فيقول: «فرغم أن الكثير من الكتب والدراسات المختارة سبق التعامل معها درسًا وحوارًا ومناقشةً، إلّا أن نقلةً نوعيةً أحسستها وأنا أراجع الدّليل بكل محتوياته، لقد أصبحت المادة العلميّة أمامي أشبه بطائرة أطلّ من فضائها على «مدينة المقاصد»، ولأوّل مرّة تجتمع أمامي التفاصيل، وتلتقي الأصول بالفروع، والكليّات مع الجزئيّات، في مشهدٍ أصبح معه الكثير من المسلمات حول المقاصد وتاريخها وتدوينها ومجالاتها، وما جاءت به الكتب والرسائل والأبحاث الحديثة والمعاصرة، بحاجةٍ إلى مزيدٍ من التأمّل والمراجعة وإعادة النظر».

طبع الجزء الأوّل والثاني سنة ٢٠٠٧، وتوالى إصدار الأجزاء الأخرى في مجلدات من القطع الكبير، وقد بلغ عدد صفحات الجزء الأوّل على سبيل المثال ٦٢٧ صفحة.

الذكاء الانفعالي.. فلسفة أم ضرورة؟

د. آندي حجازي
أكاديمية في مجال التربية والتعليم

عندما تقابل شخصًا لأول مرة بابتسامة لطيفة فهذا نوع من الذكاء الانفعالي، وعندما تشارك زميلك في العمل فرحَه في مناسبة تخصّه فهذا ذكاء انفعالي، وعندما تُعين أخاك في محنته فهذا ذكاء انفعالي، وعندما تمتص غضب طفلك الصغير أو انفعال زوجتك في موقف ما فهذا من الذكاء الانفعالي، وعندما تتسامح مع من أخطأ بحقك وجاء للاعتذار إليك فهذا ذكاء انفعاليّ وليس ضعفًا، وعندما تُظهر اهتمامًا بالآخرين وتتعاطف معهم فهذا ذكاء انفعالي، وكذلك عندما تصغي للآخرين وتبدي لهم احترامًا فأنت تؤكد على ذكائك الانفعالي وقوة شخصيتك، وعندما تقدّم هدايا للآخرين في مناسبات مختلفة كأخوتك أو زوجتك فهذا من الذكاء الانفعالي، وعندما يزعجك أحد الأشخاص وتضبط انفعالاتك فهذا أيضًا ذكاء انفعاليّ وليس تهاونًا، وعندما تشارك الآخرين في أفراحهم وتواسيهم في أحزانهم فهذا نوع مهم من الذكاء الانفعالي.. فالذكاء الانفعالي أو الذكاء العاطفي أو ذكاء المشاعر أو الذكاء الوجداني (كما يسميه المصريون) كلها مسميات لنفس النوع من الذكاء وهو ما يعرف باللغة الإنجليزية (Emotional Intelligence)، وقد وُصف بأنه «القدرة على التعامل بنجاح مع مشاعرنا وانفعالاتنا، وبنجاح مع انفعالات ومشاعر الآخرين». فالأشخاص الذين يستطيعون التوفيق بين التفكير والانفعال (العقل والعاطفة) بشكل يمكنهم من النجاح في مختلف مناحي حياتهم، وخاصة في علاقاتهم الاجتماعية يمكن وصفهم بأنهم أذكياء انفعاليًا أو عاطفيًا.

أبعاد الذكاء الانفعالي

ولكي نسبر أعماق الذكاء الانفعالي لابد من أن نتعرف إلى نموذج جولمان في الذكاء الانفعالي (الذكاء العاطفي)، والذي تكوّن من خمسة أبعاد، وهي التالية:

البعد الأول: (الوعي بانفعالات الذات والمشاعر) فالوعي بالانفعال في لحظة حدوثه يختلف كلية عن إدراكه بعد أن يقع السلوك، ويتسبب في المشاكل لاحقًا، فالوعي بانفعالات وعواطف الذات يعين على التحكم بها، وهو الذي يصنع الفارق بين الإقدام على سلوك متهور قد يجعل صاحبه يقع في دوامة الندم لاحقًا، وبين ضبط النفس، فهذا النوع من الوعي – حسب جولمان– يؤدي وظيفة رقابية على انفعالات الفرد، ويساعد على إصدار الأحكام على مشاعر وعواطف الشخص المختلفة على أنها جيدة أو سيئة، مقبولة أو مرفوضة، مبالغ بها أو مقبولة.

والبعد الثاني: (إدارة الانفعالات) ويُقصد به السيطرة على انفعالات الفرد واندفاعيته، والتعامل مع المشاعر أو الانفعالات التي قد تؤذيه وتعيقه، والتحكم في سير الانفعالات بحيث يضع كل انفعال في مكانه المناسب لتحقيق التوافق مع الذات ومع البيئة والمجتمع. كما يشمل طرق التعامل مع الانفعالات العاصفة والشديدة بمرونة، مما يؤدي إلى امتصاص آثارها السلبية التي من شأنها زعزعة شخصية الفرد وعلاقته مع الآخرين.

والبعد الثالث: (الوعي الاجتماعي لانفعالات ومشاعر الآخرين) وهو مهم للتفاعل مع الآخرين، ويتضمن القدرة على قراءة انفعالات الآخرين ومشاعرهم من خلال أصواتهم وتعابير وجوههم، وتفهّم العلاقات

مع الآخرين والقدرة على تأجيل الانفعال.. كالأم عندما تشعر بغضب ابنها الصغير في موقف ما، فلا تحاول زيادة غضبه، وكذلك في حال غضب زوجها فلا تحاول إشعال النار في الهشيم تعنتًا منها، فهي تدرك انفعالات وعواطف زوجها فتدير الموقف بحكمة. وتبيّن الدراسات أن الأطفال الأذكياء في قراءة المشاعر غير المنطوقة كانوا من الأطفال المحبوبين في المدرسة وأكثرهم استقرارًا عاطفيًا وأفضلهم أداءً، فالإنسان القادر على قراءة مشاعر الآخرين من تعبيرات الوجه فقط؛ يكون في حالة أفضل من حيث التكيف العاطفي، ومحبوبًا أكثر من غيره كما بينت دراسة أمريكية على أعمار مختلفة.

أما البعد الرابع: وهو مهم للنجاح في العلاقات الاجتماعية؛ وهو (التعاطف) ويسمى كذلك التفهم أوالتقمّص الوجداني، وهو ينبع من الشعور بمعاناة الآخرين وبمشاعرهم وأحاسيسهم ومخاوفهم ووجهات نظرهم، ووضع الشخص نفسه مكان الآخر كمن يلبس لباس غيره، فيستحضر مشاعر الآخرين نفسها إلى داخله، كأن يشعر بحزن صديقه نتيجة فقد عزيز أو خسارته في موقف معين مثلًا، وتبيّن الدراسات أن النساء أفضل من الرجال في التعاطف مع الآخرين، وقد يعود هذا لطبيعتهن الفطرية أو لكونهن أكثر ذكاءً انفعاليًا من الذكور، مما يعينهن على التكيّف العاطفي بشكل أفضل من الذكور.

والبعد الخامس: والأخير (إدارة العلاقات)، وهو فن من فنون العلاقات الاجتماعية يتضمن القدرة على الإلهام وتطوير الآخرين وإدارة النزاعات، وإرسال رسائل مقنعة، وتوجيه الأفراد والمجموعات..وهذا ما يحتاجه الوالدان في البيت، فالذكاء الانفعالي ينعكس أثره بشكل واضح على أفراد الأسرة وعلى علاقاتهم ورغبتهم في المشاركة والإنتاج والإبداع، فالأبوان الناجحان في التفاعل الاجتماعي وإدارة العلاقات يثيران روح المحبة والتعاون والتواصل الإيجابي والدافعية للإنتاج والتشارك بين الأبناء ومع الآخرين، وبالعكس فإن الأم أو الأب المثيران للانفعالات السلبية يعملان على إثارة روح التنافر والتباعد والإحباط والكراهية بين أفراد الأسرة.

رسول الله والذكاء الانفعالي

بالرغم من أن جولمان نبّه إلى هذا المصطلح في عصرنا الحالي إلا أنني أرى أن رسول الله ﷺ قد اتصف بالذكاء الانفعالي منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، وقد حثّ على التفاعل مع الآخرين، ومشاركتهم أفراحهم وأحزانهم والتعاطف معهم والرأفة بهم: فمثلًا قال: «لا يبع أحدكم على بيع بعض» فهذا من الذكاء الانفعالي. وانظر معي عندما قال عليه السلام: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»، فهذا ذكاء انفعالي واجتماعي في ذات الوقت؛ لأنه يؤدي لنشر المحبة بين الشخص والآخرين فكيف يمكنني أن أكره إنسانًا يتبسم في وجهي؟ فالشخص المبتسم دائمًا يبث الثقة والراحة النفسية في نفوس الآخرين. وعندما جاءه رجل وقال له: يارسول الله أوصني، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا تغضب»، ثم جاءه من جانب آخر وقال: أوصني، فقال: «لا تغضب»، وسأله ثالثة فأجاب عليه الصلاة والسلام: «لا تغضب». فضبط انفعالات الغضب من أهم مكونات الذكاء الانفعالي.

الأسرة والذكاء الانفعالي

يحتاج أفراد الأسرة إلى الذكاء الانفعالي في واقع حياتهم للتفاعل بين بعضهم البعض، وفيما بينهم وبين المجتمع الخارجي، لأن من يتصف بقدرات ومهارات الذكاء الانفعالي يتصف بما يلي:

- يتحكم في الانفعالات والتقلبات العاطفية.
- يعبر عن مشاعره وأحاسيسه بسهولة دون الإساءة للآخرين.
- يتعاطف مع الآخرين خاصة في أوقات ضيقهم، ويتفهم مشاعر الآخرين ودوافعهم.
- يتكيف مع المواقف الاجتماعية الجديدة بطريقة معقولة.
- يسهل عليه تكوين الأصدقاء والمحافظة عليهم.
- يتفهم المشكلات بين الأشخاص، ويحل الخلافات بينهم بيسر.
- يحترم الآخرين ويقدّرهم.
- يحقق الحب والتقدير من الذين يعرفونه، ويظهر درجة عالية من الود في تعاملاته مع الناس.
- يضبط نفسه دون التضحية بعلاقاته مع الآخرين.
- يبتعد عن الكآبة والقلق والمشاكل النفسية.
- ينظر إلى الحياة بتفاؤل وإيجابية.

فإذا كنت أبًا أو أمًا فكن على وعي بالعوامل التي تعين على نمو الذكاء العاطفي لدى أطفالك مبكرًا فتعينهم في علاقاتهم الاجتماعية، وفي زيادة تقبل الآخرين لهم وزيادة قدرتهم على تكوين الصداقات والاستمرار بها، وإليك بعض النصائح: مارس اللعب والمرح مع أبنائك، قلّل من انتقاداتك لآرائهم، وناقش آرائهم بدون تعصب لآرائك، وشجعهم على التعاطف مع الآخرين، وزيارة الأقارب وتحمل ضغوطهم، والتطوع للأعمال التعاونية والخيرية ومساعدة والديهم، ودرّبهم مبكرًا على اكتساب المهارات الاجتماعية وتكوين الصداقات، والتسامح والحفاظ دائمًا على مشاعر طيبة عند التعامل مع الآخرين، وشجعهم على التخلي عن الغضب والفورات الانفعالية بأن تكون أمامهم قدوة بالهدوء، وتجنب الانفعالات الحادة في البيت، واطلب منهم دائمًا أن يقدموا على الأقل ثلاثة حلول لأي مشكلة قد تواجههم، وكن منتبهًا بشكل خاص لحالات القلق والاكتئاب والغضب التي تنتاب أبناءك فلا تثيرها، واعمل على التخلص أو الإقلال منها بقدر ما تستطيع لأنها تعيق تفاعلاتهم الجيدة مع الناس وتجعل بينهم وبين الآخرين سدًا منيعًا، وتذكر دائمًا أن الذكاء الانفعالي هو جزء من الذكاء الاجتماعي وهو أساس النجاح في الحياة.

وعودك لأبنائك.. شرارة كذبهم

شيماء مأمون - كاتبة صحافية

كم وعدًا تعد ابنك في نهارك؟ وهل تفي بها؟، ترى كم مرة تخبر ابنك بأنك ستحضر له شيئًا ما، أو ستقوم بنزهة معه وتنسيك الحياة وهمومها وعدك، إن عدم الوفاء بالوعد تجاه الأطفال خطأ تربوي فادح يجب الانتباه إليه من قبل الآباء، كما أن الدين الحنيف لم يترك هذا الأمر دون إشارة له، فعن عبدالله بن عامر أنه قال: دعتني أمي يومًا ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: «وما أردت أن تعطيه؟» قالت: أعطيه تمرًا، فقال لها رسول الله ﷺ: «أما إنك لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبة».

تأجيل الالتزام

يقول وحيد المهدي، خبير تنمية بشرية: إن الوفاء بالوعد أمر لا يجب أن نتهاون فيه، والتعامل مع الطفل على أنه ما زال صغيرًا وعندما يكبر سيفهم، أمر في غاية الخطورة، فتأجيل الالتزام بالوعد قد تمتد آثاره للأبد، وبالطبع على الأهل التوكيد على أن الوفاء ليس مقصورًا على أناس بعينهم، ولا مكان بعينه، فالوفاء بالكلمة يجب أن يكون داخل محيط الأسرة، ومع الجيران والأصدقاء، وفي المدرسة وحتى مع الغرباء.

ويشدد على أنه يجب أن يعرف الطفل أن كل كلمة تخرج منه هي وعد يلزم الوفاء به، ومن أخطر ما يمكن أن يفسد فكرة الطفل تجاه الوفاء بالوعد أن يجد أهله يتملصون مما وعدوه به، ثم يطالبونه أن يقوم هو بذلك، فذلك الفعل يصيبه بالتشوش، وربما أصبح يخلف وعده متعمدًا وليس فقط كسلًا أو إهمالًا، في محاولة منه للتشبه بالكبار.

ويؤكد على أنه يجب أن يزرع في الطفل أن احترامه لكلمته ووفاءه بها هي جزء من نجاحه، بل جزء أصيل من كونه إنسانًا.

ويبدأ ذلك بالتدريب المبكر بتحديد واجب بسيط ليقوم به في الغد، ويتم مراجعته في الوقت المحدد لإتمام المهمة، فإذا ما أتمها وجب مكافأته عليها، وأفضل شكل للمكافأة هي الإشادة المعنوية، ولا مانع من إضافة حافز مادي يبدأ من قطعة حلوى أو شوكولاتة، ويصل إلى قطعة ملابس جديدة، أو رحلة ترفيهية.

وكلما نجح في مهمة يكلف بواجب جديد أكبر قليلًا، إلى أن نصل إلى أن يختار بنفسه المهمة التي يرى أنه قادر عليها.

واجب شرعي

ويعتبر المستشار الأسري نزار رمضان، أن الوفاء بالعهد واجب شرعي على جميع المسلمين الالتزام به في مختلف الأمور الفردية والاجتماعية، وقد جاءت نصوص كثيرة تؤكد على هذا الموضوع، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾(الأسراء: ٣٤). وقال أيضًا: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾(المؤمنون: ٨).

ويشير إلى الآثار السلبية التي يكتسبها الأبناء بعدم وفاء الآباء بالوعود، ويجملها في الآتي:

١- يتعود الابن على عدم الثقة في المربي، ثم ينسحب هذا الاعتقاد ليشمل كل من يتعامل معهم.

٢- كأنها دعوة للخيانة غير مباشرة حيث يستمرئ الطفل ذلك النوع من الخيانات.

٣ – يتعلم الطفل نتيجة تكرار عدم الوفاء بالعهد الكذب وتكرار الهروب من المواجهة.

٤ – يشك الطفل بكل من يتعامل معه، فلا يثق في المعلم ولا الحاكم ولا القدوة من الأب والأم.

٥ – ينشأ طفل ولا دين له، قال رسول الله ﷺ: «لا دين لمن لا عهد له».

٦ –ينشأ جيل كامل منحرف في الوفاء بالعهد متمرس على الكذب على مرؤوسيه، يكذب على شعبه، يكذب حتى في علمه، يسرق الرسائل العلمية وينسبها لنفسه.

ويضع المستشار الأسري نصائح للآباء للوفاء بالوعد تتلخص في الآتي:

١ – لصق شعار «وأوفوا بالعهد» داخل المنزل، ليكون شعارًا وسلوكًا.

٢ – تدريب الأبناء على الوفاء بالعهد، وذلك بوجود القدوة في الوالدين.

٣– استخدام قصص السيرة في تربية الأبناء على الوفاء بالعهد.

٤ – عمل مسابقة بين الأبناء حول الوفاء بالعهد والصدق.

٥ – التربية بالعادة، عوّد أولادك على أن يكون بينكم وقت معين يوميًا ولو ١٠ دقائق يحكون لك ما مر بهم في يومهم، فإن الحوار بينك وبينهم له فوائد كثيرة، منها أنه يساعدهم على الانفتاح عليك وفتح قلوبهم لك فتأتيهم الشجاعة لقول الصدق وإن أخطأوا.

٦ – صندوق الوفاء بالصدق، يتم وضع ورقة مكتوب عليها صادق، تمنح لكل طفل صدق في موقف، وتجمع نهاية الشهر وترصد جائزة للفائز.

٧ – حصالة الصدق والوفاء بالعهد، عند كل وفاء بالعهد يتم وضع عملة وبنهاية الشهر يتم التبرع بها للفقراء.

٨ – لوحة الوفي يتم تعليقها ببهو البيت، وتعليق نجمة بجوار اسم كل من وفى بعهده داخل البيت، ليكون بكل شهر نجم الوفاء.

٩ – تخصيص يوم أسبوعيًا كتذكير وتدريب يسمى يوم الصدق.

١٠– تلقيب الأبناء بكلمات تربطهم بالصدق والوفاء مثل «الوفي – الصدوق – الصديق ...».

أهمية الكتاب الورقي والحاسوب للطفل

د.السيد نجم
كاتب متخصص في شؤون الطفل

ليس أمامنا سوى أن نرمي بالحلم المرتكز على توظيف المنجزات العلمية، من أجل أطفالنا.. ثم نعدو خلفه، حتى نلحق بما فاتنا ونصنع مستقبلنا، ولو من خلال خطوات قصيرة، ولكنها ثابتة ومتتالية.. ولتكن هذه المرة من خلال «كتاب الطفل».

إذا كان الطفل الصغير من الأهمية بحيث يجب أن نعتبره مؤسسة كبيرة، فإننا في الحقيقة نحتاج إلى رؤية موضوعية على حال مكتسبات الطفل حاليًا في الوطن العربي. وليكن حال «كتاب الطفل»..

يعاني الكتاب الموجه إلى الطفل العربي من عدة محاور، هي:

عدم الالتزام الدقيق بخصائص المرحلة العمرية للطفل.. حتى الآن لا يوجد على أغلفة الكتب ما يشير إلى المرحلة العمرية التي يخاطبها.. وكأن الكتاب وضع كل الأطفال في سلة واحدة. وهو ما يضع الأم والقائمين على شأن رعاية وتربية الطفل في مشكلة الإجابة على السؤال:

«أي كتاب يناسب عمر ابني أو ابنتي؟»

مخاطبة الطفل الأنثى والذكر على قدر واحد من التناول.. سواء في اختيار الموضوع أو المعالجة، بالرغم من أهمية التمييز بين الجنسين، خصوصًا بعد الثانية عشرة.. سواء في تحديد الموضوع أو في

طريقة التناول والمعالجة، وبذلك نتلافى السؤال المحير:
«هل هذا الكتاب يناسب ابنتي أم ابني؟»
تقديم الكتاب الغربي المترجم بشخصياته، ومفاهيمه وكأنه الكتاب النموذجي الذي يجب على الطفل اقتناؤه. فقد شاعت شخصيات «السوبر مان»، «الرجل الأخضر».. وغيرها بكل ما تحمله من مفاهيم أقل ما يقال فيها أنها في حاجة تدجين ومواءمة. إن نمط تلك الشخصيات يناسب الطفل الغربي لاعتبارات ثقافية متوافقة مع المنجز الاقتصادي والاجتماعي لهم.. بينما البطل الأنموذج العربي بالضرورة يجب أن يحمل سمات تخص هويته وانتماءاته، وأيضًا تطلعه إلى مستقبل عربي الهوية والقيم. وبذلك نتلافى السؤال:
«هل هذا الكتاب يناسب ما أرجوه لولدي في المستقبل؟»
دور النشر المختلفة تسعى (الآن) إلى إنتاج كم أكبر من كتاب الطفل، نظرًا للدعوات التنويرية الصادقة التي تتردد بين جنبات الوطن العربي، وأن الطفل هو مدخلنا كأمة إلى القرن الجديد. وقد تلاحظ أن ذلك تم مع عدم اهتمام أغلب دور النشر بتوفير أفضل الخامات، والارتفاع بالمستوى الفني المناسب لكتاب الطفل. وبذلك نتلافى السؤال:
«هل هذا الكتاب جذاب لطفلي؟»
أما عن مضامين الموضوعات التي تقدم للطفل، فهي على شقين، إما البعد عن روح الطفل في التناول، مع تقديم المعلومة قبل التناول الفني.. أو الاهتمام بالمعلومة البعيدة دون القريبة. ربما أنسب مثال على ذلك، تناول وتقديم الموضوعات العلمية للطفل، فهي قليلة مع قصور في طريقة تقديمها بطريقة شيقة.

وبتلافي هذه السلبية نجيب على السؤال:
«هل هذا الكتاب يشجع طفلي على القراءة؟»
كتاب الطفل في عصر المعلومات: (الكتاب الجديد)
ما يجري من حولنا، يعتبر انقلابًا في نمط الحياة بعامة، ومنها الجوانب الثقافية التي تلعب دورها في تربية الطفل.
تعتبر فكرة «الإنترنت» (وهو صورة الكتاب الجديد) أو شبكة المعلومات فائقة السرعة، من الأهمية والخطورة، بحيث أصبحت ضمن البرامج السياسية للحكومات في أغلب دول العالم، كما أصبحت «التربية» مفهومًا في مقابل التنمية. وهو ما عبر عنه رجال التربية، بضرورة البحث عن طرائق وسبل التعامل مع الطفل من خلال تلك الشبكة.
وهو ما أنتج العديد من المواصفات الواجب مراعاتها في العمل الأدبي والثقافي والفني، مع استخدام الحواسيب: (سواء الكتاب الورقي أو على شكل أسطوانة مدمجة أو ذلك العمل الذي يعرض من خلال الشبكة العنكبوتية مباشرة).
كأن يتسم العمل الإبداعي بما يساعد الصغير على إعمال الذهن، فقد انتهى عصر المتلقي السلبي.. وبالتالي يتسم العمل بحيث يسمح بالتفاعل الديناميكي، وهو الذي يعطى للطفل فرصة التحكم في العمل الإبداعي، والمشاركة.
ربما تصبح القضية الآن، والتي يجب على أولياء الأمور مراعاتها:
أن الفن الجديد في حاجة إلى متلق جديد، مثله مثل المبدع في حاجة إلى دعم من تكنولوجيا المعلومات، وأن تنمية الذائقة من الأمور المهمة، مع ممارسة التذوق ومعايشة العمل الفني من أي جنس بإلحاح و تكرار.

السؤال هو: من أين نبدأ؟
إن البداية في التربية.. والمدخل إليها أن يوفر للطفل المعلومة.. السلوك القويم.. التاريخ.. الفن.. الأدب، كل ذلك في إطار جذاب وشيق، معتمدًا على مراعاة المرحلة العمرية للطفل.
وفي عالمنا العربي، يجب أن نرعى علاقة الطفل بالكتاب الورقي، جنبًا إلى جنب مع معطيات الشبكة العنكبوتية.
عن الكتاب والمنتج الورقي، كما المنتج الرقمي، يجب مراعاة الآتي:
– أن يوفر للطفل المعلومة.. وإبراز السلوك القويم والقيم العليا، كل ذلك في إطار جذاب وشيق، معتمدًا على مراعاة المرحلة العمرية للطفل، مع إعمال التفكير الابتكاري لدى الطفل.
– تقديم المادة الثقافية/العلمية/التعليمية في إطار يحث الطفل على المشاركة، وتأهيله للتفكير الابتكاري، بعيدًا عن التلقين.
– استخدام الخامات المناسبة، التي تنتج منتجًا متماسكًا يتحمل عبث (لعب) الطفل، وقد تم إنتاج بعض الكتب غير الورقية (من الشكولاتة للطفل تحت ثلاث سنوات، ثم من القماش أو رقائق البلاستيك لمرحلة حتى السادسة).
كما أن توفير الاسطوانات أو الأقراص الإلكترونية (الديسكات) بات شائعًا، ولا يجب إغفال أهميته كخامة وكوسيلة قادرة على احتواء كمٍّ هائل من المعرفة.
– أن يضم الكتاب على التتابع والتوازي، المادة اللغوية والمادة الفنية أو الرسومات المكملة التوضيحية. وقد وجد المختصون أن الألوان «الأصفر–الأحمر–الأزرق» هي أهم الألوان للطفل حتى سن التاسعة.

أطفال الشوارع.. رؤية إسلامية

د.محمد محمود العطار- باحث أكاديمي

الطفولة حلم وأمل ورغبة جياشة نسعى إلى تحقيقها بدافع الغريزة التي أوجدها الخالق- جلت قدرته- في عباده وفق سنة التطور وقانون الحياة. الأطفال هبة عظيمة من الله للإنسان، يسعد الفؤاد بمشاهدتهم، وتقر العين برؤيتهم، وتستريح النفس بحديثهم، فهم زينة الحياة الدنيا، وهم في الوقت ذاته مستقبل الأمة، وقواد سفينتها نحو الصراط المستقيم(1).. قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف: 46)، وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (المال والبنون حرث الدنيا، والأعمال الصالحة حرث الآخرة، وقد يجمعها الأقوام)، فالأموال والأولاد هما الثروة في جانبها المادي والبشري، وعلى هذين الأمرين تقوم الحياة ويعمر الكون، وتدور بواسطتها عجلات التاريخ الإنساني.

وللطفل مكانة هامة في حياة رسول الله ﷺ، وقد خص الطفولة بالرعاية والاهتمام، ففي السيرة النبوية نجد مظاهر حبه للطفولة والتوفر على حسن تهذيبها، يقول الرسول الكريم ﷺ في الحديث النبوي: «الولد من ريحان الجنة» (رواه الترمذي).

والطفل في حياتنا نبت صغير لابد له من الرعاية التي يرتوي فيها من عواطفنا المتدفقة بالحب، كما لابد

من المحافظة عليه من الآفات، فإذا ما استوى عوده الريان، بعيدًا عن الأجواء الغائمة، استطاع أن يستنشق عبير الحياة صافيًا رقراقًا، وتفتحت عيناه على هذا الاستقرار والأمن، فيقطع أشواط المرحلة الأولى منذ فجرها، بعيدًا عن العقد النفسية، بعيدًا عن التوتر الأسري، فإذا به باسم الحياة، مقبل على دوره فيها بالأمل والعمل..

أما إذا كان الجو الأسري حوله غائمًا، وتفتحت عيناه على مؤثرات نفسية تثيرها الأسرة، وأحس بجفاف العواطف، التي تتأرجح بها الحياة بين مد وجزر، فإنه عندئذ يستشعر الضيق، والملل والإعياء النفسي الذي كثيرًا ما يترك في حياته بعض الرواسب(٢).

وتعتبر ظاهرة أطفال الشوارع واحدة من أهم الظواهر الاجتماعية التي تستحق الاهتمام، وذلك نظرًا لآثارها السلبية الخطيرة على الطفل والأسرة والمجتمع، وكذلك لكونها قضية تمثل انتهاكًا واضحًا لحق من أبسط حقوق الطفل، كما أنها قضية لا يحتملها الضمير الإنساني لكونها تبديدًا صارخًا للموارد البشرية.

فهناك الملايين من أطفال الشوارع يعيشون منعزلين، يعانون من سوء التغذية منذ ولادتهم، ويفتقدون العطف والتعليم والمساعدة، أطفال يعيشون على السرقة والعنف، أطفال يندمجون في عصابات ليبنوا لأنفسهم أسرًا تمنحهم شعورًا غير حقيقي بالأمان، داخل تركيب أسري لم يعهدوه من قبل، أطفال يستغلهم الغير بلا حرج ويسيئون معاملتهم، يسجنون، بل يقتلون، أطفال يعمل العالم على تناسيهم أو تجاهلهم.. أطفال يرون في الكبار أعداء لهم، أطفال لا يبتسم لهم أحد، ولا يدللهم أو يحبهم أو يخفف آلامهم أحد.

وهؤلاء الأطفال لا يجدون لأنفسهم بيتًا دافئًا بمشاعر الأسرة المترابطة، ولا يجدون عائلًا مستديمًا لهم، أو تدفعهم أسباب- كالفقر والجوع والحرمان- لعدم التكيف مع ظروف البيئة أو مع التعليم، فتدفعهم إلى الطريق العام طلبًا للعيش أو لأي عمل، أو ممارسة التسول، أو مرافقة الأشرار.. فيصبحون عرضة للخطر ويتعرضون أيضًا للانحراف كأدوات أو فرائس للكبار من المنحرفين وجماعات إفساد الأحداث. وقد يقع عادةً انتهاك لأعراضهم وحقوقهم الإنسانية، مما يزيد تعقد علاقاتهم بالمجتمع، ويجعلهم وبالًا على مستقبله وأمنه(٣).

إن أطفال الشوارع هم طاقة مفقودة تحتاج إلى الرعاية، وإن رعايتهم ودراسة مشكلاتهم وأوضاعهم وظروفهم ضرورة حتمية توجبها مصلحة المجتمع ذاته، نظرًا لخطورة هذه الظاهرة ونتائجها السلبية على الأمن والاستقرار السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي.. كما تعتبر أيضًا إنسانية توجب النظر إلى هؤلاء الأطفال كضحايا.

من هم؟

قامت الأمم المتحدة عام ١٩٨٥م بوضع تعريف طفل الشارع على أنه: الطفل- ذكرًا كان أم أنثى- الذي اتخذ من الشارع محلًا للحياة والإقامة الدائمة، دون رعاية أو حماية أو إشراف من جانب أشخاص بالغين مسؤولين(٤).

وتعرف منظمة الصحة العالمية أطفال الشوارع بأنهم: الأطفال الذين يعيشون في الشارع، وينقصهم البقاء والحماية.

الأطفال المنفصلون عن أسرهم ويعيشون في حماية مؤقتة في بيوت مهجورة، أو في مبانٍ أو خنادق أو ملاجئ الحماية، أو يتحركون بين أصدقائهم.

الأطفال الذين تبقى لهم صلة مع أسرهم، لكن بسبب الفقر أو ازدحام المنزل أو الإساءة الجسمية والنفسية في أسرهم فإنهم يقضون بعض الليالي أو أغلب الأيام في الشارع.

الأطفال الذين يكونون في رعاية المؤسسات، والذين يأتون من أماكن التشرد، ويكون هناك خطر عليهم للرجوع إلى حياة التشرد(٥).

كما يعرف طفل الشارع بأنه: هو ذلك الطفل الذي عجزت أسرته عن إشباع حاجاته الأساسية- الجسمية والنفسية والثقافية- كنتاج لواقع اجتماعي اقتصادي للأسرة، في إطار ظروف اجتماعية أشمل، دفعت بالطفل- دون اختيار حقيقي منه- إلى الشارع، كمأوى بديل معظم الوقت، أو كله، بعيدًا عن رعاية وحماية أسرته، حيث يمارس أنواعًا من الأنشطة لإشباع حاجاته من أجل البقاء، مما يعرضه للخطر والاستغلال والحرمان من حقوقه، وقد يعرضه للمساءلة القانونية، بهدف حفظ النظام العام(٦).

حجم ظاهرة أطفال الشوارع عربيًا

لا يوجد تقدير دقيق لأطفال الشوارع، وقد اختلفت التقديرات وتباينت، ولكن الذي يلاحظ الظاهرة يجد أن هناك نموًا مذهلًا في العدد والانتشار، كما نجد أن معظم التعدادات الخاصة بالسكان لا تتضمن حصرًا لمثل هذه التجمعات الهامشية من الأطفال، ونظرًا لصعوبة رصد هذه الظاهرة من الشارع مباشرة، فليس أمامنا إلا الاعتماد على بعض التقارير واجتهادات الباحثين التي تعطي مؤشرات تقديرية وليست إحصاءات دقيقة، فقد أعلن تقرير الأمن العام في مصر عام ١٩٩٢، أن عدد هؤلاء الأطفال حوال ١٨ ألف طفل، وفي اليمن قدر اتحاد الجمعيات غير الحكومية عددهم بحوال ٧ آلاف طفل، كما يقدر عددهم في الغرب بحوال ٢٣٧ ألف طفل، كما يبلغ عددهم في الخرطوم حوال٢٠ ألف طفل، وبصفة عامة فإن هناك إجماعًا من الخبراء على وجود هذه الظاهرة في أغلب الدول العربية بنسب متفاوتة(٧).

المخاطر التي يتعرض لها أطفال الشوارع

هناك العديد من المخاطر والمشاكل والسلبيات التي يتعرض لها هؤلاء الأطفال.. والتي تنعكس على المجتمع بأسره، والتي تتلخص في:

أ) التعرض للأمراض، حيث يتعرض

أطفال الشوارع للعديد من الأمراض، مما يجعلهم يعيشون في آلام مستمرة دون علاج حتى يصلوا إلى مرحلة الصراخ من الألم، وتتلخص هذه الأمراض في الآتي(٨):

- التسمم الغذائي، ويحدث نتيجة أكل أطعمة فاسدة انتهت صلاحيتها.
- الأمراض الجلدية، مثل الجرب، وهو يصيب معظم أطفال الشوارع؛ لعدم استحمامهم ووجودهم في أماكن قذرة بها العديد من المواد الملوثة.
- البلهارسيا: ويتعرض لها هؤلاء الأطفال نتيجة تجمعهم سويًا للاستحمام في الترعة.
- الملاريا: حيث يصاب بها الأطفال نتيجة تعرضهم للناموس الحامل لفيروس الملاريا أثناء نومهم في الحدائق.
- أمراض الجهاز التنفسي، مثل السعال المستمر ونزلات البرد، نظرًا لتعرضهم لعادم السيارات باستمرار إلى جانب تدخينهم أعقاب السجائر الملقاة على الأرض، وتناولهم المواد المخدرة.
- الأمراض النفسية: مثل الانطواء نتيجة لتعرضهم لضغوط الحياة المستمرة، وسوء المعاملة من الأفراد، وحالات الخوف والقلق من مخاطر الشارع، مما يولد لديهم انحرافات سلوكية كالسرقة والعدوانية والعنف المفرط، الذي يؤدي بهم إلى طريق الجريمة.
- أمراض تتعرض لها الإناث بوجه خاص، وتتعلق بالإناث اللاتي يحملن بطرق غير مشروعة، ويحاولن التخلص من الجنين بطرق غير مشروعة.

ب) مخاطر الطريق: يتعرض هؤلاء الأطفال للعديد من مخاطر الطريق مثل حوادث السيارات، بسبب تجولهم المستمر في الشارع من أجل التسول أو بيع السلع التافهة، وركوب أسطح القطارات للتهرب من دفع ثمن التذكرة، مما يعرضهم للسقوط من فوقها(٩).

ج) مخاطر استغلال العصابات: إن استقطاب المجموعات الإجرامية المنظمة والإرهابية لهؤلاء الأطفال تمثل خطورة بالغة عليهم وعلى المجتمع بوجه عام، حيث تتخذ هذه العصابات من هؤلاء الأطفال أدوات سهلة ورخيصة للأنشطة غير المشروعة، سواء باستخدامهم كأدوات مساعدة في الترويج والتوزيع للممنوعات، أو إحداث الاضطرابات والعنف، أو استغلالهم في الأعمال المتصلة بالدعارة والفسق(١٠).

احتياجات أطفال الشوارع

إذا نظرنا إلى احتياجات أطفال الشوارع نجدهم في حاجة إلى التربية والتنشئة السليمة، والحاجة إلى الشعور بالعطف والراحة النفسية، والحاجة إلى الشعور بالحب والأمن والأمان، والحاجة إلى الرعاية الصحية والتعليمية، والحاجة إلى التخلص من المشكلات الاقتصادية وذلك بتوفير مسكن مناسب وملبس وغذاء..وغيرها من الاحتياجات التي إذا لم يتم إشباعها سنجد أننا أمام سمات خاصة لهؤلاء الأطفال، فهم أكثر عداء وعدوانية، وهم أطفال أكثر اعتمادية يتسمون بانخفاض الذات والشعور بعدم الكفاية والشخصية، وهم أطفال أقل ثباتًا انفعاليًا يتسمون بالنظرة السلبية للحياة(١١).

حقوق الطفل في الإسلام

كثير من الأسر لا يشعرون بالمسؤولية تجاه أطفالهم ولا يفكرون فيها، فالإنسان لا يشعر بالمسؤولية إلا إذا فكر في الواجب الملقى على عاتقه، أما إذا كان إنسانًا لا يشعر بالواجبات والمسؤوليات فإن ذلك يعتبر خطرًا عظيمًا، حيث ينتقل إلى أبنائه وبناته من الأطفال والشباب والشابات.

وعلى هذا الأساس، إذا لم يشعر الوالدان بمدى المسؤولية الملقاة على عاتقهما تجاه أطفالهما فإن الأثر ينعكس على الأولاد، فيتشردوا وينزلوا إلى الشارع، مما يجعل الوالدان مساهمين في نمو هذه الظاهرة.

وأطفال الشوارع ضحايا يحتاجون إلى من يأخذ بأيديهم ويوجههم، لأنهم لم يجدوا في بيوتهم من يقوم بهذه المهمة، بل على العكس فإن بيوتهم- في معظم الأحيان- كانت هي عامل الطرد الذى دفعهم إلى الشارع، والاحتمال الأكبر أن يتحول هؤلاء الأطفال إلى جيل ضائع وإلى مجرمين ومنحرفين، ليس لأنهم بطبيعتهم أشرار، لكن لأنهم وجدوا في الإجرام الوسيلة الوحيدة للبقاء على وجه الحياة.

ولقد عني الإسلام بالأبناء منذ طفولتهم وشبابهم، وحتى نهاية مرحلة الحياة، ووجه الآباء إلى رعايتهم، وحسن معاملتهم وتنشئتهم، ولقد وفرت تعاليم الإسلام للطفل عناية خاصة من خلال ما يلي(١٢):

أولًا: رعاية الطفل قبل الولادة

لقد كفل الإسلام للجنين في بطن أمه حقوقًا عدة منها:

حسن اختيار كلا الزوجين للآخر، فعلى الأب أن يحسن اختيار أم ولده ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٢)، وعلى المرأة أيضًا أن تحسن اختيار زوجها فعن أبي حاتم المزني قال: قال رسول الله

ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» (رواه الترمذي).

ثانيًا: رعاية الطفل أثناء الحمل

استهدف الإسلام هذه العناية بما نهى عنه من أوضاع قد تؤدي إلى الإضرار بالحمل، فأعفى المرأة من الصوم إذا كان في صومها خطر على صحتها وصحة الجنين وهو في بطن أمه(١٣)، ولقد أوجب القرآن توفير الاستقرار للحامل وحمايتها مما يمكن أن يجعلها عرضة للاضطراب والقلق، حتى لا ينعكس ذلك على صحة الجنين.. فقد جعل عدة المطلقة الحامل إلى أن تضع حملها، وأوجب الإنفاق عليها طوال مدة الحمل. قال تعالى: ﴿وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٤)، ويقول الرسول ﷺ: «إن الله عز وجل وضع عن المسافر شطر الصلاة، وعن المسافر والحامل والمرضع الصوم أو الصيام» (رواه ابن ماجه)، فهي من أهل الأعذار تقضي الصيام بعد رمضان، وما ذلك إلا رفق بالجنين.

ثالثًا: رعاية الطفل بعد الولادة

لقد كفل الإسلام للطفل بعد ولادته حقوقًا كثيرة، وأكد الحفاظ عليها وعدم التفريط فيها ومن هذه الحقوق:

- حق الحياة، حيث لا يجوز الاعتداء على حياة الطفل، كما كانت تفعل إسبرطة من قتل الأطفال بسبب ضعف بنيتهم الجسمية، كذلك كانت بعض قبائل العرب تئد البنات، أما الإسلام فقد نظر لحق الطفل في الحياة نظرة كريمة، تعلي من شأنه وتمنحه الفرصة الكاملة في حياة إنسانية، يقول تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٤٠).

- حق النسب: كفل الإسلام حق النسب عندما شرع الزواج ورغب فيه ودعا إلى صيانة نتاجه، فمن حق الولد على أبيه ثبوت نسبه منه لأنه ثمرة الزواج المقدس بين أبويه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «الولد للفراش وللعاهر الحجر» (رواه البخاري)، أي إثبات نسبه لصاحب الفراش وهو الرجل.

- حق التسمية بأسماء حسنة: أوجب الإسلام أن يحسن الوالدان اختيار اسم الطفل؛ لما لذلك من تأثير كبير على شخصية الطفل وسلوكه فيما بعد، فعن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحب أسمائكم إلى الله- عز وجل- عبدالله وعبدالرحمن» (رواه مسلم)، ولقد نهى الرسول ﷺ عن تسمية الأبناء بأسماء غير مستحبة، كما جاء في الحديث الشريف عن هانئ بن يزيد قال: «وفد علي النبي ﷺ قوم فسمعهم يسمون رجلًا: عبدالحجر فقال له: ما اسمك ؟ قال: عبدالحجر، فقال له رسول الله ﷺ: إنما أنت عبدالله» (رواه البخاري).

- حق الطفل في حضانة أمه وإرضاعها له، إن رعاية الأطفال الصغار وإرضاعهم وحضانتهم وحسن تربيتهم والإنفاق عليهم يعد حقًا أساسيًا من حقوق الطفل على الآباء وأولياء الأمور، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٣٣)، إن ارتباط الطفل بأمه ارتباط فطري لاشك في ذلك.. وحنان الأم بالنسبة لولدها لا يعدله حنان، فهو ارتباط حيوي ونفسي وعاطفي، ومن هنا كان للأم دور خطير وكبير في التأثير على طفلها سلبًا وإيجابًا. لهذا نرى أن الله- سبحانه وتعالى- وجه الأمهات إلى ضرورة إرضاعهن للأبناء.

أما بالنسبة لحق الطفل في حضانة والديه فقد كفل له الإسلام ذلك عندما أمر الأم بإرضاع طفلها حولين كاملين، وأمر الأب بالإنفاق على أسرته وتوفير الحياة الكريمة لها، ولم يكتف الإسلام بهذا الحد بل وصل الأمر إلى إعطاء الأم أجر الرضاعة في ظروف معينة(١٤).

خاتمة

في السنوات الأخيرة تزايد الاهتمام بقضايا الطفل باعتبارها قضايا قومية وحضارية، تتصل في الأساس بمستقبل المجتمع وبخطة بنائه وتطوره، حيث تعمل المجتمعات على إعداد الأطفال ليكونوا القوة البشرية المؤثرة في مسيرة التنمية الشاملة، بتوفير المناخ الملائم لنموهم وتحقيق متطلباتهم.

الهوامش:

١- سمير عبدالعزيز محمد: منهج الإسلام في تربية الطفل، ط١، دار ابن رجب، المنصورة، ١٩٩٨م، ص٩.

٢- أحمد عمر هاشم: أبناؤنا بين الحاضر والمستقبل في رحاب الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – ٢٠٠٣م، ص ١٧، ١٨.

٣- البشري الشوربجي: معالجة التشريع والقضاء على ظاهرة أطفال الشوارع، مؤتمر ظاهرة الأطفال المحرومين من الرعاية وسبل مواجهتها. جمعية الحرية لتنمية المجتمع، الإسكندرية – ١٩٩٧، ص٢٠.

٤- نهلة السيد: مشكلات أطفال الشوارع بين الواقع والمأمول، مجلة المرأة والطفل، العدد ٢ ، القاهرة – رمضان – شوال ١٤٢٦هـ، ص١٠.

٥- world health Organization : program on substance abuse A one way street ؟ . Reproton phase street children project by who – Geneva . swieerland . world health organization ،١٩٩٣ .P٧

٦- نبيلة الورداني عبدالحافظ: دراسة تقييمية لظاهرة أطفال الشوارع ومدى تأثيرها في الأسرة الفقيرة، مجلة الطفولة التنمية، المجلد ٤، العدد ١٥- المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة –٢٠٠٤، ص٨٣، ٨٤.

٧- محمد سيد فهمي: أطفال الشوارع الأسباب والدوافع (رؤية واقعية)، مجلة الطفولة والتنمية، المجلد ١، العدد ١، المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة – ٢٠٠٤، ص ١٤١، ١٤٢.

٨- سوسن الشريف: المخاطر المهنية للمتعاملين مع أطفال الشوارع، مجلة الطفولة والتنمية، المجلد ٤، العدد ١٥، المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ١٠٨، ١٠٩.

٩- محمد سيد فهمي: (مرجع سابق)، ص ١٤٥.

١٠- محمد سيد فهمي: (مرجع سابق)، ص ١٤٦.

١١- نهلة السيد: (مرجع سابق)، ص ١٠.

١٢- شوقي عبداللطيف: اهتمام الإسلام بالطفولة، مجلة منبر الإسلام، السنة ٦٤، العدد ٣، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة، ربيع الأول ١٤٢٦هـ، ص ٦٧، ٦٨.

١٣- جاد الحق علي جاد الحق: الطفولة في ظل الشريعة الإسلامية، مجلة الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ربيع الآخر ١٤١٦هـ، ص١١.

١٤- شوقي عبد اللطيف: (مرجع سابق) ص٧١.

الحضارة الإسلامية والجمعيات النسائية

بشرى شاكر- إعلامية مغربية

مع دخول شهر مارس، وتحديدًا الثامن منه يكثر الحديث عن حقوق المرأة، وتنشط الجمعيات النسائية المناضلة باسم المساواة بين الرجل والمرأة، ولعل بعضها تستطيع أن تنتزع حقوقًا بخستها إياها القوانين الوضعية مثل آخر قانون يجرم تزويج الفتاة المغتصبة، وخاصة القاصر من مغتصبها درءًا للفضيحة التي لا ذنب لهذه المسكينة فيها، وذلك بالمملكة المغربية، وهو القانون الذي خلف ارتياحًا كبيرًا في صفوف النساء واعتبرته الجمعيات الحقوقية نصرًا مبينًا، وقبله قانون منح الجنسية لأبناء المغربية المتزوجة من أب أجنبي، وهي سابقة بين الدول العربية...

ولكن لماذا تتخذ بعض الجمعيات موقفًا مضادًا للديانة الإسلامية على اعتبار أنها تسلب المرأة حقوقها وتمحق شخصيتها؟

إن ما تلقاه المرأة من حيف في بعض المجتمعات وينسب للإسلام لهو ظلم لديانة أتت محررة لا مسيطرة...

فكيف كانت النساء في باقي الحضارات، وما هو التحول الذي عرفته في ظل الحضارة الإسلامية؟

معظم الحضارات التي سبقت الإسلام عاملت المرأة على أنها جسد بدون روح، أداة تسلية ومتعة لكل من

يطلبها، ترقص وتغني وتمارس السوء مع كل راغب طالب، دون أن تكون لها حقوق أو تلبى لها رغبات، أو تملك حق التصرف في حياتها أو حق إبداء رأيها، مجرد جارية حسناء ترتدي أثوابًا اختارها لها الرجال ليمتعوا أنظارهم، وتمارس أدوارًا اختيرت لها ليشبعوا غرائزهم..

المرأة كانت مجرد جارية تختلف مراكزها حسب شكلها وحسنها، فإما خادمة تغسل وتمسح وتنظف وتطبخ، وإما راقصة وأداة إشباع للغريزة.

ففي الدولة الرومانية، كانت المراقص والمسارح المكان المخصص للمرأة، حيث كانت تهان وينتهك عرضها، وتسقى مع كأس الخمر الذي يحتسيه الرجل في حانة يدخلها، لا كرامة لها ولا تستطيع الاعتراض، ولا حق لها في بناء أسرة.

وعند اليونان كانت المرأة وسيلة للشهوة والإنجاب وحسب، تهضم حقوقها ولا يترك لها مجال الاحتجاج، بل هي تخدم بلقمتها، وتنجب وتربي وتلبي رغبات الرجل فقط.

وفي الحضارة الهندوسية، كانت المرأة مجرد خادمة لا حق لها في المشاركة برأي في أي شيء، بل إنها وإلى عصر قريب جدًا كانت تعد فاسقة، ويبتعد عن معاملتها كل الناس إن لم تلق نفسها في النار، وتحرق وهي حية بعد موت زوجها، وتهان وتنبذ حتى تتمنى الموت على حياة بدون كرامة.

حتى العرب قبل الإسلام، كانوا يحقرون المرأة ويعتبرونها عارًا، ويكفهر وجه أحدهم إن أخبر أن زوجته أنجبت طفلة، ويفرح ويهلل إن كان المولود ذكرًا وقد قال تعالى:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾، بل قد كان يسعى كل من كانت له بنت إلى وأدها حية، وهي بعد رضيعة لا تفقه شيئًا، ويدفنها بدون أن يتأثر ببكائها أو دموع أمها التي حملتها لتسعة أشهر وتحملت مشقة إنجابها، وكأنها عار يجب أن يمحى قبل أن يكبر ويشاع.

كل هاته الحضارات لم تعرف قيمة المرأة التي حملت الحياة بين جنباتها وأنجبت للدنيا رجالاتها ونساءها، أما الإسلام فقد جاء مثل تلك الشمس المشرقة التي بعثها الله لتنير قلوبًا لم تنصف المرأة يومًا، تلك السيدة، الأم والزوجة والأخت والابنة، المرأة التي تنجب الأجيال وتسعى للكمال، جاءت يد الإسلام لتمحو دمعها، وتجلو همها.

جاء الإسلام وأقر لها أول الحقوق، حق الحياة، فحرم وأد البنات وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾.

حقّ الحياة حق لكل إنسان، سواء كان أنثى أو ذكرًا، فلا تمييز بين الجنسين في هذا الحق المشروع، بل لقد حرم الإسلام قتل النفس البشرية بدون وجه حق، واعتبرها من الكبائر، فما بالك برضيعة يئدها الأب مخافة عار لا يوجد إلا في فكره المريض، فكيف تكون المرأة عارًا وهي التي أنجبته وأتت به للدنيا، وهي التي وفرت له وسائل الراحة في بيته، وهي التي اهتمت بلباسه وهي التي لبت رغباته وهي التي حملت أطفاله.

وفي حين كانت بعض الأنظمة تمنع الإرث عن النساء، ولا تسمح لها بحق الملكية كالأنظمة الشيوعية مثلًا، كان هناك من يعتبرها هي نفسها إرثًا يورث، وكانت بعض الحضارات تحجر عليها وتتصرف في مالها دون الرجوع إليها في ذلك، بل إن قانون حمورابي الشهير كان يمنع توريث المرأة، إلا إذا كانت الوريث الوحيد، وفي هذه الحالة أيضًا تنتفع بالمال ولا ترثه إرثًا كاملًا، بحيث لا حق لها في التصرف ببيع أو توسعة إلى أن يعود للأهل بعد موتها، جاء الإسلام ليمنح المرأة حق الملكية، وحق أن ترث في مال زوجها ومال والديها وأقاربها وفق أنصبة معينة، بل جعل الرجال قوامين على النساء في الصرف والمسؤولية المالية في الأسرة، بحيث إنه لم يلزم المرأة بالإنفاق على أهل بيتها إلا إن كانت رغبة منها وعن طواعية، فالمرأة تجب نفقتها على أبيها وهي بعد عازبة، وعلى زوجها وهي متزوجة إلا كما سبق وذكرنا إن رغبت بذلك مساعدة منها.

بل إننا إن نظرنا حتى في أحدث الحضارات التي تدعي الآن الديموقراطية والبحث عن حقوق المرأة، وتسعى إلى تحريرها من عبودية تصطنعها لتجعلها باب إحكام على كل ما هو عربي ومسلم، هذه الدول التي تسمي نفسها بمنصفة الإنسان والمرأة بالخصوص هي التي نجد بها أكثر ألوان العنف ضد المرأة، فحسب إحصاءات سردها د.عبداللطيف ياسين في كتابه «المرأة عبر التاريخ»:

«يقدر عدد النساء اللواتي يتعرضن للضرب في بيوتهن في الولايات المتحدة بستة ملايين، وإن ما يقرب من ثلث النساء اللواتي يفدن إلى قسم الإسعاف إنما يفعلن ذلك لأنهن تعرضن للضرب، وهناك ما لا يقل عن ٣٠٪ من ضحايا جرائم قتل النساء تتم عن طريق أزواجهن أو أصحابهن، وهناك واحدة من كل خمس نساء من اللواتي يقدمن على الانتحار إنما تقوم بذلك مدفوعة بنتائج الضرب المبرح، وفي ولاية ماساشوسيتس هناك امرأة تتعرض للقتل كل ١٨ يومًا من قبل شريك عمرها».

إذن، فالإسلام جاء تكريمًا للمرأة، ولم يأت بصك عبوديتها كما يدعي من لا يعرف عنه شيئًا، بل أتى لإنهاء النظرة التقليدية للمرأة المنافية لتعاليم ديننا، والتي للأسف ماتزال تعشش في عقول الكثير من الرجال والبيئات، كما قال د.مأمون فريز جرار في كتابه: «العلاقات الأسرية، نظرة إسلامية»: «إن النظرة التقليدية إلى المرأة في بعض البيئات باعتبارها إنسانًا من الدرجة الثانية، نظرة غير شرعية ولا إنسانية» هاته النظرة الشرعية التي نبحث عنها هي نفسها التي جاء بها الإسلام لتكون مدونة حقوق للمرأة، هذا الدين الذي حمل رسالته نبي الرحمة محمد عليه الصلاة والسلام، والذي كانت من بين آخر وصاياه في خطبة عرفة (خطبة الوداع)، فقال ﷺ «استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عوان عندكم»، وهو نفسه الحبيب الذي وصف قلوب النساء بالقوارير، وأوصى بالرفق بها.

العدد (٥٧١) جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ/ أبريل- مايو ٢٠١٣م

جمعيات نشطة ومساجد يرثى لها وهوية جيل جديد ضائع

المسلمون في ألمانيا.. فرانكفورت نموذجا

استطلاع : علاء عبدالفتاح

المسلمون في فرانكفورت يتعرضون لمحنة شديدة.. هي محنة فقد الهوية.. صحيح أن الحكومة الألمانية لا تضيق عليهم كما تفعل بعض الحكومات الأخرى على الجاليات المسلمة، لكن صغارهم معرضون تمامًا لفقد الهوية الإسلامية بسبب عمليات دمج ذكية للأجيال الجديدة في المجتمع الغربي.. الآباء خائفون، والأبناء لا يفهمون كيف يعيشون حياة مزدوجة: داخل البيت شريعة إسلامية، وخارجه علمانية وحرية لا تعرف حدودًا إلا الضرر المادي الواقع على الآخر.

أما المساجد فحالها يرثى له باستثناء بضعة مساجد مغربية وتركية تم إنشاؤها بتبرعات وهبات أهل الخير.

مسابقة كبرى لحفظ القرآن الكريم في جمعية طارق بن زياد المغربية تجذب المسلمين الجدد

في مقاطعة أيسن وتحديدًا في العاصمة فرانكفورت – ماين، كان المطر يغسل الشوارع والمباني والشجر.. كل شيء يبدو نظيفًا من الخارج، وبعد خروجك من المحطة الرئيسية للقطار في فرانكفورت التي تسمى بالألمانية «فرانكفورت هاوبت بانهوف» ستلحظ تمثالًا لهرقل وهو يحمل على ظهره نموذجًا للكرة الأرضية، مما يعكس نظرة الشخصية الألمانية لعرقها.

الشوارع مليئة بالفنادق بمختلف الدرجات، إذ يمكنك حتى أن تقضي الليلة بـ٣٥ يورو في غرفة جيدة، ولكن إن أردت أن تصلي فعليك بالشارع القريب المقابل للمحطة الرئيسية للقطارات المسمى شارع مونشينر Münchener Straße وعند رقمي ٤٩ و٥٠ تجد مدخلين متجاورين تقريبًا وممرين كل منهما يفضي إلى شقة في مبنى عتيق، الشقة الأولى تم تحويلها إلى مسجد بتبرعات مغاربية، والأخرى حولها المنجلاديشيون إلى مسجد مشابه.. رائحة الطهي تعبئ المكان.. فالمنطقة المحيطة منطقة مطاعم، أما مكانا الوضوء سواء هنا أم هناك فيرثى لهما، لكن على الأقل يجتمع المسلمون العاملون كل صلاة، في هاتين الشقتين وإن كانتا لا تتسعان لهم يوم الجمعة، فيهبطون على الدرج يجلسون مستمعين لكلام الخطيبين كل قوم بلغتهم، وفي نفس الشارع وعند رقم ٢٠، تجد مدخلًا وممرًا لبناية على الجهة اليمنى، حيث مسجد تركي يتسع لنحو ٥٠٠ مصل أو يزيد، وتم الإنفاق عليه بسخاء ليكون أكبر مسجد في هذه المنطقة القريبة

المركز الإسلامي الأم يعاني من وصول مياه الصرف إلى محرابه بسبب نقص الدعم

مسجد بنجلاديشي وسط فرانكفورت عبارة عن شقة لا تتسع إلا لـ٣٠ مصليًا والباقون يصلون على الدرج

جدًا من وسط البلد، المسجد أيضًا في الدور الثاني وثمة مصعد لكبار السن إذا ما أرادوا النزول إلى مكان الوضوء. «الوعي الإسلامي» حضرت خطبة الجمعة هناك واستمعنا للدرس الأول من قبل أذان صلاة الظهر ثم صعد الإمام المنبر مع الأذان وخطب في نحو ١٠ دقائق باللغة التركية، مستشهدًا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية باللغة العربية.

المركز الأم

نعود من نفس الطريق الذي أتينا منه إلى محطة القطارات لنستقل قطار ال S Bahn الذي يربط مناطق فرانكفورت كلها بسرعة شديدة، ونتجه إلى رصيف ١٠٣ و ١٠٤ وكما أخبرنا المهندس حسين محمد مدير المركز الإسلامي بفرانكفورت، هي محطة واحدة بقطار إس ١ أو إس ٢ في اتجاه فيسبادن، ثم ننزل في محطة جريس هايم ثم نمشي على الأقدام حوالي خمس دقائق نحو ١٥٠ مترًا في شارع أيشن ستراسه Eichenstraße حتى نصل إلى رقم ٤١ هناك مدخل لمبنى مكون من طابقين بجوار ورش السيارات عليه لافتة المركز الإسلامي بفرانكفورت.

نعرف من مدير المركز أن هذا المكان شهد صولات وجولات في عالم الدعوة، بل كان بمثابة الحاضنة التي احتضنت الدعاة المؤسسين لكل الجمعيات الإسلامية الأخرى التي صارت مع الوقت الأبرز نشاطًا في خدمة الجالية المسلمة في ألمانيا كلها، كما هو الحال مع جمعية طارق بن زياد ومسجد أبوبكر الصديق ومسجد بلال.

الماء النجس

لكن ما أقسى أن تتخيل الماء النجس يزحف إلى محراب هذا المركز الذي وصلنا إليه الآن.. أرض المسجد تقع في منحدر ولذا فمياه الصرف الخارجة من دورات المياه تصب في المسجد نفسه، كلما أمطرت أو فاض نهر أو أسرف الجيران في استخدام الماء، حتى تصل إلى المحراب وغرف المخازن التي كانت تستقبل التبرعات العينية كالملابس لأبناء الشعب السوري اللاجئين.

وما إن يأتي الصباح حتى تندهش من كل هذه الخسارة التي سببها الطفح المائي، فتنزع السجاد من مكانه وتبدأ رحلة نزح المياه وتطهير المكان الذي يغلق أمام المصلين حتى ينصلح الحال وتعود المياه إلى مجاريها.

قلة الدعم أو انعدامه هي السبب في كل هذا التلوث وهذه الخسارة، وهي أيضًا السبب في عدم التوسعة أمام المصلين البالغ عددهم في المنطقة عدة آلاف، ولا يجدون أماكن لصلاة الجمعة تسعهم، فضلًا عن صلوات الأعياد والتهجد في رمضان.

نشاط محمود

نمضي من مسجد المركز الإسلامي المصري إلى مسجد أبي بكر لنلمح أول مئذنة تشق سماء فرانكفورت، نظافة وترتيب يليق بضاحية ألمانية، لكن النشاط يبدو بسيطًا فلم نلمح سوى مجموعة صغيرة من الأطفال والسيدات يصعدن الطابق الثاني لتعلم بعض قواعد اللغة العربية وأصول الدين.

أما جمعية ومسجد طارق بن زياد فتبدو الأكثر نشاطًا وتأثيرًا فمسجدها وحده يتسع لنحو ٢٢٠٠ مصل كما يوجد به جناح خاص للنساء يتسع لنحو

الجيل الحالي من الجالية المسلمة مرعوب من اندماج الأبناء تماما في المجتمع الألماني

١٠٠٠مصلية، وخلال شهور رمضان، يزدهر المسجد بأنشطته الدعوية والخيرية.. وقد شهدت «الوعي الإسلامي» هناك واحدة من أهم تلك الفعاليات وهي تحكيم مسابقة القرآن الكريم التي ضمت عددًا كبيرًا من المسلمين الجدد ضمن متسابقين تجاوز عددهم ٣٥٠ شخصًا، أعمارهم تتراوح ما بين ٥ سنوات و٦٨ عامًا، قدموا من أكثر من خمسين مدينة، ويمثلون أكثر من ثلاثين جنسية، المكان هناك عبارة عن أكثر من قسيمة صناعية تم شراؤها وضمها معًا، والإقبال يتزايد على الجمعية لحسن تنظيمها.

روح القانون

روح التكافل والإخاء التي تبثها الجمعيات والمراكز الإسلامية في فرانكفورت تعززها روح القانون الألماني الذي يراعي الفروق والاستثناءات بين المقيمين هناك، وعلى سبيل المثال، إذا كنت غريبًا، مستأجرًا لسيارة أو حتى مالكًا لها لكنك جئت من مقاطعة إلى أخرى وفق ما تظهره لوحة سيارتك فتأكد أنك ستمضي في شوارع المدينة التي تزورها بكل أمان، لن يستعجلك قائد مركبة أخرى يسير وراء سيارتك، وسيتركك تتأمل أرقام البنايات وأسماء الشوارع بسرعتك التي تقررها. إنه القانون الذي ينظر إلى الحالات العامة والحالات الخاصة ويحاول أن يعطي كل ذي حق حقه.

ومع ذلك فالقانون هنا صارم والشوارع مراقبة بكاميرات المسؤولين عن الأمن وأنت مرصود مرصود ، فلا تفكر في المخالفة لأن الشرطة «نهارًا» ستتعقبك وتأتي بك، لكن ليلًا ينام القانون قليلًا، وإن حدث لك مكروه من شارب خمر حتى الثمالة أو لص أو متشرد، فالحق سيكون عليك لأنك خرجت من بيتك (أو عملك) ليلًا ومشيت في هذه الشوارع التي يكثر فيها السكارى والمتشردون.

غياب الوازع الديني

القانون هنا أيضًا ذو شجون، فلو انقطع التيار الكهربائي فجأة، فأبشر بكم هائل من السرقات، ولذا فكما يقول الأستاذ ممدوح رزق مستشار بالمركز الإسلامي المصري لـ«الوعي الإسلامي» هنا في فرانكفورت على الأقل كل شيء منظم وأنت كمواطن كغريب تأخذ حقك كاملًا وتقوم بواجبك كاملًا، هذا طالما السيد القانون مستيقظ، وفي كامل وعيه ومسلح بكامل أدواته، والمؤسف حقًا أن القيم الأصلية لا تنبع من الداخل بل مفروضة فرضًا في ظل مجتمع أوروبي مادي طرد الروحانيات من حياته، ولم يعد يؤمن سوى بالقوة المادية.

مؤسسات الدولة تكفل لك قدرًا من حقوق الإنسان في الحقيقة قدرًا كبيرًا، إذا مرضت، إذا احتجت إلى إعانة بطالة «وإن كانت محدودة جدًا»، إذا تعرضت لبطش ذي نفوذ.. لكن الأفراد نشأوا على التسابق المادي وعدم الالتفات للجار، فإن وقعت في طريق من الإعياء فأكثر ما تأمله أن يخرج أحدهم هاتفه ويتصل بالإسعاف أو الشرطة، وإذا كنت تائهًا ضائعًا لا تجد العنوان الذي تبحث عنه فأكثر ما تتأمله عند سؤالك لمن يمر بجوارك هو أن يبتسم في وجهك ابتسامة باردة ويقول بلغته: أعتذر.. ليس لدي وقت!

العقل المادي الذي صنع هذه الحضارة التي تبرق نهارًا وتلمع بأضواء فاتنة ليلًا، أبدع في الصنع ودقق في التنفيذ وواظب على الصيانة وكان صارمًا في المتابعة، ومن هنا بدت منطقة البنوك، مثلًا، القريبة من وسط البلد حيث أشهر بنوك اليورو مليئة بالجذوع الخرسانية مقطوعة الرؤوس، متساقطة الأوراق على تربة مصقولة محددة الاتجاهات يمضي عليها النمل في كل اتجاه، وكأنها جنود في كتيبة عسكرية «الوعي الاسلامي» كانت هناك ترصد حركة السيارات والباصات والدراجات المنتظمة والمشاة المتعجلين، صارمي الملامح باستثناء بعض السياح الذين وقفوا يلتقطون الصور التذكارية.

الألمان يفضلون التنقل بالدراجات مهما كان الطقس باردا توفيرا للنفقات واكتسابا للصحة

المركز الإسلامي الأم

على هامش مسابقة القرآن الكريم

يفضلون الدراجات

●وسائل مواصلات الألمان تخبرنا أنهم لا يفضلون قيادة السيارات الخاصة، بل الباصات ومترو الأنفاق وقطار الأنفاق والدراجات أيضًا، ليس لأن الضرائب باهظة على الممتلكات، ولكن لأنهم يريحون أعصابهم من القيادة ومن التفكير في موقف للسيارة، ويستغلون وقت المواصلة في القراءة أو سماع الموسيقى. ويستغلون المسافة من محطة وسيلة المواصلات العامة إلى أهدافهم في التريض فيسيرون بسرعة. وهناك قطاع كبير يندهش المرء له، إذ يرى فيه العجوز والشاب، المرأة والرجل، يحركون عضلات سيقانهم بالضغط على دواسات الدراجات ويمرون في طرق خططت لهم أو حتى في شوارع جانبية تحترمهم السيارات بجانبهم أو خلفهم، وبذلك يتريضون طول وقت رحلاتهم من وإلى أعمالهم أو أهدافهم الخاصة، كما أنهم يوفرون الوقود ويستغنون عن مواقف متسعة فيضعون دراجاتهم على جانب الطرق بكل فخر ووقار، ومهما كان الجو باردًا، كما لاحظنا وصول درجة الحرارة إلى سالب خمس درجات أوائل يناير، ومهما كانت الأمطار تسقط والسماء ترعد وتبرق، فلا شيء يقف أمام هؤلاء.. فقط يرتدون الملابس المناسبة ويمضون.. هذه امرأة عجوز تتعدى بالتأكيد السبعين من عمرها تمضي إلى جوار رجلها كل منهما على دراجة مفرودي الظهر مبتسمين للحياة، وهذا شاب يمضي بخفة ونشاط حاملاً أغراضه في سلة وضعت أمامه، والحياة تمضي بسرعة ربما هم أنفسهم لا يدركونها، فمن العمل إلى تطوير الذات إلى النوم إلى العمل.. كل هذا في جو عاطفي بارد شديد البرودة.. الجار لا يعرف جاره والابن لا يسأل عن أبيه أو أمه إلا في المناسبات، والوالدان يعرفان أن أولادهما بعد سن الثانية عشرة أحرار لن يكون لهما كلمة عليهم، وإلا فالشكوى من حق الابن ضد أبيه والدولة تهدد دومًا بسحب الأبناء من الآباء الذين لا يمنحونهم الحرية في تقرير مصيرهم بعد هذا السن.

دفء التدين

وحده الدين كان يبث هذا الروح وهذه العاطفة وهذا الدفء بين أفراد الجالية المسلمة في فرانكفورت.. البشاشة في الوجه والرقة في القلوب وربما هذا ما دفع شابًا مغربيًا قدم توًا من مدريد إلى المركز الإسلامي المصري بفرانكفورت.. لمحته بعد صلاة الظهر يتخذ جانبًا وينام، وبعد صلاة العصر سألته عن حاله فقال إنه فقد عمله في مدريد، والحالة بشكل عام تسوء في إسبانيا، ولذا قرر أن يأتي إلى ألمانيا لربما كان الوضع الاقتصادي أفضل.. حسن لم يكن معه المال الكافي لاستئجار غرفة في فندق أو حتى للإنفاق على المأكل والمشرب، وبمجرد أن علم ذلك الشيخُ مهدي مغربي أيضًا، قال: يا جماعة الخير الغداء عندي، من يأتي معي، وفهمت أنه يريد دعوة صاحبنا للغداء.. خرجت مجموعة في سيارة الشيخ مهدي إلى مطعم شاورما، يديره مغاربة أيضًا باحتراف، إذ يربون الأغنام ويذبحونها ذبحًا إسلاميًا.

بعدها دبر له إمام المسجد الشيخ عبدالرحمن مكانًا بعد إجراء اتصالات بمحام مصري يسكن بمفرده، وفي الوقت نفسه وعد بعض رواد المسجد عن فرص عمل مع إقرارهم أن الأمل في ذلك ليس كبيرًا.. ما يهمنا في كل هذا أن بعضًا من أبناء الجالية المسلمة على اختلاف بلدانهم تعاونوا على البر ومشوا في حاجة أخيهم المسلم وأشعروه بدفء المشاعر الأخوية.

الهيئات الإسلامية في ألمانيا

وفقا لموسوعة ويكيبيديا، يوجد في ألمانيا حوالي٤٠٠ هيئة ومؤسسة إسلامية، وعشرات من المراكز الإسلامية، التي توجد في معظم الدول الألمانية التي تهدف إلى توثيق الأخوة الإسلامية وتزويد المسلمين بالكتب الإسلامية، وفتح المدارس الإسلامية، وترجمة أمهات الكتب الإسلامية إلى الألمانية وإصدار الدوريات الإسلامية والحفاظ على الهوية الإسلامية كما يوجد في ألمانيا أكثر من ٣٠٠ مسجد منتشرة في المدن الألمانية الكبرى.

تحقيق

كسب الرزق من الدعوة.. نهي أم تفضيل؟

هالة عبدالحافظ - القاهرة : دار الإعلام العربية

مكانة في غاية الأهمية تحتلها الدعوة إلى الله في شريعة الإسلام، ذلك أنها تبليغ لرسالة الله سبحانه وتعالى إلى البشر كافة، فهي مهمة الرسل والأنبياء، ومن ثم العلماء ممن شرفهم الله بحمل لواء العلم الشرعي.. ولعظم الدعوة، فإنها تحتاج في كثير من الأحيان إلى تفرغ كامل من العبد الذي سخره الله لها، قد يشغله عن كسب الرزق والقيام بمسؤولياته الحياتية تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه.. فهل للدعاة أن يتحصلوا على رزق وأجر نظير دعوتهم.. وهل هناك تعارض بين الأحاديث التي توعدت آخذ الأجر على تعليم القرآن، وتلك التي وصفته بأنه أحق أجرًا؟

«من المقرر شرعًا أن الدعوة إلى الله مَهَمّةٌ تؤدّى احتسابًا لوجه الله».. بهذه الكلمات بدأ د.أحمد كريمة أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الأزهر، حديثه، موضحًا أن العلماء اختلفوا في الحصول على مقابل أو أجر لتعليم القرآن الكريم.. فقد روى البخاري - رحمه الله - عن ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «أَحَقُّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ»، فهذا الحديث يدل على جواز أخذ الأجر على تعليم القرآن الكريم، ومن ثم كل مهام الدعوة إلى الله، إلا أن هناك أحاديث أخرى تحذّر من ذلك، ومنها ما رواه الإمام أحمد، رحمه الله، في مسنده أن رسول الله ﷺ قال: «اقرأوا القرآن واعملوا به، ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه، ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به».. وروى البيهقي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أخذ على تعليم القرآن قوسًا، قلده الله قوسًا من نار يوم القيامة»، وروى أبوسعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تعلموا القرآن، وسلوا الله به الجنة، قبل أن يتعلمه قوم، يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة: رجل يباهي به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرأه لله».

كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(الشورى:٢٤)، فإبلاغ الرسالة على وجهها الصحيح من سادتنا من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، تؤدى دون أجر دنيوي، أي من قبيل «الاحتساب».

إلا أن بعض أهل العلم كالحنفية أجازوا أخذ الأجر لمن يرغب وكانت به حاجة أو فاقة مقابل «احتباس الوقت» أو لمن تفرغ لهذا العمل، كأنها من قبيل الوظائف الدينية، لكن يأكل بالمعروف أي يأخذ الأجر بالمعروف دون إثراء على حساب الدعوة وأموال المسلمين، كمن يأكل من مال اليتيم الذي يتاجر له به.

واستطرد قائلًا: وللأسف فإن التكسب والإثراء وتكوين ثروات صارت عند بعض ضعاف النفوس، ومعظمهم غير مؤهل للدعوة الإسلامية، فلا يحملون مؤهلات شرعية معتمدة، وهؤلاء حسابهم عند الله عسير، لأنهم يتاجرون باسم الدين، وجعلوا من الدعوة وسيلة سريعة لتكوين الثروات وحياة البذخ، والأمثلة على ذلك معروفة ومشهورة، وهؤلاء أبعد الناس عن صحيح الدين، يتكلمون في الورع وهم أبعد الناس عنه، ويقرأون القرآن لا يتجاوز حناجرهم، ويدعون إلى كتاب الله وهم ليسوا منه في شيء.. لافتًا إلى ضرورة التصدي بحسم لمن يتاجرون بالدعوة الحق، ويسيئون إليها بالطمع والجشع ويفقدونها جلالها.

تأويل الأخبار

وتوافقه الرأي أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر د.آمنة نصير، موضحة: الدعوة إلى الله لها شروط وثوابت، فلابد أن يكون الداعية عالمًا بالشيء الذي يدعو إليه، واستخدام الحكمة والموعظة الحسنة واللين في الدعوة،

والبعد عن التعصب والتشدد والتزمت في الآراء، ولابد أن تكون سلوكاته وتصرفاته متوافقه مع شرع الله..

وفي مسألة الأجر لابد أن نفرق بين الداعي خريج جامعة تخصصية سواء كان في أصول دين أو شريعة، وحصل على وظيفة من قبل الدولة في هذا الشأن، فهذا يعد أمرًا طبيعيًا، والآخر الذي يتكسب من وراء الدعوة وهو غير متخصص فيها، وشتان الفرق بين التكسب والحصول على مرتب نظير عمل منوط به.

عبدالفتاح إدريس

فوزي الزفزاف

لافتة إلى أننا اليوم نفتقر إلى مؤسسات مالية كبرى قائمة على شؤون الدعوة والدعاة، مثل النظام الاقتصادي الدقيق الذي ابتكرته الحضارة الإسلامية لتنظيم الموارد والمصاريف الخاصة بشؤون الدعوة، كبيت المال الذي كان لوجوده غاية نبيلة. وكان لابد أن يتطوّر في العصور المتتابعة، لكن هذا لم يحدث، فبعدما كانت الأوقاف تكرم صاحب الفكر والدعوة، وتوفر له حياة كريمة، قضي على أموال الأوقاف التي كانت تنفق على المؤسسات الخيرية والدينية، وكانت تمنح تلك المؤسسات القوة في التعامل، أما الآن فتأثرت قدرتها على إعطاء الكرامة لمن يتصدى للدعوة.

واتفقت د.نصير، مع ما قاله بعض العلماء بشأن أجر الدعوة، موضحة أن أخذ الأجرة على تعليم القرآن له حالات، فإذا كان في المسلمين غيره ممن يقوم به حلّ له أخذ الأجرة عليه لأن فَرْض ذلك لا يتعيَّن عليه، وإذا كان في حال أو في موضع لا يقوم به غيره لم تحل له الأجرة، وعلى هذا يؤوّل اختلاف الأخبار فيه.

خير تكليف

بدوره، يؤكد الشيخ فوزي الزفزاف وكيل الأزهر الأسبق، وعضو مجمع البحوث الإسلامية، ضرورة التفريق بين الداعية الحر والداعية المكلف، فمن

> بعض أهل العلم كالحنفية أجازوا أخذ الأجر مقابل «احتباس الوقت» أو التفرغ

> يجب التفريق بين الداعية الحر والداعية المكلف والطفيليين

يقوم بالدعوة إلى الله من خلال تعليم وتحفيظ القرآن، ومن خلال العلاج بالرقية الشرعية، أو تلاوة القرآن، أو الاستضافة في برامج، أو السفر لنشر الدعوة أو غير ذلك من شؤون الدعوة إلى الله فهو داعية حر، يرتزق من علمه ومجهوده، فلا غبار في ذلك، مادام عالمًا بفقه دينه، وحافظًا لكتاب الله، ومستوعبًا للمواد الفقهية التي يتحدّث فيها.

وعن الداعية الموظف قال الزفزاف إنه مكلف من قبل الدولة بأداء عمل معين، كخريجي الجامعات الأزهرية، وأصول الدين، والعلوم الدينية والفقهية، وغيرها من التخصصات، فالاختلاف بين المسميين هو التكليف، فإذا كان الثاني بتكليف من الدولة، فالأول بتكليف من الله.

موضحًا أن هذه الأعمال خير ما تُبذل فيها الجهود والطاقات، وهو نشر الدين بأسلوب ميسر للعامة والخاصة، فهي نعمة من الله، وملكة خص بها البعض، سواء كانوا أهل تخصص أم اجتهدوا في العلم والتعلم من كتاب الله، فهي نعمة كلف الله بها أمته كما قال في كتابه الكريم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(آل عمران:١١١).

مسلك مشروع

أما د.عبدالفتاح إدريس أستاذ الفقة المقارن بجامعة الأزهر، فيؤكد أن الداعي إلى الله هو من يبينُ للناس الحلال والحرام، ومن يدعو الناس للالتزام، ويدعو غير المسلمين إلى الإسلام.. ومن الممكن أن يكون موظفًا من قبل أي جهة أو وزارة معينة وينقطع عن كسب عيشه في مقابل هذه الوظيفة، وفي هذه الحالة من حقه أن يحصل على أجر مقابل انقطاعه لأداء أعمال هذه الوظيفة المنوطة له.

وهناك دعاة متطوعون لا يرغبون إلا ابتغاء رضوان الله، ولا يحصلون على أجر من الخلق، إنما ينتظرون الحصول على الأجر من الخالق.. مؤكدًا أن كليهما مسلكه مشروع، لأنه اكتسب من أداء عمل، لكن الداعية المتطوع لم يفرض عليه أحد أن يحبس ذاته لأداء هذه المهمة، لذلك هو يؤديها بناءً على اختيار حر يتم في أي وقت وأي مكان، وليس هناك من يجبره على أداء هذا العمل في توقيت أو مكان معين، لأنه لا ينتظر ماديات، إنما ينتظر جزاءه من الخالق، وكلاهما أمله مشروع.

أما فيما يخص حفظه القرآن والعلاج بالرقية الشرعية فهو أمر مشروع وفقًا لقول الرسول الكريم ﷺ: «إن أحق ما أخذت عليه أجرًا هو كتاب الله»، لكن من الممكن أن يستغل هذا الأمر من غير المؤهلين، مثل من لا يحسن عمل الرقية، ففي هذه الحالة أجره مرفوض شرعًا.

نحو وعي إسلامي بدراسة التاريخ وتفسيره

التاريخ عند المسلمين (١)

د. أحمد خليل الشال
عضو لجنة السيرة والتاريخ الإسلامي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف - مصر

الغرض من هذه السلسلة: التوعية بأهمية علم التاريخ، وأصوله، وأهم أهدافه، والغرض من دراسته مع بيان كيفية قراءته وإعادة تفسيره وفق آليات التحقيق المنهجي الصحيح، مع عرض لأبرز حقب تاريخ الأمة المشرق، وما ألَمّ به من محن ومنح، نستلهم من ذلك كله العبر والعظة، وذلك أمر يشق على غير المتخصص، فأردت أن أعرضه في صورة سهلة سلسة بعيدًا عن التعقيد الأكاديمي المتخصص بهدف توسيع الإدراك العام وترسيخ الفهم الصحيح بهذا العلم الخطير وما يتصل به من عقائد وأفكار ومذاهب شُوّهت تحت وطأة التغريب الذي تعيشه أمتنا منذ مطلع عصر النهضة الأوروبية في العصر الحديث.

فإن قراءة تاريخ أمة الإسلام من واجبات المسلم التي حث عليها الإسلام ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾(الأحزاب:٢١)، وقال:﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٦)، خاصة في هذا الزمان الذي ابتعد فيه كثير من المسلمين عن جذورهم، بسبب إهمالهم تاريخ آبائهم وأجدادهم، حتى عصفت ريح التغريب القاصف بكثير من شبابهم، فَضَلّ كثير منهم في تيه (العولمة)، وفضاء (الثقافة العالمية)، و(القرية الواحدة).. وما ذلك إلا بسبب التفريغ الذي يعيشه شباب هذه الأمة ببعدهم عن تاريخها بكل ما فيه من حُلْو يُقتَدَى به، ومُرّ يُتَعلّم منه التجربة فيُتّعَظ به.

ولا ريب أن قراءة هذا التاريخ بغير معرفة لأصوله ومنهاج أصحابه فيه ستؤدي بصاحبها إلى نتائج مشوهة، يزيد من ذلك أغراض المغرضين، وعبث العابثين، الذين هم كما وصفهم الله تعالى: ﴿لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ (آل عمران:١١٨)، وما أكثر أذاهم بتاريخنا، حين كذبوا، ووضعوا، وحَرّفوا، ثم فسروا بهواهم وشوهوا، وشنّعوا، جاهلين أو متعمدين. فواجب علينا نحن المسلمين تنقية صورة هذا التاريخ لأجيالنا القادمة، وأهم ما أراه من صميم مهمتنا في هذا الباب، هو إعادة قراءته وتفسيره وفق أصول وقواعد أهله التي اصطلحوا عليها، ووفق معطيات ثقافتهم ولسانهم ودينهم، لا وفق معطيات ثقافة غيرهم ودين غيرهم.. وإلا كنا ظالمين لهم أن حكّمنا تاريخهم إلى غير دينهم ولسانهم وثقافتهم ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران:٥٧).

فأسأل الله عز وجل أن ينفع بهذه المقالات قارئها، وأن يكتب لها القبول، ولصاحبها الإخلاص.

لم تعرف أمة من الأمم ما كان لأمتنا من عز تراثها، وحفظ دينها الذي تكفل به رب العالمين في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩). فأنزل الكتاب على نبيه بشيرًا ونذيرًا ، وآتاه مثله معه ليبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون، حتى إذا استوفى أجله ﷺ، وبَلَّغَ رسالته، خَلَفَ من بعده خَلْفٌ وَرِثوا هذا الدين، فلم يُقَصِّرُوا هم كذلك في رسالتهم، فَدَوَّنُوا ، وصَنَّفُوا، وأبدعوا، حتى خَلَّفُوا لنا بدورهم تراثًا عزيزًا، أفصح عن حضارة عظيمة، كان أكثر ما يميزها ارتباطُها الوثيق بكتاب ربها ، وسنة نبيها ﷺ، ذلك أنهم لم يذهلوا عن المهمة التي أوجدهم الله من أجلها ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، فكانت هذه المهمة واضحة في كل ما عَلَّموه وتعلموه وأبدعوه وصنفوه من هذا التراث العزيز، وكان هذا هو الأصل الذي قامت عليه حضارتهم ولسانُ حال كلّ واحد منهم ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:١٦٢)، باعثُهم إلى ذلك كله قولُه تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران:١١٠). ولم يتهاونوا في أداء أمانتهم التي حُمِّلُوها، فكانوا جنود الله لحفظ هذا الدين. فَفَرَّعُوا علومه، وصنفوا دواوينه، ولقد علمت الدنيا فضلهم، ولم ينتظروا من أحد جزاء ولا شكورًا.

ولقد كانت هذه الحضارة نتاجَ ليالٍ وأيام، وما التاريخُ إلا لياليَ وأيامًا. فلا شك بعد ذلك أن يكون علمُ التاريخ وعاءَ هذه العلوم جميعًا، فيصير لها أبًا يحتويها جميعًا ليصبح هو لسانَ حضارتها الشامخة ومرآتها، مُشَرِّفًا بشَرَف حَمْله. فما من علم إلا وحاجته إلى التاريخ ماسّة.

وقد أدرك سلفُنا هذا الأمر، فالتاريخ عندهم هو مرآةُ الزمان، وتاريخ الرسل والملوك، والبدايةُ والنهاية، وزاد المعاد.. كان التاريخ عندهم الدنيا والآخرة، فحفظوا به سنةَ نبيهم ﷺ، وشرعَ ربهم جل وعلا، مستنبطين أصولَه وغاياته من الكتاب العزيز ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ...﴾ (يوسف:١١١)، فعلمنا منه أسبابَ النُّزول، والناسخَ والمنسوخ، وأفعالَه وأحكامَه ﷺ في حربه وسلمه، وفقهَ الصحابة والتابعين، وأعمارَ المحدثين، وعقيدةَ أهل الجاهلية والإسلام، وأدبَ الأئمة الأعلام، وأخلاقَ ذوي المروءات، وفي كل ذلك عبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وهكذا، كان باعث أسلافنا الأُول لكتابة التاريخ حفظُ الدين.

كان منهاج المسلمين في كتابة التاريخ يختلف اختلافا بيّنًا عن مناهج الحضارة الحديثة التي كان باعثُها عند أهلها يختلف تمامًا عما كانت عليه مناهجُ أسلافنا الأُوَل، والتي كان من أبرز سماتها ـ أعني مناهج الحضارة الحديثة ـ الفصل التام الذي باعد كثيرًا بين علوم وعلوم بزعم التخصص! وهذا أمر لم يعرفه أكثر القدماء عند نظرهم في علومهم التي ندرسها الآن، وخاصة المؤرخين منهم، فهم كما كانوا مؤرخين، فقد كانوا أيضًا محدثين، وفقهاء، ومفسرين، وأدباء.. وهم حين كتبوا تاريخهم لم يكونوا بمَعْزِل عن هذه العلوم التي أثّرَت تأثيرًا واضحًا فيما كتبوه أصلا وغاية، فكيف ندرس تاريخهم بعد ذلك مُجَرّدًا من هذه السمة التي غلبت عليهم !

إن أجدادنا الأول لم يعرفوا هذا العلم ـ يعني التاريخ ـ من وجهة نظرنا المعاصرة، ولم يكتبوه بمنهاجه كذلك، وإنما من وجهة نظر دينية خالصة لحفظ هذا الدين كما ذكرنا آنفًا، كان باعثُهم الأول إليه علمُ الحديث والسنة.

ولكن لم يسلم هذا الأمر لأهله حتى اقتحمه من لا خلاق له من أهل الأهواء والبدع، فانتشر الكذب على رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، وكان أصحابُ لواء هذا البلاء القُصّاصَ والأخباريين، فما كان لأهل الصدق من سبيل في مواجهة هذا المد الجارف إلا أن وضعوا من الضوابط للرواية ما عصم الله به دينَه من التحريف والتزوير، وهو علم الإسناد الذي صار عَلَمًا على أهل الحديث دون غيرهم، وهم أهل الصدق. وعليه فإنه لا تستقيم دراسة التاريخ عند المسلمين إلا بامتلاك هذه الأمور، فينبغي لمن يدرس التاريخ أن يتحقق من مروياته، أو يقرأ ما كتبه المحققون حتى لا تزل قدمه في هذا الميدان فيَضل ويُضِل. ولهذا حديث يأتي تفصيله وبيان أمره تباعًا فيما يأتي إن شاء الله.

الكاتب في سطور

– ليسانس آداب، جامعة المنصورة قسم التاريخ.
– دبلوم خاص في الدراسات الإسلامية ـ وداخل فيها قسم التاريخ الإسلامي ـ من كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، سنة ٢٠٠٣م. (الأول على الدفعة).
– تمهيدي ماجستير في قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، من كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، سنة ٢٠٠٤م. (الأول على الدفعة).
– درجة الماجستير، في قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، من كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، سنة ٢٠٠٧م، بتقدير ممتاز. وموضوعها: رياض الأُنس لعقلاء الإنس، في السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء تحقيق ودراسة.
– درجة الدكتوراه في قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، من كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، سنة ٢٠١٢م، بتقدير مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة، وموضوعها: أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره نماذج من الخلافة الراشدة
أبرز الأعمال والمؤلفات العلمية والبحثية:
١– حوار على مائدة الحقيقة: كتاب يبحث في تاريخ العقيدة الإسلامية. صدر في السنة النهائية من الليسانس. سنة ١٩٩٩م.
٢ – حكم قراقوش، بحث في التاريخ الإسلامي يبحث في شخص الأمير قراقوش، نشرته الدار الذهبية بالقاهرة سنة ٢٠٠٠م.
٣ – أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح، بحث محكّم فاز بالمركز الثاني على مستوى الجمهورية في مسابقة مؤسسة إقرأ الخيرية، في فرع التراجم الإسلامية، سنة ٢٠٠٠م، نشرته الدار الذهبية بالقاهرة سنة ٢٠٠١م.
٤ – الليث بن سعد، بحث محكّم فاز بالمركز الثاني على مستوى الجمهورية في مسابقة مؤسسة إقرأ الخيرية، في فرع التراجم الإسلامية، سنة ٢٠٠١م.
٥ – كتاب جمهرة تصانيف العرب، دليل الباحث إلى المطبوع من تراث العرب حتى القرن الرابع الهجري، مجلد في أكثر من ٥٠٠ صفحة. نشرته مكتبة السنة ببورسعيد سنة ٢٠٠٩م.
٦ – تاريخ أبي سعيد هاشم بن مرثد الطبراني، تحقيق. نشرته مكتبة السنة ببورسعيد سنة ٢٠١٠م.
٧ – علم التاريخ عند المسلمين. كتاب أكاديمي متخصص يعارض كتاب علم التاريخ عند المسلمين للمستشرق فرانز روزنثال، يقع في أكثر من ٣٤٠ صحيفة، صُنف بغرض أن يكون مرجعًا لطلاب الدراسات العليا على وجه الخصوص.
٨– التاريخ في الإسلام، وهو مختصر للكتاب السابق أردتُ به تقريب محتواه لطلاب النقل وعامة الناس من غير المتخصصين.

تبوح بمفردات الحضارة السعودية
أضم.. مدينة الحصون والقلاع

دار الإعلام العربية - القاهرة

قد لا يعرف كثير من السعوديين أن وطنهم الغالي يحظى بمدينة أثرية تتوفر على العديد من الحصون والقلاع الأثرية، والتي تحكي نقوش جبالها ورسومها مفردات لتتابع الحضارات على اختلاف مراحلها.. هذه هي مدينة «أضم»، التي عرفت قديمًا باسم «إضم» (بكسر الألف) وتعني الوادي الذي يضم المياه بين جنباته في فصل الجفاف، ومع مرور الزمن حرفت الكلمة فأصبحت تنطق بفتح الألف «أضم»، وهي مدينة تضم العديد من المناطق السياحية والأثرية.. احزموا حقائبكم، وتعالوا نتعرف عليها.

في الجنوب الغربي لمدينة الطائف تقع مدينة «أضم» على امتداد خطوط الطول (٤٥-٤٠,٤١) وخطوط العرض (١٥-٢٠,٣٠-٢٠)، وتتبع إداريًا محافظة «الليث» التابعة لإمارة منطقة مكة المكرمة، وتبعد عن مدينة «الليث» نحو ١٦٠كم، كما تبعد عن مدينة جدة بنحو ٣٧٠كم (منها ٢٧٠ كم على طريق الساحل في اتجاه الجنوب الشرقي ثم ١٠٠كم شرقًا ثم شمالاً). وتتوفر المدينة على العديد من

تقع ضمن نطاق سلسلة جبال تهامة وتتخللها عديد من الأودية.. وأشهر مواقعها شوى وبيضان والعشرات

المعالم الأثرية والمواقع السياحية بحكم موقعها الجغرافي المتميز، حيث تتعدد المتنفسات السياحية إلى جانب ما تحويه بين جنباتها من معالم أثرية تشد الانتباه، كتلك الحصون المشيدة بطرق معمارية لافتة للانتباه، مختلفة الأشكال والأحجام في أعلى قمم الجبال.

المناخ والطبيعة الجغرافية

تحظى المدينة بمناخ حار صيفًا ودافئ شتاءً، كما تتساقط الأمطار في فصل الشتاء وأحيانًا في فصل الصيف.. أما بالنسبة إلى الطبيعة الجغرافية، فالمنطقة جبلية وعرة، تقع ضمن نطاق سلسلة جبال تهامة، ومن أشهر الجبال الموجودة بها «حبينة»، «العلنصة»، «عقف».. كما تتخللها العديد من الأودية، أهمها وادي أضم، حيث يحد المدينة من الجنوب الشرقي، ووادي العرج الذي يحدها من ناحية الغرب، ووادي الجائزة الذي يحدها من الجنوب.. وتتوفر المدينة على العديد من المناطق السياحية، خاصة في حلية والفرع وشوى وبيضان والعشرات، والتي تعتبر متنفسات سياحية متميزة، إلى جانب ما تحويه بين جنباتها من معالم أثرية تشد انتباه الزائر بكثرة قلاعها وحصونها المشيدة بطرق معمارية لافتة للانتباه، مختلفة الأشكال والأحجام تقع في قمم الجبال تبعًا لمهمتها الأساسية كأبراج مراقبة في العصر القديم، وتحتوي على رسومات ونقوش أثرية مازالت تحتفظ بألوانها حتى يومنا هذا، وهي دليل واضح على تتابع الحضارات السابقة.

أهم الآثار السياحية والأثرية

من أهم الآثار السياحية والأثرية لمدينة أضم:

● غار خشيشان: يقع بين قرية الحضبة وسوق أضم الأثري، وهو كهف صخري يوجد به وعول منقوشة بلون أحمر، وهي مادة غير معروفة استخدمت للنقش.

إذا أردت أن تتعرف إلى شعب «أضم» على اختلاف أنماطه وثقافاته فاتجه مباشرة إلى سوق الثلاثاء القديم

● صخرة أبوالنقور: صخرة فوق تل صغير بها نقوش تشبه الحروف «الحميرية» يعتقد أنها من آثار القوافل التي كانت تمر بهذا الموقع، متجهة من وإلى اليمن، وقد اكتسبت التسمية من هذه النقوش.

● حصن المشيد: مبني من الحجر على تل يحيط به دور قديمة، يتكون من طابقين، يظهر الطابق العلوي في حلة جميلة مطرزة بحجارة المرو ليشكل مثلثات.

● حصن زربان: يتكون من طابقين، الطابق العلوي مطرز بحجارة المرو التي جعلته يبدو في فن معماري متقن، كما يتخلله فتحات جعلت من أجل المراقبة، حيث إنه يطل على المدينة من جميع الجهات.

● غار الرويحة: صخرة ضخمة يتوسطها كهف متوسط العمق على ضفة وادي العرج، به بعض النقوش القديمة المختلفة، بعضها يشبه الحروف «الحميرية»، والبعض الآخر يشبه الكف والقدم، ويبدو أنه سمي بهذا الاسم لكونه مكانًا مناسبًا للراحة من عناء المسير.

● حصن ملحة: حصن ضخم استخدمت في بنائه حجارة كبيرة عليها بعض النقوش، يتكون من طابقين يتخلل الطابق العلوي بعض الفتحات الصغيرة التي كانت تستخدم لمراقبة العدو، وقد تهدّمت بعض أجزائه العلوية.

● عيلان: يقع في قرية «الفرع» ويتكون من دورين، يتميز بطابع معماري فريد، وتنتشر حوله مجموعة من القلاع الصغيرة استخدم بعضها كمخابئ من الأعداء، وبعضها استخدم كمخازن.

سوق الثلاثاء القديم

أما إذا أردت أن تتعرف إلى شعب «أضم» على اختلاف أنماطه وثقافاته، فليس أفضل من سوق الثلاثاء القديم لتتعرف الصورة على واقعها، حيث يعتبر من أقدم الأسواق الشعبية في جنوب الطائف، وتذكر المصادر التاريخية أنه يعود إلى القرن الحادي عشر الهجري، أي: أكثر من ٣٠٠ عام، ومازالت هذه السوق تقاوم الزمن، وتعتبر مكانًا لتجمع القبائل العربية، وتحتوي على كل ما يتمناه الناس في ذلك الزمن، مثل الأسواق العربية القديمة.. وعلى الرغم من مرور السنوات وانتقال السوق إلى مكان قريب من القديم فإن السوق القديم مازالت تقاوم الأيام والسنين، فلم تفقد إلا أشياء بسيطة بسبب عدم وجود ترميم للسوق القديم.

جبل عقف

يعتبر جبل «عقف» من الجبال الشاهقة التابعة لسلسلة جبال السروات التي تشكل الدرع العربي، وهو قمة شاهقة ترتفع أكثر من ٣٠٠٠ متر عن مستوى سطح البحر، لا يفصله عن شواطئ البحر الأحمر بمحافظة الليث سوى سهل تهامة قرابة ٣٠ كم فقط، وتستطيع رؤية البحر الأحمر من قمة هذا الجبل، الذي كانت تسكنه قبيلة بني هلال، وعلى سفحه الواسع تقع العديد من القرى والمزارع والآبار التي مازالت تنضح مياهها.

أضم في سطور

× تقع مدينة أضم في الجنوب الغربي لمدينة الطائف، وتتبع إداريًا إمارة منطقة مكة المكرمة.
× تبلغ مساحتها ٢٠٠ كم٢.
× يبلغ عدد سكانها ٤٠ ألف نسمة.
× عدد القرى التابعة لها أكثر من ٦٠ قرية.
× يسكن المدينة قبائل بني مالك البالغ عددهم ١٣ قبيلة.

إعداد : محمود محمد الكبش
باحث بوحدة البحث العلمي في إدارة الإفتاء

مستند الفتوى وأصلها:

ممّا تميّزت به الشّريعةُ الإسلاميّةُ: متانةُ قواعدها، وَجُودة إسنادها؛ فلا تكاد تجِد شيئًا من أحكامها إلّا وله مبنىً وقاعدة يَتّكِئُ عليها، أو سندٌ يتّصل فيه بالمشرّع.

ومن ذلك الفتوى؛ فإنّها لمّا كانت في المنزلة العليّة، والمرتبة الربّانيّة الرّفيعة.. جاءَت مستندةً على أُسُس متينة، وقواعدَ شرعيّة عظيمة، فَلَمْ تَتْرُك المجالَ للمفتي لِيَأخذَ بما شاء، وكيف شاءَ، بل جاءت الشّريعة بتنظيم مستَنَد الفتوى والأحكام كي تكونَ شَرعيّة معنىً ومبنى.

وهذا المستند الذي دَعَتْ إليه الشّريعة، وحَرَصَ على بيانه وضرورته علماؤُنا هو أصلُ الفتوى ودليلُها. فالمفتي لا بدّ أنْ يبنيَ فتواه على أصولِ مذهبِه المقرّرة عند العلماء.

روى الخَطيب البغدادي رحمه الله عن إياس بن معاوية -رحمه الله- أنّه قال: «إنّ البناءَ إذا بُنِيَ على غيرِ أُسّ لم يَكَدْ يعتدل». قال الخطيب البغدادي -رحمه الله- بعد روايته هذه: «يريدُ بذلك المفتي الذي يتكلّمُ على غير أصلٍ يبني عليه كلامَهُ». «الفقيه والمتفقه»: (٢/٣٨٩).

وقال الحافظ ابن عبدالبر -رحمه الله-: «وأمّا المُفْتُون، فغير جائز عند أحد ممّن ذكرنا قولَه، لا أن يفتي ولا يقضي حتّى يتبيّن له وجهُ ما يفتي به من الكتاب أو السُّنّة أو الإجماع، أو ما كان في معنى هذه الأوجه». «جامع بيان العلم وفضله»: (٢/١٦٢).

وقال الإمام القرافي -رحمه الله-: «فإنّ الفتوى بغير مستند مُجمَعٌ على تحريمها». «الفروق» (٢١/١٤٠).

والمستَنَدُ الذي نتحدث عنه هو المصادر الشّرعيّة المعتمَد عليها في

فتاوى الوعي

قرار مجمع الفقه الإسلاميّ برقم (٦) د ٤/٨٨/٠٨ بشأن «بدل الخلو» جاء فيه ما يلي:

أولًا: تنقسم صور الاتّفاق على بدل الخلوّ إلى أربع صور هي:

١- أن يكون الاتّفاق بين مالك العقار وبين المستأجر عند بدء العقد.

٢- أن يكون الاتّفاق بين المستأجر وبين المالك، وذلك في أثناء مدّة عقد الإجارة، أو بعد انتهائها.

٣- أن يكون الاتّفاق بين المستأجر وبين مستأجر جديد، في أثناء مدّة عقد الإجارة، أو بعد انتهائها.

٤- أن يكون الاتفاق بين المستأجر الجديد وبين كلّ من المالك والمستأجر الأوّل قبل انتهاء المدّة، أو بعد انتهائها.

ثانيًا: إذا اتّفق المالك والمستأجر على أن يدفع المستأجر للمالك مبلغًا مقطوعًا زائدًا عن الأجرة الدوريّة -وهو ما يسمّى في بعض البلاد خلوًا- فلا مانع شرعًا من دفع هذا المبلغ المقطوع على أن يعد جزءًا من أجرة المدة المتفق عليها، وفي حالة الفسخ تطبق على هذا المبلغ أحكام الأجرة.

أمّا إذا انقضت مدة الإجارة، ولم يتجدّد العقد صراحة أو ضمنًا عن طريق التّجديد التّلقائيّ حسب الصّيغة المفيدة له.. فلا يحلّ بدل الخلوّ، لأنّ المالك أحقّ بملكه بعد انقضاء حقّ المستأجر.

ثالثًا: إذا تمّ الاتّفاق بين المستأجر الأوّل وبين المستأجر الجديد في أثناء مدّة الإجارة على التّنازل عن بقيّة مدّة العقد، لقاء مبلغ زائد عن الأجرة الدورية، فإنّ بدل الخلوّ هذا جائزٌ شرعًا، مع مراعاة مقتضى عقد الإجارة المبرم بين المالك والمستأجر الأوّل، لأنّ كثيرًا من عقود الإجارة تنصّ على أنّه لا يجوز للمستأجر إيجار العين لمستأجر آخر، ولا أخذ بدل الخلوّ فيه، إلّا بموافقة المالك فلابدّ من التقيّد بذلك.

رابعًا: إذا تمّ الاتفاق بين المستأجر الأوّل وبين المستأجر الجديد بعد انقضاء المدة فلا يحل بدل الخلوّ، لانقضاء حق المستأجر الأوّل في منفعة العين، والله أعلم.

رفع الإيجار بدلًا من الخلوّ.

رقم الفتوى: (٢٦٧)، لعام (١٩٨٣م)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت من «شركة تجاريّة» الاستفتاء التالي، ونصُّه:

استخراج الفقه الأحكام الشّرعيّة، وهي كثيرة عند العلماء، منها ما هو متّفق عليه، ومنها المختلَف فيه بين أهل العلم من حيث اعتباره دليلاً من عدمه.

والأدلّة هي: القرآن، والسُّنّة النبويّة، والإجماعُ، والقياس، وأقوال الصّحابة وفتاويهم، والمصالحُ المرسلة، والاستصحاب أو البراءة الأصلية، وسدُّ الذرائع، والعرف، والاستحسان، وشَرْعُ مَن قَبْلَنا، وغير ذلك.

وتتفاوت وجهات النّظر عند الأخذ بهذه الأدلّة في المذاهب الأربعة، تقديمًا وتأخيرًا، وإعمالاً وإطراحًا، بحسب اجتهادات علماء المذاهب.

■ ترتيب الأدلّة الشّرعيّة عند أصحاب المذاهب الإسلاميّة المعتبرة:

فترتيبُها عند الحنفيّة على الشّكل التّالي: القرآن الكريم، ثمّ السُّنّة النّبويّة، ثمّ أقوال الصّحابة، ثمّ الإجماع، ثمّ القياس، ثمّ الاستحسان، ثمّ العُرْف.

وعند المالكيّة: القرآن الكريم، ثمّ السُّنّة النّبويّة، ثمّ الإجماع، ثمّ إجماع أهل المدينة، ثمّ القياس، ثمّ قول الصّحابي، ثمّ المصلحة المرسلة، ثمّ العُرْف والعادة، ثمّ الاستصحاب، ثمّ الاستحسان، ثمّ سد الذرائع.

وعند الشّافعيّة: القرآن الكريم، ثمّ السُّنّة النّبويّة، ثمّ الإجماع، ثمّ قول الصّحابي الذي لا مخالفَ له، ثمّ اختلاف الصّحابة، ثمّ القياس.

قال الإمام الشّافعي: «والعلم طبقات: الأولى: الكتاب والسُّنّة إذا ثَبَتَت السُّنّة. والثّانية: الإجماع فيما ليس فيه كتاب ولا سنة. والثّالثة: أن يقول بعض أصحاب النّبيّ ﷺ ولا نعلم له مخالفًا منهم. والرّابعة: اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم. والخامسة: القياس على بعض هذه الطبقات. ولا يصار إلى شيء غير الكتاب والسُّنّة وهما موجودان، وإنّما يؤخذ العلم من أعلى». اهـ. «الأم»: (٧/٢٦٥).

وعند الحنابلة: القرآن الكريم، ثمّ السُّنّة النّبويّة، ثمّ فتاوى الصّحابة، ثمّ الإجماع، ثمّ القياس، ثمّ الاستصحاب، ثمّ المصالح المرسلة، ثمّ سدُّ الذرائع.

ومع اختلاف المذاهب في التّرتيب بين هذه الأدلّة إلّا أنّ النّصّ من الكتاب والسُّنّة مقدّمٌ على غيره بالاتّفاق، ويليه الإجماع كذلك.

«نحن مقبلون على بناء مجمع تجاري بإحدى مناطق الكويت، وكما تعلمون أن فكرة التأجير بطريقة الخلوات منتشرة، وحيث إنّ نظام شركتنا الأساسي ينصّ على تطبيق الشّريعة الإسلامية، فإننا نسأل عن مدى تمشي نظام الخلوّ والشريعة الإسلامية. وهل يمكننا ترك الخلو والاستعاضة عنه بزيادة القيمة الإيجاريّة مثلاً، وفي حال إذا كان هذا أو ذاك مخالفًا للشريعة الإسلاميّة، فما هي الطريقة المثلى التي تقترحونها، والّتي تحقّق لنا العائد المناسب، ويقرّها ديننا الحنيف؟»

أجابت اللجنة بما يلي:

إنّ الاستعاضة عن الخلوّ برفع القيمة الإيجاريّة أمرٌ جائز، ويجري على البدل كلُّ أحكام الأجرة، بحيث لو فَسَخَ العقد يستردّ المبلغ المقدّم الذي يخصّ الفترة الباقية. والله أعلم.

أخذ المستأجر الخلوّ

رقم الفتوى: (٢٩٧٠)، لعام (١٩٩٤م).

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي، ونصُّه:

«حيث إنّه يكثر في مجال العمل التّجاري بالوقت الحاضر، أن يطلب كثير من أصحاب العقارات مبلغًا من المال من أي مستأجر يريد استئجار عين محدّدة في موقع تجاري جيّد، وهو ما يتعارف على تسميته بـ«الخلو»، وكذلك قد يسعى أي مستأجر لمحلّ أو معرض أو مكتب تجاري في موقع ممتاز، أن يتنازل عن استئجاره لهذه العين لغيره ممّن يرغب في استئجارها، في مقابل أن يتلقى منه مبلغًا محدّدًا من المال، على سبيل ما يسمى بـ«الخلوّ»، فيرجى إفادتنا عن الحكم الشّرعيّ في مثل هذا التّعامل، وهل هناك صور منه تعتبر جائزة، وأخرى غير جائزة، مع أدلّة ذلك إن أمكن».

أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز لمالك العقار أن يأخذَ من المستأجر مبلغًا من المال باسم «قفليّة» أو «خلوّ» أو غير ذلك، ويُعدّ ذلك أجرة عن الفترة الأولى، ثمّ يكون الإيجار أقلّ من ذلك عن الفترات الأخرى حسب الاتفاق.

كما يجوز للمستأجر أن يأخذ من مستأجر آخر أي مبلغ من المال عند تنازله له عن المأجور، فيما بقي له من مدّة الإجارة كما تقدّم في المالك، وذلك لامتلاكه منفعة المأجور المتنازل عنها مدّةَ عقدِ الإجارة، هذا ما لم تكن فترة إجارته قد انقضت قبل ذلك، فإذا كانت مدّة إجارته قد انقضت قبل ذلك فلا يحلّ له أخذ شيء مما تقدّم، لأنّه يصبح أخذًا للمال بلا مقابل، والله أعلم.

الوعي نت

إعداد : خالد محمد

٤٠٠ مليار تفاعل اجتماعي على «فيس بوك»

كشفت الشبكة الاجتماعية «فيس بوك» عن رقم مهم جديد وهو ٤٠٠ مليار تفاعل أو حدث جرى على ما يسمى بـ Open Graph.

وتعرف «فيس بوك» الـ Open Graph على أنه التفاعل الذي يقوم به المستخدم على أعلى مستوى، وبكلمات أبسط يعني أي تفاعل اجتماعي مع المحتوى، كالإعجاب، المشاركة، قراءة مقال، مشاهدة فيديو.. وغير ذلك.

وبحسب موقع عالم التقنية فهذا رقم كبير تحققه «فيس بوك» بالاستفادة من مليار مستخدم على الشبكة، ونظرًا لأن هناك ١١٠ مليون ملف صوتي أو ألبوم أو محطة راديو تم استماعها٤٠ مليار مرة بواسطة خدمة Spotify، وجدت «فيس بوك» أنه من المهم للشبكة الاجتماعية التكامل مع هذه الخدمة لما تقدمه من فوائد كبيرة لها في الانتشار وزيادة فترة بقاء المستخدم على الشبكة.

ولفتت «فيس بوك» إلى أن هناك أكثر من مليار مرة مشاركة لنشاط أي تطبيق يستخدمه أي شخص على «فيس بوك»، وبالرغم من أن عددًا لابأس به من هذه المشاركات تتم تلقائيًا، لم تفصح «فيس بوك» عن مزيد من التفاصيل حول أرقامها.. أيٌّ منه بواسطة المستخدم فعلاً و أيٌّ منه تلقائي؟

كوب قهوة لشحن الهواتف النقالة

كشفت شركة بريطانية مختصة بالحلول الخضراء والطاقة الشمسية عن نموذج لجهاز يحول حرارة المشروبات الساخنة أو برودة السوائل المثلجة إلى كهرباء لشحن الهواتف الجوالة.

واعتمدت شركة «إيبيفاني لابس» في هذا الجهاز على محرك حراري صغير للحصول على الطاقة الكهربائية اللازمة لشحن الهواتف الجوالة أو أي أجهزة إلكترونية صغيرة كالكاميرات ومشغلات الصوت.

وتعتمد المحركات الحرارية، التي اخترعت في أوائل القرن التاسع عشر، على تحويل فارق الضغط الناتج عن اختلاف حرارة الهواء إلى طاقة ميكانيكية تحوّل بدورها إلى كهرباء.

وبحسب ما تناقلته مواقع الأخبار التقنية، فإن الجهاز يشبه شكل قرص الهوكي «Puck» ومنه أُخذ اسم «وان باك» وهو عبارة عن قاعدة يوضع عليها الكوب لحماية الأرضية من البلل من جهة، وليتيح لمستخدمه شحن جهازه الجوال إذا كان ما يشربه شديد البرودة أو السخونة، بحسب شبكة «سكاي نيوز».

ويتألف «وان باك» من جانبين أحدهما أحمر والآخر أزرق، الأول مخصص للاستفادة من حرارة المشروبات الساخنة، بينما الجانب الأزرق يستفيد من برودة المشروبات المثلجة بتحويلها إلى كهرباء.

وقالت الشركة المصنعة للجهاز على موقعها على الإنترنت إن الجهاز متوافق مع هواتف آيفون وأندرويد، وأيّ جهاز إلكتروني يعتمد على طاقة كهربائية لا تزيد على ١٠٠٠ ميلي أمبير.

وأضافت أنها ستكشف مزيدًا من التفاصيل المتعلقة بالجهاز كالزمن اللازم لشحن الهاتف، ومدى الحرارة أو البرودة اللازمة لعمله قبيل إطلاقه في الأسواق مطلع العام المقبل بسعر تقريبي هو ١١٥ دولارًا.

أول قلم للرسم ثلاثي الأبعاد

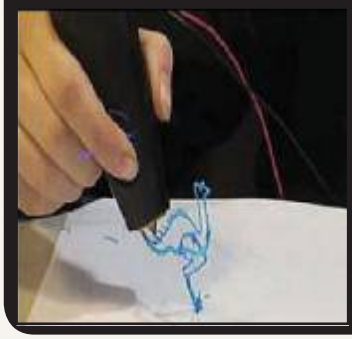

«قام موقع التواصل الاجتماعي الشهير «تويتر» بعمل تحديث جديد ومهم على طريقة كتابة التغريدات، بحيث تسمح بكتابة التغريدة على عدة أسطر طالما أنها لا تتجاوز الحد الأقصى المسموح من الأحرف.

وتأتي هذه الخطوة لتشجع الناس أكثر لاستخدام «تويتر» على نسخة الويب من سطح المكتب، حيث هذه الخاصية غير متاحة على تطبيقات الهواتف الذكية الخارجية.

وتفيد هذه الخاصية الجديدة في أن تظهر أبيات الشعر بشكل أجمل من السابق، حيث يمكن الانتقال إلى السطر التالي عند انتهاء البيت وحتى يمكنك ترك سطر فارغ أو أكثر بين كل بيتين، وستعرض التغريدة تمامًا كما كتبتها من حيث عدد الأسطر، حيث كانت تعرض سابقًا كلها على نفس السطر بالرغم من أنه يمكنك كتابتها على عدة أسطر.

«بدل كتابك».. موقع عربي واعد لتبادل الكتب

بدل كتابك badlkitabk.com شبكة اجتماعية عربية تساعدك على التخلص من كتبك القديمة، والاستمتاع بقراءة كتب جديدة دون الحاجة لشرائها، كل ما عليك فعله هو إضافة الكتب التي تملكها واختيار الكتب التي ترغب في مبادلتها بالاتفاق مع صاحب الكتاب، وذلك بخطوات سهلة.. كل ما عليك هو التسجيل ثم إضافة كتبك التي تريد مبادلتها بكتب جديدة إلى قائمة الكتب، ويمكنك إضافة الكتب التي ترغب بها إلى قائمة أمنياتك.

ويتيح موقع «بدل كتابك» البحث عن كتاب تمتلكه أو تريده وإضافته لمكتبتك، وإن لم تجده في البحث يمكنك إضافته بنفسك، وإضافة أي بيانات خاصة بالكتاب كحالته أو غيرها.

وأشار المدير التنفيذي للمشروع «ضياء الدين محمود» إلى أن هدف الموقع بشكل عام هو نشر القراءة في المدن والأماكن التي لا تحصل على اهتمام كافٍ كما هو الحال ضمن العاصمة والمدن الكبرى.

وأضاف - في حديث للبوابة العربية للأخبار التقنية - بأنه على الرغم من كون فكرة تبادل الكتب عبر موقع إلكتروني على شبكة الإنترنت تعتبر فكرة غربية نوعًا ما، إلا أنه يمكن القول بأنها لاقت استحسانًا وإقبالًا متزايدًا، حيث وصل عدد المنتسبين إلى الموقع منذ انطلاقته وحتى تاريخ اليوم ١٢ يناير/ كانون الثاني إلى ما يزيد عن ٥٠٠ مشترك، وهذا العدد في ازدياد. كما أن عدد تبادلات الكتب التي تمّت، وتمّ تأكيدها من قِبل إدارة الموقع هو اثنان حتى الآن، وعدد

التبادلات التي تمّت وبانتظار التأكيد وصل إلى «٣»، وأخيرًا فإن عدد التبادلات التي تنتظر الموافقة هو ١٩.

وأوضح «محمود» بأن أحد أهم المشاكل التي واجهتهم في بداية إطلاق الموقع هي إمكانية تعريف زوار الموقع بأنه مخصص لتبادل الكتب الورقية، وليس موقع لتحميل الكتب الإلكترونية.

ويقدم الموقع تصميمًا بسيطًا ومريحًا في التعامل، كما يقدم نصائح في حال قام أحد المنتسبين بالتعامل مع الغرباء وليس أصدقائه الموثوقين. كما يقدم تصنيفات متعددة ليتم انتقاء الكتب حسب الاهتمام.

وتعتبر الفائدة الأساسية من هذه الخدمة حسب ما ذُكر ضمن الموقع هي: التخلص من الكتب التي لم يعد القارئ بحاجة إليها، ومن ثم الحصول على كتب جديدة ومتعة قراءة لا تنتهي، وكذلك التعرف على أصدقاء جدد وتوفير في الميزانية.

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com
aelbarbary@live.com

ليتعلم ابنك الانضباط.. اتبعي النصيحة

كل أم تتمنى أن ترى ابنها مؤدبًا صادقًا هادئًا، يحافظ على البيت وعلى نفسه، ويسمع الكلام، أي على قدر من التربية والأدب.. ولكن عملية التربية ليست سهلة، وليس معنى الأدب أن يكون طفلك بلا شخصية، ولتحقيق ذلك لابد أولًا أن تراجعي نفسك في أسلوب التعامل معه.. ويرى خبراء التربية والطب النفسي أنه حينما تطلبين من ابنك طلبًا ما حاولي أن تكوني محددة، وذلك بأن توضحي تمامًا ما تحتاجينه منه، مع مراعاة مرحلته العمرية، ولا تطلبي منه أكثر من طلب في المدة الواحدة، خاصة إذا كان صغير السن، لأن ذلك سوف يربكه، وربما يجعله لا يميل إلى التنفيذ أو ينفذها على نحو سيئ، لأنه ببساطة نسي ما قلته أولًا، كما يجب اختيار الأوقات المناسبة للطلب، فكثيرًا ما تكثر الأمهات من الطلبات من أطفالهن وهم في وقت الراحة من أنشطتهم أو أثناء فترة لعبهم اعتقادًا منها أنه وقت فراغ، رغم أن هذا الوقت هو أحب الأوقات إلى الطفل، وعليك أيضًا أن تشاركيه بعض أنشطته حتى يتعلم أننا يجب أن نتشارك لتسير الحياة، ومن جانب آخر ينبه خبراء التربية الأم بالآتي: عليك أن تتباهي بكل سلوك جيد يفعله طفلك أمام الآخرين، وقومي بوصفه بأنه يسمع الكلام وأنه طفل مهذب ورائع، مهما كان سلوكه بسيطًا لأن ذلك سوف يدعم سلوكه ويجعله يهدف إلى الحصول على هذا التعزيز منك أمام الآخرين، واسمحي له ببعض الرفض ولا تعتبريه جريمة، فليس من الضروري أن تمحى شخصية ابنك، وأن تعتبري اقتناعه به نوعًا من عدم التربية، فكثير من الأمهات لا تراعي رغبات الطفل، ثم تقول إنه لا يستمع لكلامها، دون أن تأخذ في اعتبارها أنه ربما يجب ألا يفعل ذلك حاليًا، فهو إنسان يحب ويكره ويلعب، يقبل ويرفض.. إذا التزمت بما سبق فإنك لن تصبحي في حاجة لترديد عبارة «ابني لا يسمع الكلام».

آمال عبدالرحمن محمد

المحرر:
الأخت الكريمة، كما ذكرت في مجمل رسالتك فإن آفة الأسرة هي ضعف الوعي عند الوالدين بنفسية الطفل وتطور سلوكه، ولو أننا استمعنا جيدًا لنصائح ديننا الحنيف واستلهمنا من خلال سيرة الرسول ﷺ طرق التربية لكان الحال غير الحال.

الفراسة والظن

الظن هو الخطأ والإصابة ويكون مع ظلمة القلب ونوره وطهارته ونجاسته، ولهذا أمرنا الله باجتناب كثير منه، كما أخبرنا مولانا بأن بعضه إثم.
أما الفراسة فلا تكون إلا لصاحب القلب الطاهر والنية الصادقة الذي يتقوت من الحلال ويتحرى الحرام ويجتنبه طمعًا في رضا الرحمن، وكان من رضاه عنهم أن أثنى عليهم ومدحهم في القرآن الكريم في سورة الحجر الآية ٧٥ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: أي المتفرسين. والشخص الذي لديه هذه الصفة يجب أن نتقيه ونجله ونحترمه، لماذا؟ لأنه كما وصفه المصطفى ﷺ يرى بنور الله «اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله».
والفراسة صفة لم تنشأ من ذاتها ولم توجد من تلقاء نفسها، ولكن هناك أسباب أوجدتها، ومنها قرب قلب العبد من ربه، لأن القلب إذا اقترب من الله انقطعت عنه معارضات السوء التي تحول بين القلب وبين معرفته للحق وإدراكه.
ومتى عرف القلب الحق وتوصل إليه أضاء له مولاه نورًا يجده في قلبه يزداد أو ينقص حسب بعده أو قربه من ربه.

خلف أحمد عبدالعليم

المحرر: جزاكم الله خيرًا على اللمحة السريعة وبيان الفارق بين الصفتين، وندعوك أخي الكريم إلى مزيد من المساهمات التي تثري بها مجلتكم «الوعي الإسلامي»

دقة المتابعة وحسن الرد

طالعتنا مجلتكم الغراء بعددها رقم ٥٧٠ ديسمبر ٢٠١٣م، بمقال «قالت العرب في الأمثال» للباحثة كافية الكبش.

وكان لي تعقيب ولفتة على المثل «أكلت يوم أكل الثور الأسود» فهذا المثل من فقد ناصره فلحقه الضيم من عدوه بسبب تواطئه مع ذلك العدو على صاحبه، طمعًا في شيء لم يف به ذلك العدو، أما الكاتبة فقد استشهدت بالمثل بأن عليًا رضي الله عنه تمثل به قاصدًا قتل عثمان رضي الله عنه، ولم يكن الحال هنا مناسبًا أبدًا، فعلي رضي الله عنه لم يقتل عثمان ولم يتواطأ أو يتغاضى عن قتله، كما هو معروف وثابت، ما يجعل في ذلك الاستشهاد خطأ فادحًا!

وقد حاولت الرجوع إلى مصدر تلك الرواية، غير أن المقال لم يعز ذلك الاستشهاد إلى مصدر بعينه، بل اكتفى بذكر المصادر جملة، فوجب التنبيه.

مجدي بافطم

.....

المحرر:

الأخ الفاضل: السياق الذي وردت فيه قصة المثل لم يكن بحسب ما تبادر إلى ذهنك من أن عليا قتل عثمان أو تواطأ على قتله، وإنما استشهد به سيدنا علي لفقده في تلك اللحظة ناصره سيدنا عثمان فلحقه الضيم من عدوه.. وجزاكم الله خيرا على حرصكم.

البرامج التلفزيونية الموجهة للأطفال

المتتبع للبرامج والمسلسلات الكرتونية الموجهة للأطفال في القنوات التلفزيونية هذه الأيام يلاحظ مدى الخطورة التي يتعرض لها أبناؤنا، فمثلًا هناك مسلسل كرتوني شهير، البطل يأكل الكرة الشيطانية ثم يقرر أن يكون ملك البحار السبعة، ويحارب حتى يصل إلى السماء، ويحاربهم، وفي إحدى الحلقات التي شاهدتها صدفة كان عنوان الحلقة «الهجوم على رب العرش» ألا يعلمون أن الله يقول في كتابه العزيز: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، فهم يؤثرون في نفوس أطفال المسلمين بأن يهونوا العظمة التي يعلمها المسلمون لله ويتجرأون على الخالق جل في علاه، فكيف بالله عليكم تدخل هذه المسلسلات إلى بلاد المسلمين، وتمس أقدس مقدساتهم بلا رقيب أو حسيب.. اعذروني لو أطلت عليكم فالأمر جد خطير. نسأل الله أن يرد كيد هؤلاء المفترين في نحورهم وأن يحفظ لنا ديننا الذي هو قرة أعيننا.

وسيم الكولدى

.....

المحرر:

الملاحظة جديرة بالتقدير والاحترام، ونتمنى أن ينتبه القائمون على بث هذه المسلسلات، فتكون هناك رقابة سابقة قبل العرض حتى لا يتأثر أطفالنا (دون أن ننتبه) بهذه الأفكار المسمومة.. المدهش أخي الكريم أننا نتساهل مع المواد المقدمة، إذاعيًا وتلفزيونيًا طالما هي للأطفال، ولا ندري أنهم يضعون السم في العسل بكل خبث ومهارة.

عبق من الزمن الجميل

كان سعيد بن عامر رضي الله عنه، أحد أصحاب رسول الله ﷺ، ومنذ أن عانقت نسائم الإيمان روحه وقلبه، أعطى الإسلام كل حياته ووجوده ومصيره، وعندما عزل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب معاوية عن ولاية الشام، تلفت عمر حوله في أصحاب رسول الله، باحثًا عن رجل يوليه مكانه، وبعد تفكر وتدبر طويل صاح عمر، عليَّ بسعيد بن عامر، الذي اختاره واليًا على حمص، وانطلق سعيد إلى حمص وفي صحبته عروسه التي لم يكن قد مضى على زواجهما سوى أيام قلائل، وقد زوده عمر بقدر وافر من المال ليستعين به على أعباء حياته الجديدة، وسُرَّت العروس بهذا المال سرورًا كبيرًا، ورأت فيه السبيل لتحقيق أحلامها في تأسيس بيت يليق بها، شأنها شأن كل عروس تصبو إلى حياة رغيدة، ولما استقرَّ بالزوجين المقام في حمص، اقتربت الزوجة من سعيد، وأخذت تحدثه في هذا المال الوفير الذي أعطاه عمر له، ورغبتها في الحصول على ثياب جميلة، وأثاث فاخر، نظر إليها سعيد نظرة حانية، وهو يقول:

● ألا أدلك على خير من هذا؟

– وما هذا الخير؟

● نحن في بلاد تجارتها رابحة، وسوقها رائجة، فلنعط هذا المال من يتجر لنا فيه وينميه.

– فإن خسرت تجارته؟

● سأجعل ضمانها عليه.

– رأي صائب يا سعيد.

وفي الصباح الباكر خرج سعيد بن عامر إلى السوق، يحمل معه المال، فاشترى بعض ضروريات عيشه المتقشف، ثم فرق جميع المال على الفقراء والمساكين، وتمر الأيام، وتسأله الزوجة عن تجارته، وكم بلغت الأرباح، فيرد سعيد بوجه باسم: تجارة موفقة، وإن الأرباح تنمو وتزداد يومًا بعد يوم بإذن الله تعالى، وتنظر الزوجة حولها، فلا تجد فيما حولها إلا حياة متقشفة، ولباسًا خشنًا، ونفسها تهفو إلى المتاع والزينة، وأناملها تتوق لأن تمسك قلادة ذهبية تطوق بها عنقها، شأنها شأن كل امرأة زوجها أمير للبلاد، وذات يوم اقتربت من سعيد، وهي تسأله:

● ما حال التجارة يا سعيد؟

– بخير والأرباح في زيادة.

ومادامت بخير والأرباح تزداد، فلِمَ تضيق علينا بهذه الثياب الخشنة وهذا المزاد القليل؟! ألا أحضرت لنا بعض

تعقيب حول مؤتمر «مستقبل التراث.. المشروعية والمشروع وسؤال التجديد»

تابعنا المؤتمر الثاني (لمستقبل التراث.. المشروعية والمشروع وسؤال التجديد) في مجلتنا الغراء «الوعي الإسلامي» العدد ٥٧٢ يناير وفبراير ٢٠١٣م.

وتوقفت عند الأسئلة المطروحة من جانب المشاركين في المؤتمر، وللأسف الشديد كانت هناك نبرة حزن، ونبرة فزع على وقوع معظم المخطوطات العربية والإسلامية في أيدي المستشرقين، وعلى تفسير وتوضيح وشرح هذه المخطوطات من جانبهم بما يخالف ماضينا وواقعنا المعاصر من شريعة، ولغة وأدب وتفسير وتأويل..

وأيضًا شرحه وتوضيحه من جانبنا بما يخالف مصطلحات العصر الحديث السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية.

أولًا: لا أرى مشكلة- مثلًا- في توضيح المصطلح وتكشيفه كاملًا وبكل وضوح، وذلك من خلال علماء اللغة العربية إذا كان المصطلح متعلقًا بجانب من جوانبها أو تكشيفه إذا كان متعلقًا بجانب من العلوم العلمية أو الاقتصادية أو السياسية، فالمجتمع العلمي الإسلامي يزخر بعلماء في جميع التخصصات، ويتعاملون مع جميع المصطلحات قديمها وحديثها بحرفية عالية تجعلنا نطمئن على شرح وتوضيح ما استغلق علينا من تراثنا العظيم.

ثانيًا: الاحتكام في الشأن السياسي يكون للمصالح، ولأفضل أشكال التقدير والتدبير مع الحفاظ على الوحدة السياسية والجغرافية للأمة والدولة بعيدًا عن الاحتكام إلى النص الديني- كما يقول الدكتور رضوان السيد- يضعنا في إشكالية اختيار أفضل المناهج والسبل في أشكال التدبير، وأفضل الطرق في الحفاظ على وحدة الأمة والدولة السياسية والجغرافية، وهي من يضع لنا أفضل هذه التدابير، وأي جهة يمكن لها أن تفرض وجهة نظرها، وأي حزب يمكن أن يطرح مبادئه لتكون هي الدستور الأفضل لوحدة الأمة؟

لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن تظهر لنا جهة أو حزب لتفرض وجهة نظرها أو مبادئها، وذلك لاختلاف وجهات النظر واختلاف المبادئ وبالتالي:

ستكون عملية الحفاظ على وحدة الأمة والدولة من الأمور المستحيلة وذلك بعيدًا عن النص الديني.

ثالثًا: قول الدكتور سيف عبدالفتاح (نقلًا عن ابن خلدون) بأن المغلوب مولع بتقليد الغالب.. لاينطبق على الدولة والحضارة الإسلامية، حتى في أصعب وأحرج فترات التاريخ الإسلامي، حيث لم تقم هذه الحضارة بتقليد الغالب، وإنما احتمت بماضيها

المال الذي نستعين به على أعباء هذه الحياة الخشنة؟ صمت سعيد قليلًا ثم قال: لقد تصدقت بجميع المال في سبيل الله، منذ ذلك اليوم البعيد، نزل الخبر على الزوجة كالصاعقة، وهي لا تكاد تصدق ما تسمع، أخذت الدموع تنهمر من عينيها، وهي تأسف على ذهاب هذا المال، الذي تبددت مع ذهابه الحياة الرغيدة التي كانت تصبو إليها، ونظر سعيد إلى وجهها المغرورق بالدموع، فرق قلبه إليها، فهو يدرك تمام الإدراك كم هو يحبها، ولا يطيق أن يرى هذه الدموع في عينيها.. أيقف خاضعًا أمامها يطلب منها الرضا؟!.. إلا أنه أفاق من لحظات ضعفه هذه، وبدأ رويدًا يتحرر من سطوة جمالها، فهو لم يفعل بالمال، إلا أن تصدق به لوجه الله تعالى مؤثرًا رضا الله على عرض الدنيا الزائل، ثم التفت إليها وهو يقول: «لقد كان لي أصحاب سبقوني إلى الله، وما أحب أن أنحرف عن طريقهم، ولو كانت لي الدنيا بما فيها، ثم واصل كلامه وكأنه يوجه الحديث إلى نفسه معها: تعلمين أن في الجنة من الحور العين والخيرات الحسان، ما لو أطلت واحدة منهن على الأرض لأضاءتها جميعًا، ولقهر نورها نور الشمس والقمر معًا، فلأن أضحي بك من أجلهن، أحرى وأولى من أن أضحي بهن من أجلك»، نزلت كلمات سعيد عليها ساكنة هادئة كالبلسم الشافي، وأخذت تجفف دموعها وهي تقول: والله لا شيء أفضل عندي يا سعيد إلا أن أسير على دربك، وأقتدي بك، فأنت نعم الزوج، وعلي من الآن أن أحمل نفسي على محاكاتك في زهدك وورعك وتقواك، مؤثرة ما عند الله عز وجل على عرض هذه الدنيا الزائل.

خلف أحمد محمود أبوزيد

وتراثها سواء كان التراث النقلي أو العقلي، وخاصة أدبيات اللغة العربية وأدبيات الشريعة الغراء بنصيها القرآني والنبوي، والدليل على قوة قواعد هذا التراث الذي كان يشكل حماية للأمة في أصعب وأضعف لحظات حياتها هي أن عملية نقل التراث والتأثير الفلسفي واللغوي والعلمي والحضاري للدولة الإسلامية نقلها الغرب إليه واستفاد منها في جميع مناحي حياته، وأقام منها وعليها أسس حضارته المادية والمعنوية كانت في هذه المرحلة من مراحل الضعف التى مرت بها حضارتنا الإسلامية.

رابعًا: أما عن الإشكالية التي طرحها الدكتور عبدالسلام الطويل عن ظهور وعودة الترسانة المفاهيمية السياسية التراثية.. لا أدري ما هي الإشكالية في المصطلح سواء كان عصريًا أو تراثيًا.. المشكلة الحقيقية هي فى التطبيق على أرض الواقع.. فأهل الحل والعقد هم الهيئات التشريعية والبرلمانات، والديموقراطية هي الشورى أو العكس، والإجماع مقابل الأغلبية، والحسبة هي المراقبة والبيعة مقابل العقد السياسي..

فلا ضرر من استعمال هذا المصطلح أو ذاك تراثيًا أوحديثًا طالما كانت لهذا المصطلح أرضية قوية في واقعنا المعاش، فالأمل والعبرة في التطبيق العملي وليست في التنظير العلمي.

وفي النهاية نرجو أن نرى نصوصًا تراثية محققة ومنشورة في كل عدد من أعداد دورياتنا المختلفة وخاصة مجلة «الو عي الإسلامي» حتى يتم تفعيلها وتطبيقها على أرض الواقع بدلًا من أسرها في دهاليز المكتبات أو على طاولة المؤتمرات.

مصطفى حافظ

ردود سريعة

- **يتحفنا بعض المساهمين بمقالات مسروقة من مواقع معروفة.! والمدهش أنهم يبدون أعضاء في شبكة للسرقة الأدبية، ولا يخجلون ولا يستنكفون من أفعالهم مرة ومرات عديدة، بل صاروا من السذاجة والكسل في السرقة، حتى إنهم يطبعون نموذج مراسلة للمجلات ويرسلون صورة ضوئية من المقالات التي سطوا عليها مع تغيير اسم الدورية في كل نموذج.. ندعو هؤلاء لأن يتوبوا إلى الله قبل كل شيء، ثم يتوقفوا عن مراسلتنا، لأنهم صاروا على قائمة السارقين إلى أن يتبدل حالهم ويبذلون جهدًا كي يحصلوا أجرًا.**
- **الأستاذ الفاضل علي الإبراهيمي «مقالكم» نظرية المجتمع الإيماني يحتوي على معلومات مهمة، ولكن تم نشر موضوع يتشابه معه قبل فترة وجيزة، ولذا رأت المجلة عدم نشره، ونشكرك على المساهمة.**
- **الشيخ خيري محمد إبراهيم أبو الروس إمام وخطيب مسجد كفر الجرايرة كفر الشيخ – مصر.. ستبحث إدارة التحرير بالمجلة مقترحكم بشأن إنشاء باب جديد للتعارف بين قرائها: والله الموفق، ونشكركم على مساهمتكم بشأن الهجرة ومعانيها.**
- **الأستاذ أسامة الزقزوق عضو اتحاد كتاب مصر نشكر لك مساهمتك التي وصلتنا بعنوان «وقفات نحمدها ووقفات نرفضها»، غير أن مقالكم يتسم بقدر من الرأي السياسي الذي لا يتفق مع سياسة تحرير المجلة. نتمنى التواصل عبر مقالات أخرى، وجزاكم الله كل خير.**
- **الكاتب الدكتور عزالدين عناية، وصلنا عرض كتابكم «نحن والمسيحية في العالم العربي وفي العالم» وإذ نشكر لكم المساهمة، غير أنها تتعارض مع سياسة المجلة، نتمنى لكم التوفيق والسداد.**

القراء الأفاضل: لم يتسع المقام للتعقيب على كل ما وصل المجلة من مساهمات واقتراحات ونأمل في الأعداد المقبلة الإشارة إلى ما تيسر منها إيمانًا من إدارة التحرير بأن كل حرف يخطه قارئ «الوعي الإسلامي» له به علينا حق الرد مع الشكر والامتنان دومًا.

ينابيع المعرفة

إعداد: تركي النصر

ثمن الجوار

يروى أن رجلًا كان جارًا لأبي دلف ببغداد، فأدركته حاجة وركبه دَيْن فادح، حتى احتاج إلى بيع داره، وطلب ثمنًا لها ألف دينار، فقالوا له: إن دارك لا تساوي أكثر من خمسمائة دينار، فقال: أجل، ولكنني أبيعها بخمسمائة، وأبيع جوارها بخمسمائة أخرى، فبلغ القول أبا دلف، فأمر بقضاء دينه، ووصله وواساه.

(كشكول ابن عقيل، ص:١٠٠)

أنصفه عمر رضي الله عنه

رأى عمر رضي الله عنه رجلًا في السوق شيخًا كبيرًا يسأل الناس الصدقة، فقال له: من أنت يا شيخ؟.

قال: أنا شيخ كبير أسأل الناس الجزية والنفقة، وكان يهوديًا من سكان المدينة.

فقال عمر له: ما أنصفناك يا شيخ، أخذنا منك الجزية شابًا، ثم ضيعناك شيخًا!! وأخذ عمر بيده إلى بيته فوضع له من طعامه، ثم أرسل إلى خازن بيت المال يقول: افرض لهذا وأمثاله في بيت المال ما يغنيه ويغني عياله.

(تحفة الجائزة)

أدب العلماء

كانت بين ابن أبي ليلى وأبي حنيفة وحشة يسيرة، وقصتها: كان ابن أبي ليلة جالسًا للحكم في مسجد الكوفة، فانصرف يومًا من مجلسه، فسمع امرأة تقول لرجل: «يا ابن الزانيين»، فأمر بها فأُخذت، ورجع إلى مجلسه، وأمر أن تضرب حدين وهي قائمة، فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال: «أخطأ القاضي في هذه الواقعة في ستة أشياء».

١- في رجوعه إلى مجلسه بعد قيامه منه، ولا ينبغي له أن يرجع بعد أن قام منه في الحال.

٢- وفي ضربه الحد في المسجد، وقد نهى النبي ﷺ عن إقامة الحدود في المساجد.

٣-وفي ضرب المرأة قائمة، وإنما تضرب النساء قاعدات كاسيات.

٤-وفي ضربه إياها حدين، وإنما يجب على القاذف إذا قذف جماعة بكلمة واحدة حد واحد.

٥-ولو وجب أيضًا حدان لا يوالي بينهما بل يضرب أولًا، ثمّ يترك حتى يبرأ ألم الضرب الأول.

٦-وفي إقامة الحد بغير طالب.

فلما سمع ذلك ابن ليلى سار إلى والي الكوفة وقال: ها هنا شاب يقال له أبوحنيفة يعارضني في أحكامي، ويفتي بخلاف حكمي، ويشنع علي بالخطأ فأريد أن تزجره عن ذلك، فبعث إليه الوالي ومنعه من الفتيا، فانقاد أبوحنيفة لأمر الوالي، فيقال إنه كان في بيته ومعه زوجته وابنه حماد وابنته، فقالت ابنته: إني صائمة وقد خرج من بين أسناني دم وبصقته حتى عاد الريق أبيض لا يظهر عليه أثر الدم، فهل أفطر إذا بلعت الريق الآن؟ فقال أبوحنيفة ؟ سلي أخاك حمادًا فإن الأمير منعني من الفتيا.

أعمى القلب

ذكر المبرّد: أن رجلاً جاء إلى عامل للمنصور ولاه على القواعد من النساء اللواتي لا أزواج لهنّ، وعلى العميان والأيتام، فقال له: أعزك الله، إن رأيت أن تثبتني مع القواعد؟ قال: القواعد نساء، فكيف أثبتك فيهنّ؟ قال: ففي العميان؟ قال: أمّا هذه فنعم؛ فإنّ الله تعالى يقول: ﴿لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ الَتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج:٤٦) قال له: وتتفضّل في إثبات ولدي في الأيتام؟ قال: نعم، لأنه من تكون أنت أباه فإنه يتيم.

(نهاية الإرب للنويري).

السهم المسموم

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وفي غض البصر عدة فوائد، منها: «أنه يورثُ القلبَ نورًا يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمةً تظهر في وجهه وجوارحه. ولهذا والله أعلم ذكر الله سبحانه آية النور في قوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥)، عقيب قوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ (النور: ٣٠) وجاء الحديث مطابقًا لهذا حتى كأنه مشتق منه وهو قوله ﷺ: (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن غضّ بصره عن محاسن امرأة أورث الله قلبه نورًا) «رواه أبوداود».

(**روضة المحبين لابن القيم ص: ٧١**).

ما هذه الغَيْبَة

دخل رجل من شيبان على معن ابن زائدة، فقال: ما هذه الغَيْبَة؟ فقال: أيها الأمير، ما غاب عن العين من يذكره القلب، وما زال شوقي إلى الأمير شديدًا، وهو ما يجبُ له، وذكري له كثيرًا، وهو دون قدره، ولكن جفوةَ الحُجّاب . الحُرّاس ـ، وقلة بشر الغلمان، منعاني من الإتيان! فأمر بتسهيل إذنه وأجزل صلته.

(زهرة الآداب للقيرواني)

ستة يُكرَمُون ويُحْذَرون

عليك بإكرام وبرّ لستة
من الناس واحذر شرهم وتوقّه
طبيب وحجّام وشيخ وشاعر
وصاحب ديوان ومن يتفقّه

(كشكول ابن عقيل، ص:٩٥)

من درر الإمام الشافعي

- إنك لا تقدر أن ترضي الناس كلهم، فأصلح ما بينك وبين الله ثم لا تبال بالناس.
- التلطف في الحيلة أجدى من الوسيلة.
- الوقار في النزهة سخف.
- ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه.
- من حضر مجلس العلم بلا محبرة وورق، كان كمن حضر الطاحون بغير قمح.
- صحبة من لا يخاف العار، عار يوم القيامة.
- أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه، ورغب في مودة من لا ينفعه، وقبل مدح من لا يعرفه.
- الشفاعات زكاة المروءات.
- من علامات الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقًا.

الإسلام الحضاري

محمد عيسى
باحث في الفكر الإسلامي والعلوم السياسية

كيف تمكنت ماليزيا وهي متعددة الأعراق من النهوض، والتحصن من السقوط في مستنقع الصراعات الدينية والعرقية والثقافية؟ المعروف أن الخريطة العرقية في ماليزيا تتكون من ثلاثة أعراق رئيسية هي: الملايا والصينيون والهنود. حيث يُمثل الملايا (سكان البلاد الأصليون) حوالى ٥٩٪ من إجمالي سكان البلاد، في حين يمثل الصينيون نسبة ٢٦٪ من السكان، ثم الهنود وهم ٧٪ من سكان البلاد البالغ تعدادهم (٢٢،٢٢٩،٠٤٠) وفق تقديرات عام ٢٠٠١. بالإضافة إلى عدد من الأقليات من الأوربيين والتايلانديين والاستراليين والإندونيسيين، وبعض الأعراق الصغيرة التي تقطن ولايتي (صباح ساراواك) مثل الكادزان والإيبان.

هناك جملة من العوامل التي تم اتخاذها لتلاشي الصراعات بين العرقيات والإثنيات المتعددة، لكني سأركز هنا على العامل الثقافي، حيث تم طرح صيغة «الإسلام الحضاري» كوعاء يجمع الكل، وينصهر فيه الجميع بعيدًا عن أي تمييز أو استبعاد أو كراهية أو عنف. وقد كان أول من استخدم هذا مصطلح «الإسلام الحضاري» رئيس الوزراء الماليزي السابق تنكو عبدالرحمن في عام ١٩٥٧ ثم قام رئيس الوزراء الماليزي داتو سري عبدالله أحمد بدوي (تولى رئاسة الوزارة من ٢٠٠٣- ٢٠٠٩) بعرض بعض جوانبه في محاضرة له بتاريخ ٢٦ مايو ٢٠٠٦ بنفس العنوان بجامعة الأمم المتحدة في اليابان كمشروع لنهضة ماليزيا، وللدفاع عن الإسلام ضد سوء الفهم بين أبنائه، أو التحريف من خارج أراضيه.

فالإسلام الحضاري «ليس بدين جديد أو مذهب أو طائفة أو محاولة لتلميع الإسلام أو ترقيقه، وليس صيغة للاعتذار للغرب عما يسمى بالتهديد الإسلامي، وإنما هو الإسلام المدني الذي مارسه النبي محمد ﷺ والصحابة الكرام رضي الله عنهم، فهو تجديد لمفهوم قديم، يستمد ثوابته من تعاليم الإسلام، ويسعى لحل مشاكل الأمة بكفاءة وفاعلية، بفتح باب الاجتهاد، والارتباط بآخر ما توصلت له أنماط التنمية الحديثة، مع إعادة النظر فيها وفي منهجها بطريقة نقدية، لتصبح أكثر توازنًا وشمولًا. فهو طريقة للحياة تسعى للتواصل والاتصال مع الجميع. فجذر كلمة الإسلام هو السلام والطمأنينة والاستسلام، والإسلام بهذا المعنى هو الذي يحقق الطاعة لله مع اتزان حقيقي بين الجسم والعقل، والإسلام بهذا المعنى هو دين جميع الأنبياء.

والحضاري أي المدني المتحضر، وهو من المدينة والمدن، ومن الحديث والمعاصر والجديد، والقرآن الكريم – خير مُعين في هذا- يطالب أتباعه أن يقدموا أفضل مثال للبشرية، وبالتالي فإن الإسلام الحضاري يتناقض تلقائيًا مع الإسلام البدوي.

ويدعو الإسلام الحضاري المسلم أن يكون حديثًا وديناميكيًا في التفكير والممارسة؛ ليطرق كل أبواب العلوم والمعارف مصداقًا لقوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، وقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ فتحقيق الشهود على العالم يكون من خلال التنمية والتحديث.

وقد حدد رئيس الوزراء عشرة مبادئ توجيهية تحكم الإسلام الحضاري لإقامة الحكم الرشيد، هي: (الإيمان بالله والتقوى – الحكومة العادلة الجديرة بالثقة – حرية الشعب واستقلاله – السعي الدائم للتمكن من المعرفة – التنمية الاقتصادية الشاملة والمتوازنة– تحسين نوعية الحياة للشعب – حماية حقوق الأقليات والمرأة– التكامل الثقافي والأخلاقي – الحفاظ على الموارد الطبيعية والبيئية – القدرات الدفاعية القوية للأمة).

كل هذا من أجل استعادة دور الحضارة الإسلامية مرة أخرى، وقد سُمي هذا المشروع بـ«الإسلام الحضاري» حيث كان أحد أسباب النهضة في ماليزيا.

مجلة

الوعي الإسلامي

تهديكم جديد إصداراتها

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ الكويت هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الالكتروني: info@alwaei.com - manager@alwaei.com

الوعي الشبابي

للقيمة معنى...

www.shabab.alwaei.com

- مواضيع حيوية ومعاصرة
- حوارات حصرية مع الشباب المبدعين
- مقالات لأبرز الكتاب الشباب

«الوعي الشبابي» مجلة شبابية
إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسلامي»
رئيس التحرير: فيصل يوسف العلي

البريد الإلكتروني
info@shabab.alwaei.com

للتواصل زوروا موقعنا
www.shabab.alwaei.com